الجمهوريـــــة الجزائريـــــة الديمقراطيـــــة الشعبيـــــة
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الحاج لخضر باتنة
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ وعلم الاثار

الحركة الإصلاحية في الأوراس ودورها الثقافي والاجتماعي إبان الفترة الكولونيالية (1931 –1956م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر
(تاريخ الأوراس الحديث والمعاصر)

إعداد الطالب: محمـــد محدادي
إشراف الدكتور: الجمعي خمري

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
أد/ صالح فركوس	أ.التعليم العالي	رئيســـــا	جامعة08 ماي 1945 قالمة
أد/ الجمعي خمري	أ. التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة الحاج لخضر- باتنة
د/ حميميد حسينة	أستاذ محاضر	عضوا مناقشا	جامعة الحاج لخضر- باتنة
د/ بوقريوة لمياء	أستاذ محاضر	عضوا مناقشا	جامعة الحاج لخضر- باتنة

السنة الجامعية: 1430/1431.هـ – 2010/2011 م

بسم الله الرحمن الرحيم

صدق الله العظيم

سورة هود الاية 88

الإهـــــــداء

إلى روح أخي وصديقي الأستاذ تميم لطفي

إلى روح أخي وزميلي الأستاذ زناتي مبروك

إلى روح أخي وأستاذي الأستاذ مرزاقي يوسف بشير .

محمد محدادي

شكـــــــــر وعــــــــرفان

إن نعمة الله وفضله شملت أرجاء كونه، غير أن عمل المرء يحتاج لعونه وتوفيقه كما أن الحاجة للآخرين ضرورية لإتمام المشاريع والأعمال على أحسن وجه، ومنه أتقدم بالشكر الجزيل بعد توفيق الله وحسن عونه إلى الأستاذ المشرف الدكتور حمري الجمعي الذي قدم لي كل نصيحة ومساعدة وذلك من خلال تقويم وتصحيح فصول هذا البحث وتوجيهاته العلمية في معالجة الأخطاء وفرز المعلومات الصحيحة وتوظيفها بإتقان كما أنه قدم لي كتبا هامة أفادتني في انجاز بحثي هذا ، وكما اشكر كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث وأخص بالذكر أساتذتي الكرام الذين أفادوني في الدراسة النظرية لهذه المرحلة البحثية الجامعية وأتقدم بالشكر أيضا إلى إدارة قسم التاريخ بجامعة باتنة التي منحتنا جميع التسهيلات وراعتنا بعطفها و لم تبخل علينا بما تستطيع .

كما أوجه تحياتي لموظفي دور الأرشيف الوطني في الجزائر العاصمة والولائي في قسنطينة، والمكتبات العمومية، وأخص بالذكر المكتبة الوطنية بالحامة، ومكتبة الإعلام ومكتبة الجيش في قسنطينة، ومكتبة دار الثقافة بورقلة و دار الثقافة بباتنة ، والمكتبات الجامعية خاصة المكتبة المركزية بجامعة باتنة و مكتبة معهد التاريخ ببوزريعة ومكتبة معهد العلوم الاجتماعية بقسنطينة وأيضا جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية.

كما اشكر كل الذين أفادوني بمعلومات وحقائق تخص موضوعي من الذين سمحوا لي بمقابلتهم وأخص عائلة الشيخ عمر دردور وعلى رأسهم الأستاذ عبد الباسط و عائلة الشيخ مدور علي ومنهم لخضر ومحمد وصالح وعلي كما اشكر المجاهد علي ملاح والأستاذ احمد شرفي الرفاعي والشيخ عبد الحميد زقادة والسادة نذير السبع وعلي أوجيت والصحفي علي بن بلقاسم كما أتوجه بالشكر الجزيل للأستاذ قيطون قويدر على كل ماقدمه لي من توجيهات وتصويب لغوي .

مقدمة

1-التعريف بالموضوع

تعتبر الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أهم المنظمات الوطنية التي ساهمت في محاربة الاستعمار الفرنسي ثقافيا و حضاريا، من خلال نشاطاتها المسجدية ومدارسها التي نشرتها في مختلف ربوع الوطن، ولقد كانت منطقة الأوراس إحدى هذه المناطق التي كان أبناؤها متعطشين للتعليم العربي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، لما وصلهم عنها من إخوانهم الذين أتيحت لهم فرصة الالتحاق بمدارسها بقسنطينة ،وأيضا إيمان بعض أبناءها المزكين من طرف علماء الجمعية بأهمية دورهم في نشر الإصلاح في أوساط أفراد مجتمع منطقتهم، فأسست عدة شعب ونواد ومدارس ومساجد، كما قامت بجهود وأدوار اجتماعية لإصلاح المجتمع والنهوض به،وذلك بالقضاء على بعض المظاهر السلبية وتفعيل وإحياء المظاهر الايجابية الموجودة به ،ومن هنا كان اختيار موضوع بحثنا الموسوم ب **"الحركة الإصلاحية في الأوراس ودورها الثقافي والاجتماعي إبان الفترة الكولونيالية " 1931م_ 1956"** .

حدود الدراسة :

إن فترة بحثنا التي نتناولها بالدراسة تمتد من 1931م إلى 1956 م ،وهي الفترة المحددة لميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 05ماي 1931 والتي تعتبر الإطار التنظيمي للحركة الإصلاحية المعنية بدراستنا ،ونهايتها سنة 1956 م وهي تاريخ حل الجمعيات وأحزاب الحركة الوطنية وانضوائها تحت جبهة التحرير الوطني، وإن بقي العمل الإصلاحي لجمعية العلماء في الميدان الثقافي والاجتماعي ساري المفعول حتى بداية الاستقلال 1962 م ،هذه المرحلة التي عرفت فيها منطقة الأوراس تطورات على مستوى العمل الإصلاحي من دخوله و بداية انتشاره المحتشمة عند بداية تأسيس الجمعية إلى سيادته بشكل أصبحت لا تخلو قرية أوراسية من خدمة نشاطات جمعية العلماء المسلمين ، وفيها استطاعت التأثير والمساهمة في التغير الثقافي والاجتماعي وامتد حتى إلى السياسي في المنطقة ، ويظهر ذلك في استفادة أبنائها وسكانها من التعليم والتوعية الثقافية والاجتماعية ،كما استطاعت الجمعية من أن تصنع من أبنائهم روادا في العمل الإصلاحي على المستوى الوطني ، وبذلك ساهمت مثل ما استفادت المنطقة من الحركة الإصلاحية من خلال ما قدمته من رجالات إلى الحركة الإصلاحية الوطنية .

إشكالية الدراسة :

أما الإشكالية التي حددتها لدراسة هذا الموضوع تمثلت في الدور الثقافي والاجتماعي الذي اضطلعت به الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين في منطقة الأوراس خلال الفترة الممتدة من 1931 م إلى سنة 1956م .

وقد اقتضت مني هذه الإشكالية التطرق إلى الظروف التي تأسس فيها الإصلاح في المنطقة، ثم العوامل التي ساهمت في استقبال المنطقة للفكر الإصلاحي ،وكيف نجح الإصلاح في مد نشاطاته وخدماته الثقافية والاجتماعية في كل ربوع المنطقة، والتحولات الذهنية والاجتماعية التي أحدثها الإصلاحيون في المنطقة، ويمكن صياغة إشكاليات هذا البحث كالآتي :

1- ماهي الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمع الأوراسي عشية تأسيس الحركة الإصلاحية ؟.

2 - ما هي الظروف الثقافية والاجتماعية الأوراسيين التي هيأتهم لاستقبال الفكر الإصلاحي ؟.

3 - ما هو سر الاحتضان الكبير والانتشار الواسع للنشاطات الإصلاحية في منطقة الأوراس ،وهي المنطقة التي كانت أبعد ما يكون من حيث بناؤها الثقافي والاجتماعي في استقبال الفكرة الإصلاحية؟.

4 - ما هو دور الحركة الإصلاحية في نشر التعليم الإصلاحي بالمنطقة ،وإلى أي مدى حققت نجاحا في هذا الميدان؟.

5- ما مكانة التعليم الإصلاحي من حيث تطوير الوعي والنهضة والمساهمة في استعادة مكونات الشخصية الوطنية في الأوراس ؟.

6- ما هي جهود ناشطي الإصلاح في محاربة البدع والخرافات والمفاسد العقدية في مجتمع تكلست في ثقافته وذهنيته مثل هذه الأفكار ؟

7- كيف استطاع المشرفون والمنشطون الإصلاحيون رغم إمكاناتهم وعددهم المتواضع من تحقيق أهدافهم ،والوقوف في وجه التحديات، وعراقيل إدارة الاحتلال بإمكانياتها الضخمة ؟.

8- ما هو الدور الاجتماعي للحركة الإصلاحية في الأوراس ،خاصة فيما يتعلق في دعوتها إلى التكافل الاجتماعي ودعوتها إلى العمل ،وإلى أي مدى حققت أهداف دعوتها هذه ؟

9- ما الدور الفعال والحقيقي للعمل الإصلاحي في إعادة بعث المجتمع الأوراسي ونهضته وبعث الروح الوطنية فيه،والدفع به في تيار التاريخ ،وإخراجه من عزلته الجغرافية والثقافية لتنهض وتقوم بأهم دور في استقلال الوطن؟.

10- بماذا تميز العمل الإصلاحي في الأوراس عن غيره في الجيهات الأخرى من الوطن ؟

مناهج البحث :

لما كان على الدارسين والباحثين في مجال الأبحاث والدراسات الأكاديمية الاستعانة بجملة من المناهج بهدف الوصول إلى حقائق علمية ، وبطبيعة الحال فان نوع الدراسة وطبيعتها تفرض منهجا معينا أو عدة مناهج لتحقيق الغاية ،انطلاقا من هذا الموضوع قيد الدراسة فرض علينا الاستعانة بالمناهج التالية :

1-المنهج التاريخي :يعيننا في جمع المعلومات عن الأحداث والحقائق الماضية وفي فحصها ونقدها وتحليلها والتأكد من صحتها ،وفي عرضها وترتيبها وتفسيرها و استخلاص التعميمات والنتائج العامة منها ، والتي لا تقف فائدتها على فهم أحداث ووقائع الماضي فقط ،بل تتعداها إلى المساعدة في تفسيرها، فهو بذلك عملية يحاول من خلالها العقل البشري استرجاع معطيات الماضي لتحقق من مجرى وسير الأحداث، وذلك يتم من خلال بعض الحقائق والأحداث ومتابعتها تاريخيا مما أثبته المؤرخون وأقرته المصادر التاريخية

2- **المنهج الوصفي** : تهدف من خلال استعمال هذا المنهج في دراستنا هو الوصول إلى المعرفة الدقيقة والتفصيلية عن الموضوع انطلاقا من وصف الأحداث وجمع المعلومات الدقيقة .

3_ المنهج الإحصائي:لقد فرض علينا موضوعنا خاصة في بعض جوانبه إلى استعمال أرقام وجداول ساعدتنا في استنتاج قضايا تاريخية ومعرفية خدمت بحثنا .

4_المنهج المقارن :يعد المنهج المقارن من أهم المناهج التي تساعد على توضيح الحقائق وتجلي القضايا والمواقف ،ولقد وجدت نفسي في مثل هذا الموضوع ملزما به خاصة في مقارنة جهود الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء بالاوراس بالمناطق الأخرى لأقيم تقييما علميا ،حول أي مدى وفق الإصلاحيون في مشروعهم.

5-المقابلات : تعتبر المقابلة من الأدوات الرسمية لجمع المعلومات والبيانات في دراسة الأفراد والجماعات الإنسانية ،وقد كان لدراستنا حاجة ماسة إليها لقلة مصادرها المكتوبة وقربها تاريخنا من بعض الشخصيات الحية التي يمكنها أن تمدنا ببعض المعلومات عنها.

-وصف البيبلوغرافيا :

تنوعت مصادرنا ومراجعنا في بحثنا هذا ولعل هذا يعود إلى اشتمال الموضوع لجوانب عديدة فرضتها الدراسة .

ففي المدخل و الفصل الأول اعتمدنا على كتابات الفرنسيين من الضباط و الأكاديميين الذين كتبوا على الجانب الطبيعي للأوراس، وأيضا الجانب البشري بماضيه الاجتماعي و الثقافي وخصوصا كتابات دولارتيغ و ماسكراي.

كما اعتمدنا على تقارير الإدارة المحلية لبلديات الأوراس التي منحتنا صورة مفصلة على الوضع الاقتصادي والوضعية المعيشية للسكان مزودة ببيانات إحصائية .

واعتمدنا أيضا على كتابات للباحثة فاني كولونا وقد استفدنا منها الكثير واستطعنا من خلالها الاقتراب من بناء الماضي الثقافي و الاجتماعي للاوراس خاصة بما يتعلق ببعض الممارسات و الشخصيات التي أنقذتهم بمقالاتها من النسيان.

وأيضا فرضت علينا طبيعة ومحتوى بحثنا الاعتماد على صحف وآثار قيادات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وفي مقدمتها صحيفتي الشهاب و البصائر وأثار الشيخين ابن باديس و البشير الإبراهيمي و منها استطعنا لملمة بعض الأحداث المتعلقة بموضوع الإصلاح في منطقة الأوراس محل الدراسة ،وأيضا استفدنا في تكوين الرؤية النظرية للحركة الإصلاحية في المجال الثقافي والاجتماعي ومحاولة مقاربتها مع أدوار ناشطي الإصلاح بالمنطقة .

كما اعتمدنا على كتاب الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر (1925- 1940م) للأستاذ علي مراد وقد أفادنا في الخلفية الفكرية لموضوع دراستنا كما أفادنا منهجيا وأنار لنا كثير من الزوايا في الموضوع الذي اتسم في دراسته بالشمولية .

أما المقابلات فكانت عديدة استفدنا منها في التحقيق في بعض الفراغات التاريخية التي لم نعثر عليها في المراجع و المصادر وكذلك في توضيح بعض الأحداث، ولعل اعتبار أن أغلب شخصيات مقابلاتنا تعد مصادر ثانوية كشخصيات سمعت عن الشخصيات المعنية بموضوعنا قلل إلى حد ما في شهاداتهم مما فرض علينا التعامل معها بحذر كبير .

دوافـــع اختيار الموضوع

ظلت الدراسات التاريخية التي تتناول و تتبع جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تركز في المقام الأول على دور الجمعية الثقافي والاجتماعي في الحواضر الكبرى كمدينة قسنطينة والجزائر العاصمة وتلمسان .

واعتقادا مني من أن جهود جمعية العلماء لم تتحدد في هذه الحواضر فحسب، بل وصـــلت إلى المناطق الريفية الصغيرة كمنطقة الأوراس ، وجدت نفسي مشدودا إلى تتبع جهود العلمــاء في هذه المنطقة التي عرفت دورا بارزا ومعتبرا للعلماء بين ظهرانيي الأوراسيين ومن هذه القناعـــات أردت أن أخوض في دراسة هذا الأمر .

والحقيقة أن موضوع الإصلاح في الأوراس قد شدني منـــذ أن كنت طالـــبا في مرحـــلة التدرج ، حيث وجدت أن الأوراسيين لم يحظوا بالقدر المطلوب في إبراز رجالاتهم الإصلاحيين و معلميهم في مدارس العلماء وطلبتهم أيضا، وعليه أردت أن أساهم ولو بجهد متواضع قد يثري المكتبة الجزائرية في هذا الميدان.

إلى جانب هذا فهناك أسباب أخرى تأتي في المقام الثاني هي بدورها حركت فيّ الرغبة في تناول هذا الموضوع كالمصادر والدراسات الأكاديمية، فبالنسبة للمصادر فإن سجلات وصـــحافة العلماء غنية بالمادة الخبرية التي تتحدث عن نشاط العلماء الثقـــافي في الأوراس،أمـــا الدراســـات الأكاديمية فأنني أعجبت ببعض المقالات التي نشرتها الباحثة الفرنسية فاني كولونا وأيضا بالاعتماد على الروايات المحلية في هذا الشأن، وبهذا أكون قد ساهمت بالحفاظ علـــى تـــاريخ الإصـــلاح ورجالاته بالمنطقة .

أهـــــــداف الدراسة :

نهدف من وراء دراستنا إلى :

- إنقـــاذ جانـــب هـــام مـــن تـــاريخ شخصـــيات ومنـــاطق أوراســـية مـــن النســـيان .
- محاولة إظهار تاريخ الأوراس الثقافي والاجتماعي في الفترة المعاصرة وهو جانب مهم أهمـــل إلى حد ما من قبل الدرسين بسبب انحصار الدراسات والأبحاث التاريخية للمنطقة على تاريخ الثورة .
- إبراز دور الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين في التحولات التي عرفتها الاوراس ودفعت بها إلى الثورة على المحتل.

الدراسات السابقة :

ظهرت العديد من الدراسات العلمية والأكاديمية التي تناولت موضوع :الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وسواء تعلق الأمر بالجمعية من خلال دورها التربوي أو الاجتماعي أو السياسي أو تطورها التاريخي، أو تعلق الأمر بدراسات خصت قادتها ، كالشيخ الرئيس عبد الحميد بن باديس أو الشيخ البشير الإبراهيمي أو الشيخ الطيب العقبي...أو دور الحركة الإصلاحية في جهة محددة من الوطن،ولكن لم يسبق لأي دراسة – فيما أعلم – أن تطرقت لدراسة:الحركة الإصلاحية في الأوراس ودورها الثقافي و الاجتماعي إبان الفترة الكولونيالية (1931-1956م)، وبذالك فإن دراستنا تعد الدراسة الأول في هذا الجانب من هذا الموضوع.

تجدر الإشارة إلى أن الدراسات الأول اكتفت بتقديم إشارات في هذا الموضوع مشكلة بداية تأسيس له باستثناء تلك الدراسة التي تقدم بها الأستاذ علي مراد وهي الفرنسية ،ثم تتالت الدارسات من قبل الباحثين والمخابر الجامعية ومن بين الدراسات التي تناولت هذا الموضوع نذكر بعض النماذج المختلفة ذاكرين مثال عن كل جانب درس فيها، وقد وقع اختيارنا على الدراسات التالية :

1 – دراسة الأستاذ علي مراد ، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر (1925-1940م) ،وهو بحث في التاريخ الديني والاجتماعي ،ظهرت في الستينات باللغة الفرنسية وأعيدت طباعته العديد من المرات و تمت ترجمته إلى العربية من قبل الأستاذ محمد يحياتن عن دار الحكمة سنة 2007م ،تناول الباحث في دراسته هذه ظروف ظهور الإصلاح الإسلامي في الجزائر الذي يؤرخ لبدايته بسنة 1925م ثم تطرق إلى النشأة التنظيمية له في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م، ثم تناول المرجعية الفكرية والفلسفية للحركة الإصلاحية في جميع الميادين التي اشتغلت عليها ،وكيف عالجت الإشكالات الأخلاقية والثقافية والاجتماعية في المجتمع الأهلي مبرزا التحديات التي واجهتها ،وأيضا مدى توفيقها في تحقيق أهدافها ،كما استطاع تقييمها فأظهر ما لها وما عليها.

تعد هذه الدراسة أهم الدراسات في هذا الموضوع والتي لايمكن لأي دراسة جادة تتناول موضوع الإصلاح في الجزائر إلا أن تعتمد عليها، وقد تميزت بالعمق والشمول والمنهجية العالية والموضوعية ،كما تميزت ترجمتها العربية بالأمانة والجدية في المحافظة على نقل الأفكار والمعلومات كما هي في الأصل.

2- دراسة الأستاذ القرصو محمد بعنوان: الحركة الإصلاحية الجزائرية تأسيس ونشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في عمالة وهران (1931_1935م) ، دراسة تقدم بها الباحث لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ من جامعة وهران سنة 1977 م ،حاول الباحث في بحثه هذا أن يدرس القاعدة الاجتماعية للإصلاحيين في عمالة وهران والدور الذي لعبه أنصار الإصلاح في هذه العمالة لتوسيع قاعدتها ،كما تناول الظروف التي تأسس فيها الإصلاح ، ومدى تأثير هذه الظروف عليه ،ثم تطرق بعد ذلك إلى القاعدة الاجتماعية لنشاط العلماء في عمالة وهران وقد توصل الباحث إلى أن الانتشار الواسع الذي حققته الحركة الإصلاحية في غرب البلاد يعود بالفضل إلى تبني هذه الدعوة من قبل طبقتين طبقة البرجوازية الصغيرة والبرجوازية المتوسطة في المنطقة ،فهاتين الفئتين شكلتا العمود الفقري للحركة الإصلاحية في العمالة ، كما توصل الباحث إلى أنه قد كان لهذه الحركة المساهمة البالغة في تنوير المواطنين وتوعيتهم وإشعارهم بالخطر والدور السلبي التي تقوم به الطرق الصوفية المنحرفة في المنطقة ، كما ساهمت الحركة الإصلاحية في توفير بعض الحقوق للأهالي التي كانت مغيبة من قبل الاستعمار ،كالتعليم ،والممارسات الدينية ، والأنشطة الثقافة المختلفة ، كما ساهموا أيضا في إعطاء اللغة العربية الصبغة الوطنية والقومية في أذهان العامة في هذه العمالة.

3_ دراسة أحمد الخطيب تحت عنوان:جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر من خلال هذه الدراسة تناول الباحث الدور الذي لعبته جمعية العلماء في جميع ميادين الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية مركزا على أثرها الإصلاحي في المجتمع الجزائري معرفا بالدور الايجابي للحركة الإصلاحية، الذي لعبته خلال فترة حرجة من تاريخ الجزائر ،كما تناول الباحث أيضا أهم الأعمال والمشاريع التي قامت بها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وأثرها على المجتمع الجزائري سواء من الناحية السياسية أو الثقافية ليتوصل في الأخير إلى أن الإصلاح التربوي والديني الذي جاءت به جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كان له الأثر الكبير في الحفاظ على مقومات الشخصية العربية الجزائرية ،وأن ظهور الجمعية عام 1931 م كان بداية مرحلة جديدة من مراحل النضال الوطني في الجزائر .

4_ دراسة مازن المطبقاني بعنوان: جمعية العلماء المسلمين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية هذه الدراسة هي عبارة عن رسالة أكاديمية تقدم بها الباحث لنيل شهادة الماجستير في التاريخ العربي

الحديث من قسم التاريخ كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز ، ثم صدرت كتاب عن دار القلم بدمشق سنة 1998 م.
تتكون هذه الدراسة من أربعة فصول وتمهيد وخاتمة ،تناول في التمهيد أوضاع الجزائر منذ الحرب العالمية الأولى حتى عام 1931م تاريخ تأسيس الجمعية من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وتناول في الفصل الأول نشأة حركة الإصلاح الديني في الجزائر، ثم تناول في الفصل الثاني نشاطات جمعية العلماء في المجال الصحفي والثقافي والتعليمي، وخصص الفصل الثالث للحديث عن نشاطات الجمعية سياسيا مما أدى ذلك إلى المواجهة مع الطرق الصوفية وزواياها والأحزاب السياسية الأخرى، وعالج في الفصل الرابع موقف الإدارة الفرنسية من الجمعية، وقد تميز هذا البحث بالرجوع إلى وثائق جديدة أعطته صبغة الجدية كما تفضل الأستاذ أبو القاسم سعد الله بتقديمه، وقد أثنى على مجهود صاحبه.
5- دراسة عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الأخرى (1931-1945)، الجزائر، منشورات متحف المجاهد،1996 حاول الباحث من خلال هذه الدراسة تبيان الاتجاهات السياسية السائدة في تلك الفترة، مركزا في ذلك على دور جمعية العلماء وتأثرها وتأثيرها في التيارات الأخرى، وذلك بهدف تبيان الدور السياسي والثقافي الذي لعبه العلماء في تقريب وتقليص هوة الخلاف بين الأحزاب والحركات الوطنية، وأثر ذلك في تطوير مطالب الحركة الوطنية. وتوصل الباحث إلى أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالرغم من أنها بدأت كجمعية دينية إلى أنها في النهاية تحولت إلى جمعية سياسية، بحيث أصبحت تخوض في الأمور السياسية، واتضحت بذلك اتجاهاتها وأهدافها الوطنية، كما توصل إلى أن العلماء قد نجحوا في تكوين جيل مثقف وواع متمسك بقيمه العربية والإسلامية وبوجوده الحضاري الذي يميزه عن حضارة المحتل، كما نجح العلماء أيضا في التقريب بين مطالب الأحزاب والحركات الوطنية، وهذا ما رأيناه مجسدا في المؤتمر الإسلامي 1936 م، وحركة أحباب البيان والحرية سنة 1944 م.
6_ دراسة دلال عبد الغني ، القومية العربية من خلال جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الفترة 1931 _1939م دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ المعاصر ،قسم التاريخ بجامعة الجزائر 1981م، حاولت الباحثة في هذه الدراسة إبراز وتوضيح كيفية تبلور مفهوم وفكرة القومية العربية في الجزائر ،وهذا من خلال دراسة أفكار وأعمال جمعية العلماء الجزائريين، ولقد توصلت الباحثة إلى أن الفضل يعود لجمعية العلماء في أبراز المفهوم القومي وهذا من خلال ما كانت تنشره

من مقالات في جرائدها،كما أن جمعية العلماء أثبتت من خلال مواقفها أنها ذات اتجاه عربي إسلامي داخليا وخارجيا وأنها لا تفرق بين القومية العربية والإسلامية، بل اعتبرت دائما أن القومية العربية هي محتواة في القومية الإسلامية.

7-دراسة على حشلاف التي حملت عنوان :المواقف السياسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال صحفها (1931_1939) ،وهي رسالة ماجستير في الأعلام جامعة الجزائر 1994 ، وتتحدث هذه الدراسة عن المواقف والآراء السياسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهذا من خلال تحليل صحفها الصادرة في الفترة الممتدة من سنة 1931 إلى سنة 1939م، وهي المرحلة الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وفترة رئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس لها، ولقد توصل الباحث من خلال هذا البحث إلى إن جمعية العلماء المسلمين قد شاركت في العمل السياسي بطريقة مباشرة خصوصا بعد انعقاد المؤتمر الإسلامي سنة 1936م، وأما فيما يخص علاقة الجمعية بغيرها من الأحزاب والحركة الوطنية، فقد توصل الباحث إلى أن جمعية العلماء تعاونت بشكل مستمر مع النواب ،بينما عاشت صراعا مريرا مع رجال الطرق والزوايا وأنها كانت دائمة الاختلاف مع حزب الشعب الجزائري أما علاقتها مع الإدارة الفرنسية فانه بالرغم من تشدد الإدارة الفرنسية تجاه الجمعية إلا أن الجمعية لم يكن لها رد فعل في المستوى.

8_دراسة بوقجاني أحمد بعنوان: جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية،رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، كلية التاريخ، 2000، حاول الباحث من خلال هذه الدراسة إبراز علاقة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مع غيرها من الحركات الوطنية والدور الذي قامت به جمعية العلماء المسلمين في تطوير الحركة الوطنية ، ولقد توصل الباحث إلى أن جمعية العلماء متميزة عن باقي هيئات الحركة الوطنية الجزائرية لا باهتماماتها التي تختلف في بعض الوجوه عن اهتمامات الآخرين فقط، بل كذلك بالمنهج والأسلوب الذي اتبعته للوصول إلى غايتها، كما توصل إلى أن اهتمامات جمعية العلماء تطورت بتطور حركة الجمعية نفسها وتطور الجو السياسي في تلك الحقبة فقد تمحور اهتمامها حول أمرين أساسيين هما:

أولا: المحافظة على الشخصية القومية الجزائرية وهذا من خلال المحافظة على الإسلام واللغة العربية والوحدة الوطنية.

وثانيا: ترقية المجتمع الجزائري ترقية ثقافية واقتصادية واجتماعية وسياسية .

9_ دراسة موسي بن موسي ،الحركة الإصلاحية في وادي سوف (نشأتها وتطورها 1900_1939 م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير جامعة منتوري قسنطينة 2005_2006 م، تناول فيها الباحث أوضاع منطقة سوف الاقتصادية الاجتماعية الثقافية ،والإرهاصات التي عرفتها سوف أثناء دخول الحركة الإصلاحية والعوامل والشخصيات التي ساعدت على دخول الحركة الإصلاحية لمنطقة سوف وأهم النشاطات والانجازات التي قامت بها الحركة ،وأيضا التحديات التي واجهتها، وخلص إلى أن الحركة الإصلاحية استطاعت قلب الأوضاع الثقافية والاجتماعية في المنطقة لصالح تطور الوعي وانتشار الثقافة وتثبيت المقومات الوطنية وبناء رجال وتجنيدهم لصالح العمل الإصلاحي الوطني .

صعوبات الدراسة:

إذا تحدثنا عن صعوبات أي بحث فإننا لا نخرج من إطار تلك العراقيل الروتينية التي تواجه أي باحث، من بعد المسافة بين المكتبات وصعوبة الحصول على الأرشيف للإطلاع على الوثائق اللازمة للبحث ،وبعض الصعوبات البيروقراطية والتعقيدات وسوء التفهم والتي تزيد من معاناة الباحث وتصعب عليه الحصول على المعلومات الضرورية لبحثه ،ولكن الأهم من هذا كله ما وجهنا من صعوبات في إطار طبيعة الموضوع والمادة العلمية في حد ذاتها، ولعل أهم الصعوبات التي وجهتنا أثناء بحثنا هذا أساسا هي:

1- إن الباحث في الجزائر في مجال التاريخ يعاني من سيادة الكتابة الكلاسيكية في التاريخ الحديث والمعاصر مما يخلق هوة واسعة تفصلنا عن الدراسات الأكاديمية والعميقة في الخارج ،وبذلك لا تساعد الباحث المبتدئ مثلنا على تطوير قدراته البحثية خاصة منهجيا .

2- اعتبار موضوع بحثنا جديد فكانت مادته متناثرة، وفي جزء منها تكاد تكون منعدمة أو مهملة و صعبة الاكتشاف .

3- الجهد الكبير الذي طلبه مني الموضوع في البحث عن المصادر و الوثائق والمقابلات وتوزيعها على الصحف والدوريات.

4- صعوبة جمع الشهادات الشفوية بسبب أن أغلب من عاصر موضوعنا قد التحقوا بالرفيق الأعلى ، دون أن يتركوا آثارا مكتوبة ،ولم توجد لهم كتابات أو مذكرات شخصية لها علاقة بموضوعنا ،وأما الأحياء فقد تداركتهم الشيخوخة مما منعتنا معاناتهم الصحية والمعنوية من لقائهم.

5-انعدام الدراسات التي تتناول موضوع الإصلاح في منطقة الأوراس عموما، ودوره في التعليم ومحاربة الخرافة وأيضا دوره في الدعوة للعمل والتكافل .

خطة البحث :

قسمنا دراستنا إلى مدخل وأربعة فصول وخاتمة:

تناولنا في المدخل:الإطار الجغرافي والبشري لمنطقة الأوراس ،بدأنا بتناول المعنى الدلالي لكلمة الأوراس اسم المنطقة في مختلف اللغات التي ورد فيها ذكرها ، ثم قمنا بالتحديد الجغرافي للمنطقة في مجال دراستنا و بيّنا خصائص بيئتها الطبيعية مظاهر السطح والمناخ بهدف الوصول إلى أثر هذه الطبيعة على إنسانها وإمكانية تفسير بعض الأحداث من خلال ذلك الأثر.

ثم انتقلنا إلى دراسة الإطار البشري متناولين القبائل الأوراسية المختلفة وأصولها ومناطق إقامتها وطبيعة حياتها الاجتماعية والاقتصادية .

ثم تطرقنا إلى التنظيم الاجتماعي للمجتمع الأوراسي وبعض عاداته وتقاليده وهدفنا من المبحث التعرف على التركيبة السكانية والذهنية الشاوية ومحاولة قراءتها بدلالة الحاضر .

الفصل الثاني كان عنوانه : بداية انتشار الفكر الإصلاحي في الأوراس وقسمناه إلى ثلاثة مباحث ،تطرقنا في المبحث الأول إلى أول معرفة للأوراسيين بالفكر الإصلاحي وفيه وقفنا على مجموعة من الشخصيات التي سمح لها مصدر تعليمها ومستواه من حمل الفكرة الإصلاحية و بعودتهم إلى المنطقة ساهم كل واحد منهم بطريقته وحسب إمكانياته إلى تبليغها عبر التعليم ،وقد عرفت الأوراس هذه الشخصيات في مناطق مختلفة وخلال فترات زمانية متباينة مهدت للحركة الإصلاحية القادمة .

وفي المبحث الثاني: تناولنا الطلائع الأولى للطلبة الأوراسيين عند ابن باديس بالجامع الأخضر ووقفنا عند ظروف التحاقهم بالجامع الأخضر وتأثير بيئة حاضرة قسنطينة وشخصية ابن باديس في تكوينهم الإصلاحي.

ثم في المبحث الثالث تناولنا دور الطلبة في نشر فكر العلماء (الاصلاحين) في الأوراس وبينا جهود هؤلاء الطلبة في إيصال النشاط الإصلاحي وأفكاره عبر المؤسسات التي أنشاؤها فكانوا الجسر الذي تعبر من خلاله الأفكار الإصلاحية للمنطقة .

الفصل الثالث :جاء تحت عنوان الدور الثقافي للحركة الإصلاحية وقسمناه إلى مبحثين: المبحث الأول: تناولنا فيه دور الحركة الإصلاحية في نشر التعليم بنوعيه المدرسي و المسجدي

ومدى جهود الحركة فيه ومدى استقبال الأوراسيين لهذا النوع من التعليم والمبحث الثاني تناولنا دور الحركة في محاربة البدع والخرافات،وكيف استطاعت أن تحارب ثقافة متكلسة في مجتمع لقرون وتحويل الناس عليها أو على سلوكات ألفوها ودخلت في جميع مستويات حياتهم.

والفصل الرابع كان عنوانه الدور الاجتماعي للحركة الإصلاحية ،وقد قسمناه إلى ثلاثة مباحث:المبحث الأول تناولنا فيه الفكر الاجتماعي للحركة منطلقاتها وفلسفتها الاجتماعية ومناقشة مدى تأهيل هذه المرجعية في تحدي مشاكل اجتماعية حديثة لمجتمع تماهت أبعاده بين الحداثة والتقليد .

والمبحث الثاني تطرقنا فيه إلى دعوتها إلى التكافل الاجتماعي في المجتمع الأوراسي الذي قطعت أوصاله وضعف إلى حد أصبحت مظاهر الاتحاد وقدرته فيها تكاد تكون منعدمة بسبب الإضعاف الذي تعرض له على جميع المستويات وفي جميع الميادين من قبل الاستعمار .

والمبحث الثالث: تناولنا فيه دعوة الحركة إلى العمل في الأوراس وكيف عالجت مشكلة البطالة التي فرضت جزء كبير منها تجاوز سوق العمل لإمكانيات الشباب الأهالي مما جعلهم خارج الاقتصاد وتحولهم إلى قوة عمل بائرة .

وفي الخاتمة: تناولنا فيها الاستخلاصات والنتائج التي توصلنا إليها في دراستنا محاولين الإجابة عن الإشكاليات التي طرحتها لدراسة .

وأخيرا نتمنى أن تحقق هذه الدراسة شيئا من أهدافها و لا تثني من عزيمتنا الصعوبات التي اعترضتنا ،شاكرا أستاذي المشرف والأساتذة المناقشين الذين تحملوا عياء القراءة والتصحيح الذي أعتقد أنه سيضيف إليّ الكثير .

مـــــــــــــدخل :

الإطـــار الطبيعي والبشري

المبحث الأول :الإطـــار الجغرافي

المبحث الثاني :الإطـــار البشري

مـــدخل : الإطار الجغرافي والبشري للأوراس

المبحث الأول : الإطـــار الجغرافي:

إن دراسة الإطار الجغرافي والبشري للأوراس يفرض على الباحث التعرض بداية للمعـــنى اللفظي لكلمة الاوراس ثم تحديده من حيث الموقع الجغرافي، بالإضافة إلى الإشارة إلى الخصـــائص الطبيعية والبشرية التي يتميز بها إقليم الأوراس محل الدراسة .

1-المعاني الدلالية للأوراس:

الحقيقة أنه ليس يسيرا على الباحث تحديد مدلول لفظ "الأوراس" وهذا على غرار كثير من أسماء ومعاني المواقع بشمال إفريقيا وذلك نتيجة لما خلفه تعاقب العديد من الثقافات الوافدة مـــن الخارج.

ذلك أن لفظ الأوراس ذكر في العديد من اللغات وخلال فترات زمنية مختلفة، فقد ورد في اللغة الإغريقية في كتابات المؤرخ الإغريقي"بطليمـــوس" في القـــرن الثـــاني للمـــيلاد[1] باســـم "Aurasion"، كما أنه ذكر أيضا في اللغة اللاتينية في كتابات المؤرخ بروكـــوب Procope في القرن السادس للميلاد باسم "Aurasius"[2] أما السكان المحليون فإنهم ينطقونهـــا "Aures" أو "Aoures"[3]

أذن فلفظ أوراس قديم الذكر والتداول، وإن كان هناك اتفاق في الاسم بين لغات الثقافات المتعاقبة على المنطقة، وإن ظهر تحوير في اللفظ فإنما يعود إلى لكنة كل لسان، بينما جذر الكلمـــة بقي ثابتا في جميعها.

وأما بخصوص معنى لفظ أوراس: فيذهب ماسكراي Masqueray• إلى تبني وجهـــة نظـــر المستشار لوتورنو Letourneux* الذي أرجع أصلها إلى الاسم السامي " أرزون " والذي يعني

---

[1] – زوزو، (عبد الحميد) : الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي (التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية) 1837-1939، ترجمة مسعود حاج مسعود، ج1، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر، 2005، ص13.

[2] – Lionel, galond : etatlun gustique de l'Aures Antique, Revue Aouras, Societe d'etude et de recharches sur l'Auras Antique, N 02, Decembre, Paris, 2004, P 34.

[3] - Colonel De Lartigue : Monographie de L'Aures, Costontine, 1904, P04.

• ايميل ماسكراي أكاديمي و مستشرق من الليبراليين الفرنسيين عمل أستاذا للتاريخ وأستاذا بثانوية الجزائر العاصمة بداية من سنة 1872 تعلم اللغتين العربية والامازيغية وعمل كباحث اثري بتيمقاد لمدة عامين وخلالها تعرف على المنطقة .

* – لوتورنو ارستيد هوراس :ولد بران بفرنسا عام 1820 م تولى مستشار لدى المحكمة بالجزائر ،يعرف على أنه باحث ومتخصص في فقه اللغة ومستشرق ،درس العديد من اللغات ومنها اللغة العربية التي أجادها ،كما له العديد من الدراسات التي خصت منطقة القبائل وعادتها بمشاركة الجنرال هانوتوا.

الأرز، وهي شجرة تنتشر بكثرة في سفوح جبال المنطقة[1].

أما المستشرقGeorges Marcy الذي بحث عن أصلها في اللغة المحلية للمنطقة، فيصل إلى أنها تعني اللون الكميث، وهو اللون الذي يتميز به الفرس الأسمر[2].

ومن جهة أخرى فان لفظ الاوراس وجد في الكتابات الكنعانية القديمة ، فيمكن أن تكون مشتقة من الكلمة " أور" التي تعني الجبل، وبذلك سميت المنطقة لغلبة الطابع الجبلي عليها[3].

كما قد تكون مشتقة من الكلمة الأمازيغية "أراس "[4] ومعناها بالشاوية "الأصيل " وقد تكون مشتقة أيضا من الكلمة المحلية "أورا"[5] (بدون حرف السين) و التي تعني الحد، فأطلقت على منطقة الأوراس لأنها كانت الحد الطبيعي أو الجغرافي الفاصل بين التل والصحراء ، أو الحد الفاصل بين مناطق الاحتلال الروماني والمناطق الجنوبية المستقلة عنه.

وإذا عدنا إلى المعاجم العربية للبحث عن أصل هذه اللفظة باعتبار أن هناك تأثيرات متبادلة بين المنطقتين، وان كانت في الفترة القديمة باهتة.

فقد جاء في لسان العرب: "ورست الثوب توريساً، صبغته بالورس، وملحفة ورسية صبغة بالورس وورست الصخرة، إذا ركبها الطحلب حتى تخضر و تملاس"[6].

فلعل المنطقة سميت بهذا الاسم لطبيعة صخورها الملساء أو للونها الأخضر خاصة لما يغطيها العشب أو نسبة للباس المعروف باسم الملحفة والذي تشتهر به نساء المنطقة وأورد ياقوت الحموي في معجم البلدان كلمة "الاريس " و قال إنها "في لغة الشام تعني الفلاح ، و هو الأكار و جمعه اريسون و أرارسة ، و ارارس في الأصل جمع أرِّيس . وقال أظنها لغة عبرانية ، أحسب أن الرئيس مقدم القرية تعريبه "[7] وقد تكون سميت لسيادة نشاط الفلاحة على أهلها، أو نسبة للتنظيم الاجتماعي لدى القبائل الاوراسية الذي يأخذ بسلطة شيخ القبيلة

[1] –Duve yrier: bultin de socite geographique, anne, 1976 , p 41.

[2] – عبد الحميد، زوزو: الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي،المرجع السابق ، ج 1، ص 15.

[3] – محمد البشير، (شنيتي): التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 159.

[4]– حسب ما يتداول في اللغة الشفوية لسكان الأوراس

[5]– نفس المصدر

[6] – ابن منظور: لسان العرب، مادة (و.ر.س) ، ج6، ط1، دار صادر، بيروت، ص 254.

[7] – ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار الفكر، ج 1، بلا ت، ص 204.

ومع ذلك تبقى كلمة "الأوراس" غير محددة نهائيا رغم الجهود التي بذلت من طرف الكثير من الباحثين*.

2–التحديد الجغرافي للأوراس:

يمكن القول أن الأوراس الجغرافي هو المنطقة الرباعية الأضلاع التي تمتد من الطريق الــوطني الرابط بين بسكرة و باتنة غربا ثم تنطلق جنوبا من بسكرة مروراً بالنجود الجنوبية للسلسلة الجبلية الأوراسية حتى خنقة سيدي ناجي[1] ثم تمتد حتى منطقة بربار شرقي خنشلة، ونواصل بالاتجاه نحو الشمال الغربي حتى سهل بلزمة ويبلغ طول كل ضلع من الشمال إلى الجنوب الغربي 100 كلــم ومن الشرق إلى الغرب 100 كلم.

ويضاف للأوراس جبال بلزمة الواقعة غربه والممتدة من الشــمال الغــربي حــتى التخــوم الصحراوية وتمتاز بتشابهها الكبير من حيث التكوين الجيولوجي والمورفولوجي إلا أنها تختلف عليه في صغرها[2].

أما الأوراس البشري فنقصد به أين استقرار الإنسان الأوراسي ومارس نشــاطه الزراعــي والحرفي ولغته[3]، والذي يمتد حتى الحدود التونسية شرقا ومن ضمنها النمامشة ويعــني هــذا أن التواجد البشري يتخطى الحدود الجغرافية التي ذكرناها سلفا.

3–المظاهر التضاريسية:

تتميز تضاريس منطقة الأوراس بالتنوع والتعقد وغلبة الطابع الجبلي على مظهرها ,ويمكــن تقسيمها للمظاهر التضاريسية التالية:

أ–المرتفعات:

تعتبر الطبيعة الجبلية المظهر السائد على منطقة الأوراس ويمكن تقسيم جبالها إلى قسمين:

القسم الشرقي: يتكون من مجموعة من الجبال المتوازية والمتجهة من الجنوب الغربي إلى الشــمال الشرقي[4] على شكل سلسلة شبه مسننة، تتقطع مشكلة فتحات تستغل كممرات للــدخول إلى وسطها.

---

* – تبقى هذه المهمة منوطة بعلماء الايتمولوجيا étymologie وهو علم التطور التاريخي للكلمات يدرس أصول الكلمات والتغيرات التي طرأت عليها خلال المراحل التاريخية المختلفة.

[1] – Marc cote: l'aures, une montagne aty pique, revue aouras OP, CIT, P 17.

[2] – Colonel de lartigue: OP ,CIT, P 04.

[3] – عبد الحميد،(زوزو): ثورة الأوراس 1979، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 18.

3- Philippe thirizi : enflanant dans les aures, numidia ain mlila , 1986, P01.

تكونت هذه الجبال بفعل الحركة الالتوائية التي تعرضت لها المنطقة خلال الزمن الجيولـــوجي الثاني واستمرت حتى الزمن الثالث.[1]

وأهم جبالها: جبل أحمر خدو والجبل الأزرق ونوغسين وشيليا وهي أعلى قمة بكل جبال المنطقة إذ يقدر ارتفاعها حوالي 2326 م ، بالإضافة إلى جبال كاف محمل و بوعريـــف ومرتفعـــات أريس، تشرف هذه الجبال في الشمال على المدينة الرومانية القديمة تيمقاد وفي الجنـــوب علـــى بسكرة وخنقة سيدي ناجي و زريبة الواد.

القسم الغربي: يتمثل في جبال بلزمة التي تمتد من الشمال الغربي إلى التخوم الصـــحراوية، وهـــي بذلك تشرف على سهول بلزمة و انقاوس، موازية للكتلة الشرقية وتضيق المسافة بينهما إلى بضع كيلومترات خاصة في شمال باتنة[2] و لهما نفس البنية الجيولوجية والمظهر المورفولوجي لا يختلفا معها إلا في صغر حجمها وتتشكل من جبال متليلي و أولاد سلطان وهي المرتفعات التي تعتـــبر همـــزة وصل بين مرتفعات بلزمة و الأوراس، وجبل ارفاعة الذي يصل ارتفاعـــه الى2178 م وجبـــل الشلعلع و مستاوة، وأولاد سلام وأولاد علي وبوطالب[3] و تغطي هذه الجبـــال أشـــجار دائمـــة الخضرة أهمها أشجار الأرز والصنوبر.

ب–السهول:

تحتل السهول مساحة قليلة من المنطقة، تتركز اغلبها عند نهايات وحواف الكتل الجبلية وأهمها. سهل بلزمة: يقع هذا السهل بين باتنة شرقا و بريكة غربا و سطيف شمالا، أي بين الكتلة الجبليـــة الغربية ويتكون من سهل مروانة وسهل مركودة وسهل رأس العيون ، تعتبر الأخصب والأعلـــى مردودية في كل سهول الشرق الجزائري، تصلح بها زراعة الحبوب وتربية الماشيّة ، ونظرا لهـــذه الأهمية تعرضت للمصادرة من قبل الاستعمار و أقام بها مستوطنات مثل كورناي (مروانة) ورأس العيون و برنيل (رأس الماء)[4].

---

[1] – Hanri ,busson :les valles de l'aures ,annales de geographique ,t,IX,anne1900,p50.

[2]- Marc cote: op , cit,p19.

[3] – عبدالله ،الشافعي : ثورة الأوراس 1916 ، جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الأوراس باتنة ، الجزائر ، 1996، ص 35.

[4] – عمار ،هلال : الهجرة الجزائرية نحو الولايات العثمانية في المشرق العربي (1898–1918)، القسم الثاني، مجلة الثقافة، العدد 84، نوفمبر–ديسمبر، 1984، ص 125.

سهل انقاوس: تميز بالطبيعة الطيبة لتربته و سمكها العميق ومياهه الوافرة تنمو به أشجار مثمرة كالمشمش[1] .

سهل سريانة : يتكئ هذا السهل على جبال بلزمة وله عناصر التربة نفسها ، تعرض أيضا للمصادرة وأقيمت به مستوطنة باستور[2].

– سهل سبيخة : يقع شمال السهول العليا على سفح جبل المحمل تبلغ مساحتها 950 كلم2 يتميز بتربته الخصبة خاصة في جزئها الغربي الذي يسقيه وادي الحطيبة [3].

– سهل زانا وسهل أولاد محمد بن فروج: يقع في منطقة عين ياقوت بين جبال تقرت والبحيرات المالحة ، يتميز بخصوبة التربة ومحيطها شكل من مراعي غنية بالأعشاب .

– سهل مدينة : يقع في الهضاب العليا الشمالية بين جبل شيليا و أشمول يتصل مع سهل واد الطاقة ويقع في منطقة على ارتفاع 1000م يمر به واد زاد من أهميته الزراعية يقيم به أولاد داود

– سهل سفح بوعريف: يمتد من باتنة إلى خنشلة على طوال 100كلم يدعى بالسهل العظيم، تربة صلصالية والقيام بتسميده يزيد من خصوبته وضمان منتوجه.

– سهول خنشلة: يقع بجوار خنشلة أراض سهلية معتبرة مثل سهل "تامغره" وسهل رميلة الذي ازدادت أهميته بتلقيه مياه سد فم القايس .

– السهل الصغير: ويدعى كذلك سهل الموجي يقع أعلى وادي أولاد داود متحصن بين جبال منيعة، رأس الدرع غربا وجبل سران وجبل لوح شرقا[4]

.سهل بوسليمان : يمتد من جبل لوح إلى جبل أحمر خدو يتأثر بالمظاهر الصحراوية التي تصل إليه، مما يقلل من أهميته الزراعية.[5]

– سهل شير: يتلقي مياهه من سيول الثلوج الذائبة لجبل المحمل.

– سهل عين التوتة: يقع جنوب غرب الشطوط يمتاز باتساع مساحته وصلاحية تربته لزراعة الحبوب القمح)وتربية الماشية،الا انه تعرض للمصادرة من قبل الاستعمار بعد ثورة 1870 ومنح لسكان الألزاس و اللورين الذين فشلوا في استصلاحه وخدمته.

[1] – عبد الحميد، زوزو: الأوراس إبان فترة الاحتلال الفرنسي،المرجع السابق ، ج 1، ص 29.
[2] – عمار، هلال: المرجع السابق، ص 125.
[3] – عبد الحميد، زوزو: الأوراس إبان فترة الاحتلال الفرنسي،المرجع السابق ، ج 1، ص 29.
[4] – Hanri ,busson :op , cit,p50.
[5] – Hanri busson : ibid ,p52.

– سهل لقصور: يقع شمال القنطرة، يمتد شمالا إلى رأس الماء يقع شرق جبال متليلي و تيلاتو وأولاد سلطان وغربا مرتفعات الأوراس.

– سهل للوطة: يقع جنوب جبل المحمل ويتكون من ثلاثة أقسام، ويمتاز بانبساطه تربته غنية بالطمي.

– سهل لوطاية: يقع في النجود الصحراوية للأوراس يمتاز بأنه وافر الطمي والرمل وعلى جنابته العليا يتواجد الحصى يبلغ اتساعه 24 كلم يزيد في كميات الطمي له تدفقات الوادي المار به[1].

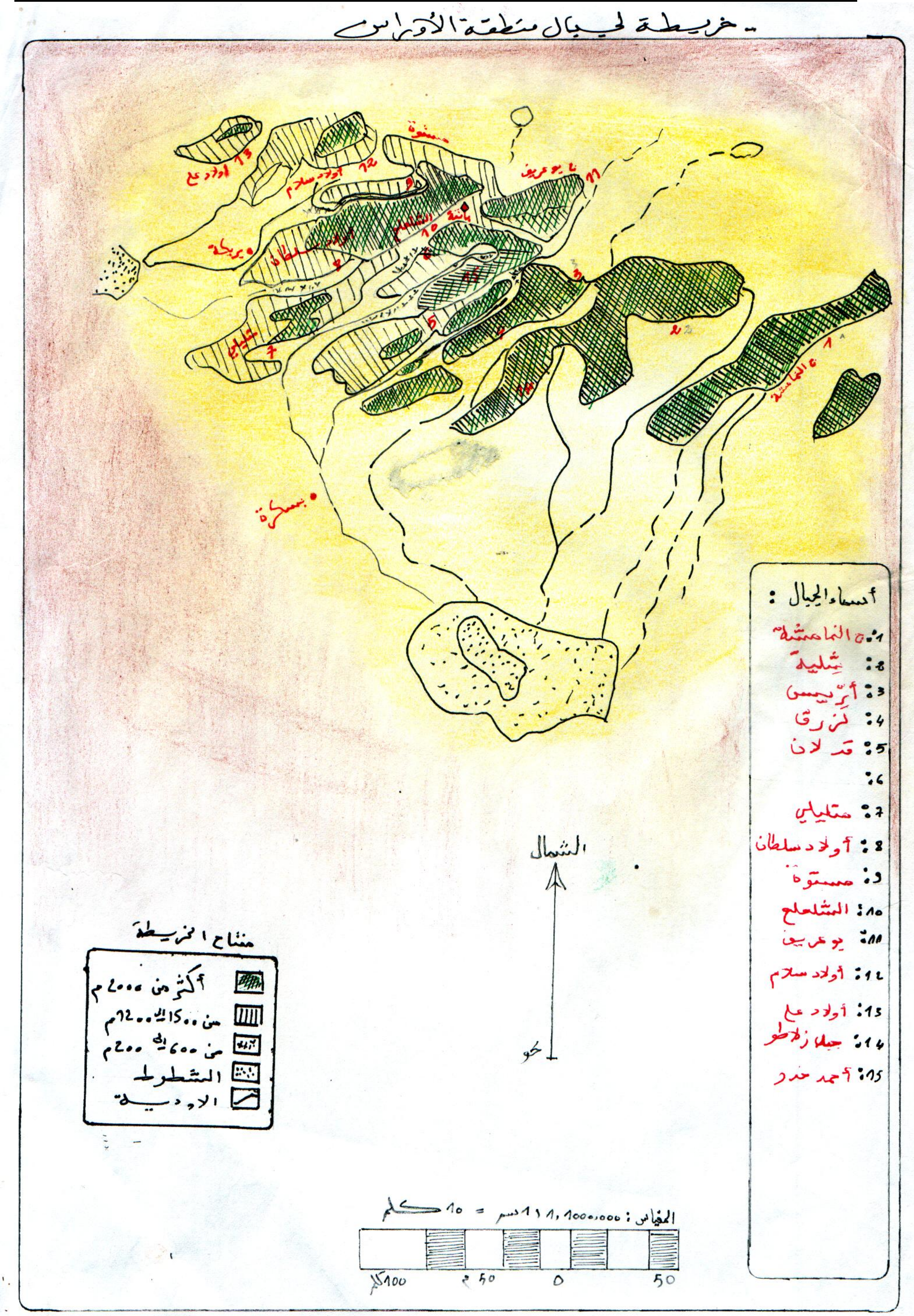
ج–المنخفضات

تبدأ الأرض في الانخفاض كلما اتجهنا جنوبا حيث تظهر أهم المنخفضات مثل منخفض القنطرة الذي يتميز بدرجة ميل كبيرة جدا بداية من القصور، ساعد على إقامة طريق كمنقذ إلى المناطق الصحراوية و أيضا منخفض غوفي الذي يعتبر نقطة التقاء البيئة التلية والصحراوية حيث تتجاور وتتعايش أشجار البرتقال والنخيل ومنخفض و نارسيوين وفم تاغيت و منخفضي واد عبدي و الواد الأبيض وشعبة أولاد سيدي سليمان[2] بالاضافة إلى وجود خوانق على التخوم الصحراوية للأوراس كخنقة سيدي ناجي .

---

[1]– عبد الحميد، زوزو : الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي، المرجع السابق ,ج1 ,ص33 .

[2] – عبد القادر ، حليمي :جغرافية الجزائر الطبيعية والبشرية والاقتصادية ، ط2 ، مطبعة الإنشاء ، دمشق ، 1968،ص52 .


خريطة لجبال منطقة الأوراس
بسكرة
أسماء الجبال :
1: ج النامشة
2: شلية
3: أزريس
4: لزرق
5: قد لان
6:
7: متليلي
8: أولاد سلطان
9: مستوة
10: المشلعلح
11: بوعريف
12: أولاد سلام
13: أولاد عل
14: جبل زلاطو
15: أحمد خدو
الشمال
مفتاح الخريطة
أكثر من 2000 م
من 1500 إلى 1200 م
من 600 إلى 200 م
الشطوط
الأودية
المقياس : 1/1000000 1 سم = 10 كلم
50 0 50 100 كلم

4-المــناخ :

يتحكم في مناخ الأوراس مجموعة من العوامل منها امتداده على عروض حرارية متباينة أين تمتد أطرافه الجنوبية إلى العروض الحارة و تدخل أجزاؤه الشمالية في المنطقة المعتدلة،بالإضافة إلى بعده نسبيا عن المؤثرات البحرية لوقوعه في المنطقة الداخلية و كذلك أثر وضعية تضاريسه الجبلية.

نتج عن هذه العوامل سابقة الذكر سيادة مناخين متباعدين في الخصائص من ا لشمال إلى الجنوب يفصل بينهما خط أفقي، يمتد من شرق الأوراس إلى غربه مرورا بمنطقة بابار ثم ينحدر جنوبا موازيا لوادي العرب وصولا إلى خيران ثم يأخذ سيره إلى اليمين وصولا إلى السفح الجنوبي لجبل أحمر خدو، ثم يتجه شمالا إلى جبل زلاطو ثم يتابع سيره جنوب جبل متليلي مرورا بأراضي أولاد سلطان وصولا إلى سهل الحضنة[1].

يتميز مناخ شمال الأوراس بالبرودة شتاءً و الحرارة صيفا إذ تنخفض في فصل الشــتاء إلى أقل من -9 تحت الصفر في بعض مناطقه المرتفعة و في المناطق الأقل ارتفاعا يصل معدلها إلى 06° و ترتفع صيفا إلى أكثر من 40° بفعل أثر رياح السيروكو القادمة من الجنوب ويقدر متوسط التساقط به حوالي 400 ملم وتتباين بين أماكنه حســب الارتفــاع، والجدول التالي يبين توزيع الأمطار تبعا للارتفاع.

المنطقـــــــــــــــــــة	الارتفاع	معدل التساقط (ملم)
قمم بلزمة (أرفاعة)	2178	700 ملم
جبل أزاك	1650	486 ملم
باتنة	1044	346 ملم
برنال	1050	455 ملم
قمم الأوراس (شيليا)	2326	900 ملم
اريس	1100	345 ملم
منعة	926	272 ملم
تكوت	980	266 ملم
القنطرة	/	221 ملم
بسكرة	124	017 ملم

[1] – عبد الحميد ،زوزو : الأوراس إبان الفترة الاستعمارية ، المرجع السابق ، ج1 ،ص38.

من خلال قراءتنا للجدول نلحظ التفاوت الكبير في كميات التساقط في مناطق الأوراس ويرجع هذا إلى الارتفاع ، بالإضافة إلى موقع المنطقة بالنسبة للشمال أو الجنوب فكلما كانت المنطقة على ارتفاع عال زادت كمية التساقط بها ،وكلما اتجهنا جنوبا قل التساقط لابتعادنا عن البحر ،كما أن المرتفعات العالية تغطيها الثلوج لأسابيع كبيرة من فصل الشتاء [1] هذا ماساهم في نمو أشجار البلوط والصنوبر الحلبي والأرز والفلين خاصة بجبال شيليا و بلزمة وبني ملول[2].

بينما يتميز مناخ جنوب الأوراس الذي يسود السفوح الجنوبية المتاخمة للصحراء بتأثيرات المناخ الصحراوي ,حيث يشهد حرارة وجفاف شديدين تبد أ من منتصف الربيع إلى أواسط الخريف وتسجل أعلى درجاتها في شهور فصل الصيف حيث يصل معدلها من 48 إلى 52° في بسكرة و42 في القنطرة وكمية أمطاره قليلة مما انعكس على غطائه النباتي التي تظهر في صورة أعشاب صحراوية وأشجار النخيل في المناطق التي تغذيها مياه أودية جبال الأوراس[3]، كما يتعايش في بعض الواحات كغوفي و غسيرة أشجار الزيتون والبرتقال إلى جانب النخيل[4].

ويستمر في بعض مناطقه نهايات لغابات الصنوبر الحلبي و العرعار لجبل أحمر خدو وتنمو نباتات الحلفاء المصفرة على السفوح الجنوبية لجبل شاشار، وفي المواسم التي تتعرض فيها لأمطار كثيرة تعرف مراعيها ازدهارا[5].

---

[1]- Jean, DESPOIS: IES GRANDES REGIONS GEOGRAPHIQUES DE LEMPIR FRQNCAIS ALGERIE ET SAHARA T1,E,E,E,PARIS,1948,p111.

[2]– عبد الله ،الشافعي: المرجع السابق,ص38.

[3] –J a n, despois: op , cit, p101.

[4] –ARCHIVES DE COSTONTINE, département de laures, AN67, 1959, p44.

[5] – حليمي ،عبد القادر: المرجع السابق ,ص 82.

5-الأودية:

تنبع أودية الأوراس من المرتفعات الشمالية لجبال الأوراس و بلزمة التي تتلقى كمية من الأمطار و الثلوج و تتجه مجاريها نحو الجنوب الغربي أين تصب في شط ملغيغ وأهم الأودية التي تتواجد بها هي :

وادي بلزمة: ينبع من جبل حيدوس و جبل بوسدان يأخذ مجرى مقوسا متجها نحو الجنوب الغربي و يمر على عدة مواضع يأخذ فيها اسمه، كواد مسارة و شير و انقاوس و بريكة[1].

وادي بر الريش:ينبع من هضبة تافرنت الواقعة وسط جبال بلزمة و يمر بمنطقة سقانة ثم معزوز إلى أن يصل إلى منطقة بيطام و يحمل عند هذه المناطق اسمها و ينتهي مصبه في وسط الحضنة.

واد القنطرة: ينبع من ممر الشلعلع بهضبة باتنة يمر على عدة مناطق يأخذ اسمها حتى يلتقي بالواد القلبي أين يأخذ اسم واد القنطرة،و عند اتجاهه جنوبا نحوى سهل الوطاية يسمى واد بسكرة الذي يلتقي مع وادي جدي مكونين مجرى واحدا يصب في وسط ملغيغ.

واد عبدي: ينبع من رأس قرزة و يمر على مناطق كثيرة أشهرها أولاد عزوز و حيدوس و ثنية العابد و مدور و النوادر و غزال و تصطف على حاشيته أشجار مثمرة حتى منطقتي منعة و شير التي تزدهر فيها بساتين البقول والأشجار المثمرة و له روافد عديدة منها من اليمين واد بوزينة ومن اليسار واد التاغيت وواد نارة.

الوادي الأبيض: ينبع من جبال شيليا برأس كلثوم و أثناء مروره يخترق الجبل الأزرق و أحمر خدو يتميز بمجرى عميق في المناطق التي يمر بها، و تعرجاته المعقدة أين يترك مظاهر بديعة خاصة عند منطقتي غسيرة و غوفي

وادي العرب: ينبع من مرتفعات "جعفة" جنوب غرب خنشلة و جبل "عبدل" ثم ينقسم إلى فرعين ، احدهما شرقي يسمى واد "الغرور" و أخر غربي يدعى واد" جمرة "،ويمر واد العرب على العديد من القرى أهمها "قلعة "التراب و خيران و شبلة وخنقة سيدي ناجي حتى زريبة الواد ويصب حمولته في شط ملغيغ[2]

واد قشطان: ينبع من مرتفعات جبل احمر خدو و له ثلاثة فروع ، واد شرفة غربا، وفتح الله في الوسط وواد الماء شرقا

[1] - Colonel,de lartigue :op , cit , p38.-

[2] - : Ibid, p40.

و هناك أودية أخرى مثل واد شمورة وواد بولفرايس وواد فم القيس ، وواد الحمامة وواد روغال (بغاي)[1] .

وواد القصر يسقى قرى القصر و تبرماسين و سيدي مصمودي.

والحقيقة التي يمكن أن نقف عليها فيما يخص أودية منطقة الأوراس أن اغلب هذه الأودية تتميــز بمجاري قصيرة كما أنها ذات منسوب مائي قليل وهذا يعود إلى قلة التساقط، كما أنها تتعــرض إلى الجفاف في فصل الصيف و رغم ذلك فقد ساهمت في تحويل كثير مـــن منـــاطق الأوراس إلى واحات جبلية ، كما ساهمت أيضا في ري الواحات الجنوبية كزريبة الواد و خنقة سيدي ناجي و بسكرة و الوطاية و القنطرة و جعلتها مناطق صالحة لاستقبال مشاريع زراعية.

المبحث الثاني :الإطـــار البشـــري :

1–القبائل الأوراسية :

ينتمي أغلب سكان الأوراس إلى العنصر البربري ،و يعرفون باسم الشاوية وعرفـــوا خــــلال المراحل التاريخية القديمة و الوسيطة قدوم موجات بشرية من العديد من الشعوب المختلفة مثـــل الفنيقيين و الرومان و الوندال و البيزنطيين و العرب ، فكان الاحتكاك و التعايش مع بعضـــهم غير أن طبيعة سكان الأوراس و تنظيمهم القبلي و الأسري الصارم حملهم على العيش قريبا من الغزاة دون الانصهار والاختلاط الواسع مع هذه الشعوب وخاصة في ما تعلـــق بالنســـب والمصاهرة وان اخذوا عنهم الكثير من القيم و العادات و الثقافات ، و يتكون ســـكان الأوراس بدورهم من العديد من القبائل،سنحاول أن نذكر أهمها محددين أصولها ومناطق تواجدها .

–أولاد عبدي : إذا أردنا تحديد نسب وأصول قبائل أولاد عبدي فان الروايات التاريخية بهـــذا الشأن مختلفة فالكولونال دو لارتيغ يرجع نسبهم إلى الأصل العربي الشريف و يقول بعودتهم إلى أولاد هلال الذين جاءوا إلى المنطقة حوالي 1048م[2].

بينما يرى ماسكراي خلاف ذلك حيث يذكر أنهم خليط من السكان البربر و معمرين من أصول رومانية[3].أخذوا العادات البربرية .

يقيمون في أمتان و منعة و شير و تعتبر هذه الأخيرة عاصمتهم السياسية يقيم بها شيخ القبيلـــة و القاضي وتمتاز أراضيهم بخصوبتها مما سهل لهم الاستقرار و اكتساب نمط الحياة الحضرية مما اثـــر

Hanri,busson: op, cit, p49.-- [2]

2- Colonel,de lartigue :Ibid ,pp36,44.

[3]- Hanri,busson : Ibid, p 49.

على طباعهم التي وصفت بالرقة و يقيمون مساكنهم و قراهم على رؤوس الجبال مشرفة على الوادي " واد عبدي" مصطفة البيوت ، و ينحتون مغارات داخل صخور الجبال صعب الوصول إليها، و يقيمون بروج للمراقبة لرصد العدو، القادم من جيرانهم الطامعين في خيرات أراضيهم رغم عدم نزوعهم للحرب فأولاد زيان في الجنوب و سكان نارة من الشرق و أولاد داود في الشمال[1].

-أولاد داود :و يدعون التوابة يقطنون بالوادي الأبيض لهم دواوير وهي أشمول تنغانمين و مشونش من أصل أمازيغي أبناء عمومة مع أولاد عبدي يحيون ذكرى جدهم المشترك سيدي بلخير قراهم المتتابعة يقع اغلبها على الضفة اليمنى للوادي[2].

يمتازون بالمزاج الحربي لطول حروبهم مع جيرانهم في الشمال الشرقي و الشمال الغربي أولاد عبدي[3] الذين يصطدمون معهم عند اتجاههم إلى الحقول الشمالية الأكثر خصبا بسبب عدم كفاية أراضيهم لحاجاتهم.

حيا تهم تتصف بالبداوة و هي السمة البارزة عندهم ففي الشتاء يحرثون سهل مدينة ليعودوا لحصاده صيفا و خلال الفترة الباقية ينتقلون مع شياههم القليلة بحثا عن الماء و الكلأ في منحدرات جبل درع و جبل سيران و في الخريف يترلون بينان و مشونش لشراء التمور.

تنقلاتهم منتظمة يسكنون الخيمة في موسم الترحال ، كما لهم مساكن قارة و قلاع و إن هذه الأخيرة اقل أهمية من قلاع أولاد عبدي[4] لقلة مخزونها.

بني بوسليمان: شاوية بربر يسكنون أعالي واد شناوة حتى قمة شيليا تمتد قراهم من المنطقة الممتدة من تازغارين إلى شمال سلسلة " دار زلاطو" و هم فروع أسعادته (أولاد سعدية) و أولاد عبد الرزاق أولاد عمر زرارة و أولاد سليمان بن حمزة و هم عرب[5]وأولاد عبد الرحمان و المرادسة و هم خليط بين العرب و البربر .

أولاد سيدي عبد السلام و أولاد قاسم يعتقد في نسبهم العربي الشريف المنحدرين من الساقية الحمراء يسكنون تكوت و يقيمون فيها.

أولاد سيدي عيسى جدهم عيسى ويعتقد أنه قدم من القيروان.

---

[1]-- Colonel,de lartigue : op, cit,p50.

.

[2]- Hanri,busson: op,cit, p51.

[4]- Hanri,busson: Ibid, p51.
[5]- Colonel,de lartigue : op,cit,p172.

تنتشر قرارهم في زلاطو و تكوت و توجد قلاعهم في قرى شناورة و تكوت يقضون الصيف في جبل زواق و الشتاء في جبل احمر خدو.

أولاد زيان : يتفق الباحثون على أصولهم العربية و يذهب دو لارتيغ إلى القول بنسبهم الشريف، و أنهم وفدو من الساقية الحمراء حوالي 1500 م بقدوم جدهم سيدي زيـــان و ينقســـمون إلى الحوامد و القرارة و أولاد عامر (أولاد عريف)

يتوزعون على أربعة واحات و هي جمورة و البرانس و بني سويك و قديلة[1].

محبون للقتال ، استطاعوا بموهبتهم القتالية السيطرة على جيرانهم أولاد عبدي في الشـــمال بعـــد الاحتلال الفرنسي احتفظوا فقط بحق الحصاد و الرعي في الشمال و في ضواحي واد الطاقة ، تمتاز حياتهم بالبداوة يجبون وادي عبدي مرتين في السنة[2]

الأخضر خلفاوي: تضم هذه القبيلة أربع مجموعات من أصول إفريقية مختلفة جاءت من أزمنـــة مختلفة وهم:

أولاد سيدي يحي بن زكري من أصل بربري قدموا من الساقية الحمراء والربكات من أصول عربية

أولاد يوسف: من أصول عربية كما تحتوي عناصر بربرية ليست لها عادات مشتركة مما قلل من تضامنها.

تتمركز هذه القبيلة في عين التوتة و يتوزعون على أربعة دواويـــر و هـــي دوار القصـــور الربكات و دوار تيلاطو و دوار سقانة[3] .

قبيلة أحمر خدو :تضم تسعة قبائل مختلفة منها قبيلتين عربيتين و هما سراحنة و الشـــرفة و بقيـــة القبائل بربرية وهي :

السراحنة: يسكنون الجهة الشرقية من جبل أحمر خدو في سهل واد الشرفة و سهل واد درمـــون يقضون الشتاء تحت الخيام في قريتي البهل و سي تالشتيد

الشرفة :يتوسطون أراضي بني جلول و بوسليمان و تدعى أرضهم " كمن متاع الشـــرفة" علـــى طول واد الشرفة و توجد لهم زوايا في كثير من القرى .

---

[1]- Colonel,de lartigue :Ibid, p160.
[2]- Hanri,busson: op,cit, p48.
[3]- Colonel,de lartigue :op,cit, p154.

أولاد عبد الرحمان كباش : يعود نسبهم إلى الأصل الشاوي ويتوزعون على قريتين ، قرية كباش الواقعة في منحدر صعب و قرية تاوريا التي تمتاز بالمسلك الضيق و الصعب و هم من أصول شاوية[1] .

أولاد يوب: لهم عدة أصول بعضها ينسب إلى العنصر العربي. قراهم هي تيبود جورين و تبرماسين و سي مصمودي و هي قرى يقيمون فيها شتاءا أما قريتي " دشار القصر" و" القلعة الجديدة" و الواقعة في الجبل يعتبرونها ملجئ في حالة مداهمتهم من طرف العدو.

أولاد زرارة يقيمون في الجهة الجنوبية من جبل احمر خدو و قرى عشاش و أولاد سليمان بن عيسى و أولاد حاج علي.

بني ملكن : يسكنون جنوب جبل احمر خدو يمتدون شمالا إلى جنوب عين بن خليل[2] .

قبيلة مشونش : تقيم قرب جبل احمر خدو حيث تمتد واحة مشونش على الوادي الأبيض و يكثر بها النخيل و يسكن بها بني حامد وأعراب جمعي وأولاد سليمان و أولاد مبارك كما يوجد قرية بانيان التي يسكنها أولاد عشاش و أولاد احمد، كما تحوي دوار الديسة و الهابل هذه الأخيرة سكانها عرب من أصول قبائل أولاد داود [3].

أولاد غسيرة: يعود نسبهم إلى الأصل الأمازيغي لهم ميول للجنس الروماني ينقسمون إلى قسمين هما أولاد علاوة و أولاد الحاج وزاني يتوزعون على اثني عشرة قرية مبنية على القمم الصخرية ، يتنقل أهلها صيفا إلى أعلى قمة جبل أحمر خدو و يعدون إلى سهلهم في موسم قطف التين[4]

قبائل بني أوجانة:ينحدرون من أصول أمازيغية و يذهب "دولارتيغ "إلى القول بأنه ليس لهم تاريخ واضح و تحوى الأرباع و أولاد عمر[5]

يقيمون في المنحدر الشمالي الشرقي لجبل شيليا و يترلون في الشتاء جنوبا إلى سهل ملاغو

قبائل لعمامرة: وهم خليط بين السكان الأصلين الأمازيغ المعمرين الرومان ينتسب إليهم يوغرطة و الكاهنة ، وينتشرون في جبل عمامرة ، يقضون الشتاء تحت الخيام في منشر و بودودة و حمزة المترل و بوضياف و جبل الجحفة.

أولاد فضالة : تتكون هذه القبيلة من فرقتين فرقة أولاد فضالة و فرقة بني معافة.

---

[1]-Colonel,de lartigue :Ibid, p178.

[2] – عبد الحميد، زوزو: الأوراس ابان فترة الاستعمار الفرنسي،المرجع السابق ، ج1،ص67،68.

[3]- Colonel,de lartigue :op,cit, p175.

[4]- Colonel,de lartigue :Ibid, p170.

[5]- Colonel,de lartigue :Ibid, p178.

أولاد فضالة جاؤا من الغرب و استوطنوا القنطرة حوالي القرن الحادي عشر الميلادي (1037 م) عرفوا بعض العناصر اليهودية ، انتقلوا إلى نواحي باتنة أين يقضون شتاءهم في (شنوا) chAnouA و صيفهم في تازولت .

بني معافة خليط من الليبين لم يغادروا الجبال التي أقامو بها استوطنوا في القرن18 م و ارتبطوا مع أولاد فضالة .

بني فرح : قبائل مستقرة ينسبون إلى الشاوية يقيمون جنوب قبيلة أولاد عبدي يرتبطون معهم بعلاقات أخوية لغتهم بين لغة أولاد عبدي ولغة أولاد زيان و أكثر هم نزحوا إلى قسنطينة لتسيير الحمامات و آخرون يزرعون النخيل و الشعير و التين و الزيتون ، مازالوا يستعملون المعاصر الرومانية القديمة[1]،و من قراهم عين زعطوط .

الصحارى: من أصول عربية هلالية و فدو المنطقة حوالي 1048 م يقطنون الواحات الجنوبية القنطرة و الوطاية ،استوطنوا في البداية جبل الصحارى (بجوار الجلفة).

هاجرت هذه القبيلة إلى الحضنة و أسس احد شيوخها زاوية هناك،تقاتلوا مع أولاد سحنون ويمتازون بالروح القتالية يتمركزون حاليا بمدو كال و القنطرة و الوطاية[2].

أولاد بوعون: يقيمون في سهل بلزمة بين جبل مسعودة و تكيلت و يضطرون للصعود إلى جبل مستاوة في أوقات الحروب و الاضطرابات لمناعته.

أولاد حيدوس : يسكنون جبل حيدوس يترلون في فصل الزرع إلى سفح الجبل بين سهول ميسرة و أولموثنين و بويريون.

أولاد فاطمة : يقيمون في جبل فاطمة يترلون شتاءا إلى سهل بلزمة .

أولاد سلطان : وهما فرعان أولاد سلطان و أولاد قبالة.

يقيم أولاد سلطان في الشمال و يتكونون من عشائر أولاد احمد الذين ينتقلون شتاءا إلى ثلاث وصيفا يتجهون إلى سهل "شتار".

و أولاد سلطان و أولاد حمودة يقيمان معا في "اللنين". على سفح جبل بواري و يقضيان الصيف في "الشعث".

يقيم أولاد قبالة في الجنوب و يتكونون من عشائر أولاد سي سليمان و أولاد رحاب و يقيمون في انقاوس , و زعبيب و البراكنة و أهل ايسومر.

---

[1]- Colonel,de lartigue :Ibid, p p157,158.et hanri ,busson: op,cit, p45.
[2]- Colonel,de lartigue :Ibid, p158.

قبائل أولاد سلام: و تتكون من عشائر أولاد أبركان و أولاد زكري و أولاد سلام قبالة ينحدرون من أصل بربري اختلطوا مع عناصر وافدة من الصحراء .
يقضون الصيف في المرتفعات الجبلية و الشتاء يترلون إلى السهول التي يزرعونها قمح و شعير وقد اشتهرت سهولهم بخصوبتها مثل سهل رأس العيون.و مسيل و البرجة البيضاء.
بالإضافة إلى قبائل حراكته المعذر وأولاد شليح وأولاد سيدي علي تحامت و حليمية يقيمون في الشمال الغربي[1] ما بين عين ياقوت و باتنة حتى القنطرة .

والجدير بالذكر أن القبائل الاوراسية عرفت ضعف نفوذ السلطة المركزية عبر مراحل الحكم المختلفة ،فكانت في منئ عن سلطة تنظيمها وإدارتها ،هذه الغياب للسلطة جعل علاقة القبائل مع بعضها البعض تتسم بالصراع والحروب بسبب التدافع على أراضي الماء و الكلاء والزرع ،مما استدعى عمل كل قبيلة على الإستقوى للحفاظ على نفسها ،إلى الدخول والانخراط مع قبائل أخرى في أحلاف وصفوف جمعت بينهم المصلحة أكثر من علاقة الدم , وأهم هذه الصفوف التي عرفت في الأوراس هي :
صف التوابة : والذي كان يضم نصف قبيلة بني فرح وبني فضالة و مشونش وأولاد زيان و نارة وتاقوست و بوزينة .
وصف أولاد عبدي:و الذي تشكل من قبائل أم الرحى وأولاد عزوز وبني بوسليمان ونصف قبيلة معافة وأولاد وجانة وأولاد عشاش وأولاد ملول والأرباع[2] .

كما ساهم باي الشرق في خلق قيادات في الأوراس في محاولة لبسط السلطة العثمانية عليها والسيطرة على المنطقة .
يمكن أن ننوه في الأخير أن أغلب القبائل الأوراسية تعيش حياة نصف البداوة التي تفرضها الظروف المناخية كالبرودة القارصة في فصل الشتاء بالمرتفعات الجبلية ،مما يضطرهم إلى الترول إلى السفوح كما تضطر القبائل التي تقضي الشتاء في الجنوب إلى الصعود إلى المرتفعات الجبلية في فصل الصيف سعيا لتجنب لهيب السيروكو.

[1]– عبد الحميد، زوزو: ثورة الأوراس 1879 ،المرجع السابق ، ص26 .
[2]- Emile, masqueray, voyage dans l'auras, études historique , bulletin de la société de géographie de paris, T14eme , Imprimerie de martinet Paris1876,p53.

و أيضا ساهمت قلة التساقط التي لم تسمح بإنبات ما يسمح بمزاولة النشاط الزراعي، إلى أن فرضت على القبائل التكيف مع إمكانيات بيئتهم عن طريق التنقل على مساحات واسعة بحثا عن الماء و الكلاء لماشيتهم .

أما القبائل المستقرة و هي قليلة فقد سمحت ظروف بيئتهم الجغرافية الملائمة للزراعة إلى تحقيق حاجاتهم نسبيا و الاستقرار بها.

2-التنظيم القبلي :

يستند التنظيم الاجتماعي عند بربر الشاوية في منطقة الأوراس على القبيلة ،وقد استمرت القبيلة كوحدة اجتماعية وعضوية للمجتمع الأوراسي من العصور القديمة إلى كل الفترة الكولونيالية ،رغم ما اعتراها في هذه الفترة الأخيرة من عنف قانوني وإداري لإضعافها . والتنظيم القبلي الذي كان سائدا عند سكان الأوراس هو تنظيم فرضته الشروط الطبيعية والمناخية المتمثلة في الطبيعة الجبلية والمناخ الشبه الصحراوي الذي عجز عن تقديم فائض إنتاج كفاية لترسيخ الجماعة في مكان قار والعيش في نمط حضاري مستقر ، مما فرض على الناس التنقل الدوري الذي أنتج نمط البداوة أو نصف البداوة [1]، وسكان البادية مثل ما يذهب ابن خلدون ، أحوج ما يكون إلى التعاون في تلبية حاجات المعاش[2] .

و القبيلة في المجتمع الأوراسي و على غرار المجتمعات البربرية في الشمال الإفريقي تنسب إلى الجد ، مما جعل الرابطة الدموية هي الرابطة الجامعة وهي التي تفسر اتحاد والتحام أفرادها وعصبيتهم . وبهذا الصدد يذهب محمد عابد الجابري إلى القول: (القرابة والملازمة شرطان ضروريان لوجود العصبية، وهما أيضا اللذان يميزانها عن غيرها من الجماعات، ذلك لان العصبية بهذا الاعتبار جماعة دائمة فهي بذلك ليست من الجماعات المؤقتة التي تتشكل تلقائيا بمناسبة طارئة في مكان وزمان معين بدافع خارجي)[3].

إلا أن هذا الشعور بالارتباط الدموي بين أفراد القبيلة غالبا ما يكون وهميا لأنه من الصعب أن تحافظ القبيلة على نقاوة دمها لان تكوينها عبر قرون من الزمن يكون أحد عوامله بالإضافة إلى الزيادة الطبيعية انضواء عائلات أخرى تختلف معها في الأصل بدافع المصلحة المشتركة ويتعزز

---

[1] – عدي , الهواري : الاستعمار الفرنسي في الجزائر (سياسة التفكك الاقتصادي والاجتماعي 1830-1960) , ترجمة جوزيف عبد الله , ط1, دار الحداثة , لبنان , 1983, ص26.

[2] – عبد الرحمان , ابن خلدون : المقدمة , دار الجيل , بيروت , لبنان , بلات , ص132.

[3] – محمد عابد , الجابري : العصبية والدولة , معالم نظرية ابن خلدون في التاريخ الإسلامي , ط1, دار الثقافة الدار البيضاء , المغرب , 1982, ص152.

انتماؤها بالمصاهرة حتى تذوب في نسب القبيلة المركز[1] ،ولا يبقى إلا الذكر الخفيف والخافت عن هذه العائلات أنها ليست من الأصل.

وباعتبار أن القبيلة كانت تمثل السلطة السياسية والاجتماعية فكانت لها هيئة تقوم بتسييرها و إدارتها تدعى الجماعة.

3–نظام الجماعة :

الجماعة هي تنظيم اجتماعي تميزت به المجتمعات البربرية التي عوضت بها السلطة المركزية التي كانت دائما غائبة أو ضعيفة لديهم ، وتتكون من مجموعة من الأشخاص أعدادهم متغيرة ، غالبا ما يتميزون بكبر سنهم فهذه الميزة تمنح خبرة الحياة و التجربة وامتلاك ذاكرة جماعية و تاريخ لتجربة القبيلة مع الطبيعة و الجيران ، فبهذا تكون آراؤهم وقراراتهم حكيمة و سديدة ، بالإضافة إلى ثروتهم حيث يستطيعون تقديم التضحيات و المعونات المالية في أوقات الأزمات ، وأيضا القوة والشجاعة التي تمنحهم الاحترام و التقدير، وكم هو مهم الاحترام و التقدير من طرف أفراد المجتمع لتنال قراراتهم الامتثال و التطبيق من طرف الجميع .

وينظرون بالتشاور في القضايا التي تطرأ بين الأفراد و الأعراش أو أي أزمة خارجية كعدوان أو جفاف وفي قراراتهم يراعون مصلحة الأفراد و القبيلة[2] ولا تتخذ إلا بإجماع الحاضرين ويستندون في قوانينهم إلى أعرافهم .

و الجماعة في منطقة الأوراس إذا ما قورنت بنظيرتها بمنطقة القبائل نجد أنها أقل فاعلية[3] ، ولعل هذا يعود إلى التنقل الدائم للسكان فلا يكون بوسعها بسط سيطرتها بفاعلية على أفراد يتنقلون خلال فترة زمنية طويلة على عكس سكان منطقة القبائل الأكثر استقرارا ، كما أن الجماعة بمنطقة القبائل لها أمين دائم وهذا ما لا نجده عند الشاوية، وفي الفترة العثمانية كان اختيار الجماعة من طرف الإدارة العثمانية من رجال عرفوا بالشجاعة و القوة وكانت تدعى "كوبجي" kobbji ويشارك جميع أفراد القبيلة في التشاور لحل المشاكل أو معاقبة المجرمين ، كما قامت الإدارة الاستعمارية بمحاولة إضعافها فأنشأت سنة 1919م جماعة الدواوير كجماعة رسمية منتخبة إلا

---

1 –عدي , الهواري : المرجع السابق , ص117.

2 – أندري , برنيان وآخرون : الجزائر بين الماضي والحاضر , ترجمة رابح اسطمبولي , ديوان المطبوعات الجامعية , ص208.

3– فليب , لوكا وجون كلود , فاتان : جزائر الانثروبولوجيين (نقد السوسيولوجيا الكولونيالية)، ترجمة محمد يحياتن و آخرون ، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال ، الجزائر ،2002 ، ص117.

أن نفوذها ومكانتها المعنوية بقيت عند سكان إذ يرجع إليها في الكثير من القضايا وحل الخصومات[1] .

4-العادات والتقاليد:

حمل سكان الاوراس الكثير من العادات والتقاليد من العصور السابقة منها الوافد من الحضارات وثقافات الشعوب التي تعاقبت عليهم ومنها المحلي وقد استمرت حتى الفترة الحديثة ومنها

الوشم : وهو عبارة عن رسوم في شكل خطوط متقاطعة وزاويا متقابلة أو صليب ترسم على الوجه ،كانت في القديم ذات دلالة دينية وكتعويذ لطرد الأرواح الشريرة لصاحب الجسد الحامل لهذا الوشم كما استمر كتقليد للتزين عند النساء.

-المناسبات الاحتفالية

رأس السنة البربرية:

يحمل اسم ينار وهناك قبائل تدعوه ببويني، يري ماسكراي أن هذه المناسبة وفدت للمنطقة في العهد الروماني مع دخول المسيحية[2]، وبقي العمل جار بها كما يذهب إلى تحديد وقتها ثمانية أيام قبل نهاية كل سنة ميلادية، الا انه مشهور عنها أنها تقام ليلة 13 جانفي من كل سنة ميلادية[3] ،وفي ليلة هذه المناسبة تقدم وجبة باللحم والبيض ويدوم الاحتفال بها ثلاثة أيام وفيها تعاد كل الأدوات المستعارة وتغير الأثافي بالذهاب باكرا إلى الوادي قبل طلوع الشمس بإحضار أثافي جديدة والتعطيل عن أعمال الغزل الخياطة والحياكة لمدة أسبوع وتغسل جميع الثياب[4].

عيد الربيع: يحتفل به عند دخول فصل الربيع بالرقص والغناء و تطبخ وجبات غنية ودسمة مثل الشخشوخة و الرفيس وترافقها العاب بالكرة تدعى أكرار.

عيد الخريف: يتم عند جني كل محاصيل الحبوب وتخزينها في شهر سبتمبر ويدوم ثلاثة أيام كما تتم في هذه الفترة اغلب الأعراس فيحتفل بها بالغناء والرقص واللعب بالكرة ويقدم اللحم وحتى الفقراء يشترون منه وسكان منعة يتميزون بمبالغتهم بالاحتفال حيث يخرجون جميعا نساء وأطفال في الصباح دون تغذية إلى الجبل وكل فرد يجلب معه أغصان وأعشاب خضراء، وهذه العملية

[1]- Emile, masqueray, op,cit, p50.
[2]- Hanri,busson: op,cit , p48.

[3] – من خلال لقاء مع بعض أفراد من المنطقة .
[4] – دائرة المعارف الإسلامية : (مادة) الأوراس , ج3 ،ص122.

تكون على وقع المزامير، وعند دخولهم المدينة النساء يلعبن بالكرة والرجال بالرصاص حتى المســاء وهكذا حتى تتم ثلاثة أيام العيد[1].

الألعاب

لعبة الكرة: تجري مباراها بين فريقين ويشترك فيها حتى الكبار والكرة كانت تصنع من كرنــاف النخيل أو من شعر الماعز أما المضارب التي يدفع بها اللاعبين الكرة فكانت تصنع من جريد النخيل أو غصن السنديان أما قاعدة اللعب فتقتضي بان يوجه كل فريق الكرة إلى ارض الخصم بواســطة عصا معكوفة من طرفها وتشوى على نار خفيفة[2].

وصفوة القول أن منطقة الأوراس التي عرفت تزاحما كبيرا من النشاط البشــري للفئــات المختلفة المكونة للمجتمع الاوراسي الذي ميز إنسانها عن غــيره ، عــاش في طبيعــة جغرافيــة وتضاريسية وعرة من جبال صخرية حادة ومناخ بارد قارص وحرارة لاسعة تركت أثرها علــى سلوكات الأفراد والجماعات، فالجبال المتجزرة وضعت السكان في احواز جغرافية مغلقة قللت من فرص الاتصال وانتقال التأثيرات الخارجية مما أبقى هذه التجمعات معزولة ومنطويــة أدت إلى سكونه و لم توفر الاتصالات الضئيلة والرتيبة ما يساهم في تحريكه وتحويله وبذالك بقيت تعمــل بالمعطيات الثقافية والاجتماعية الموروثة عن الآباء من فترات سحيقة.

و قد تعززت هذه الظاهرة من خلال الممارسات التي اتخذها الغزاة المحتلين المتمثلــة في الاستعلاء واحتقار العنصر الأهلي ،و لم يتم التواصل معه إلا في أشكال الاستغلال والتســخير في الأعمال الشاقة أو نشر قيمه الثقافية كالديانة وبعض العادات والتقاليد في الفترات القديمــة، وإن لاقت عزوفا كبيرا عند العدد الواسع من السكان المحليين وهذا حسب رواية المختصين ،غير أننا لا ننكر تأثر فئات بها ومع مرور الزمن وتوارث الأجيال لها و تماهيها مع القيم الأصلية انتشــرت في باقي الفئات كعادات محلية تظهر في مناسباتهم اليومية والسنوية فساهمت إلى حد مــا في تــراثهم الثقافي .

كما لا ننكر أيضا أن يكون هناك وان كان قليلا تصاهر بين السكان المحليين و الغزاة الرومان و الو ندال عبر الزواج المختلط ، إلا أن هذا لا يدعونا لنذهب إلى ما ذهب إليه ماســكراي في نسب العدد الهائل من سكان بعض القبائل إلى الأصول الرومانية وإن اعتمد هــو الأخــر علــى روايات واعترافات زعماء محليين، وإن حججه التي اعتمدها كالحجج الثقافية من خلال ما شاهده

---

[1]- Hanri,busson: op, cit, p p 48,49.

[2] – مالك , بن نبي : مذكرات شاهد للقرن , دار الفكر المعاصر , لبنان , بلات , ص22.

من عادات مسحية ورومانية فهذه تأتي مثل ماسبق ذكره عن طريق التأثير وانتقال الشئ الثقافي ،كما أنها لا تمثل إلا النذر القليل من عادات هذه القبائل أما ما لاحظه من ميزات مورفولوجية وجسمية وحسن في شكل إنسان هذه القبائل فلا يمكن الاعتداد به لأنه ببساطة لا يمكن حصر صفات الجمال على الجنس الروماني والأوروبي فقط .

وإن التفسير البيئي الذي يقول بتأثير البيئة على الصفات الجسمية للإنسان ليؤكد ويثبت أن البيئة الاوراسية قادرة ومؤهلة على أن توجد إنسانا بحسن الإنسان الأوراسي وإن التشابه الحاصل بين الإنسان البربري عموما والأوروبي إنما مرده إلى تشابه البيئات وخاصة أن البيئة الأوروبية وبالضبط الجنوبية منها لا تختلف كثيرا عن طبيعة البيئة البربرية خاصة في تلك المناطق والجبال التي يسكنها من أدعى فيهم الأصل الروماني، وحسب رأينا أن ماسكراي يريد من وراء التمسك بهذه الفرضية أو الرأي هو الترويج إلى الفكرة الاستعمارية التي كانت دائما تصب في محاولة إرجاع السكان من الأوراسيين والقبائل إلى أصول لاتينية و رومانية.

الفـــــــــــصل الأول :

الحالة العامة عشية ظهور الحركة الإصلاحية

-المبحث الأول :الأوضـــاع الاقتصادية

-المبحث الثاني :الوضـــــع الاجتماعي

-المبحث الثالث :الوضـــع الثقـــافي والديني

الفصـــل الأول : الحـــالة العامة للأوراس عشية ظهور الحركة الإصلاحية:

المبحث الأول :الأوضـــاع الاقتصادية:

تتميز منطقة الأوراس بأنها منطقة جبلية شديدة التضاريس الوعرة و لا تتوفر على المســـاحات التي يمكن أن تستقبل المشاريع الزراعية و على هذا الأساس فإن المنطقة كانت قليلة مـــن عنصـــر الكولون أصحاب الأراضي الزراعية إذا ما قيست بأراضي الشمال ، و رغم أن الإدارة الفرنســية قامت بإنشاء بعض المراكز الاستيطانية مثل عين التوتة (ماكماهون) و واد الماء (برنال) و قايس ، إلا أن أغلب الأوروبيين الذين وطنوا في هذه المراكز و غيرها كان نجـــاحهم في إنشـــاء مزارع قليلة الأهمية حيث نرى أن أغلبهم تحولوا إلى موظفين بسطاء أو تجار أو حرفيين و هناك من غادرها نهائيا [1]، بينما بقي الأهالي يزاولون نشاطاتهم الاقتصادية بالطريقة المعهودة لديهم من القدم طيلة الفترة الاستعمارية و يتمثل نشاطهم في الفلاحة و الرعي و التجارة .

1–الزراعة :

تعد الزراعة من النشاطات الأساسية في منطقة الأوراس فقد مارسها الإنسان الأوراســـي وورثها جيل بعد جيل ،و ينتج القطاع الزراعي في الأوراس أنواع مختلفة من المزروعات إلا أنه يضع في أولوياته أنواع محددة من المزروعات وهذا تبعا لحاجة الأهالي ، لذلك تأتي زراعة الحبوب في صدارة الإنتاج الزراعي للمنطقة باعتباره المكون الأساسي للعديد من الوجبات الرئيسية.

أ–الحبوب:

تعد الحبوب أكبر المزروعات سيادة عند الفلاح الأوراسي ، لأنه المحصـــول الرئيســـي في غدائه سواء للسكان أو لحيواناتهم ،كما أنه يشغل أكبر مساحة من أراضيهم الزراعية ، و يتكون من الأنواع التالية القمح و الشعير و الذرة و الجدول التالي يبين لنا كميـــة منتـــوج الحبـــوب في البلديات الستة: (معدل خمس سنوات من 1932م - 1936م) :

---

[1] – شارل روبرت، اجيرو: تاريخ الجزائر المعاصرة ،ترجمة عيسى عصفور ،ط1،منشورات عويدات،بيروت،1982، ص86.

البلدية المنتوج	بلدية خنشلة المختلطة[1]	بلدية عين القصر المختلطة[2]	بلدية بلزمة المختلطة[3]	بلدية الأوراس المختلطة[4]	بلدية عين التوتة المختلطة[5]	بلدية لومباز[6]
القمح الصلب	187.000	103.525	43.525	55.000	20.000	2.400
القمح اللين	4.000	1.050	2.500			
الشعير	296.000	108.000	158.310	40.000	50.000	1.400
الذرة الصفراء	14.000	200	570	25000		

من خلال الجدول نستنتج أن هناك تفاوتا كبيرا في كميات الإنتاج من بلدية لأخرى، وهذا يتبع مدى ملائمة الظروف المناخية للبلدية لكل محصول، و أيضا مدى وفرة المساحة الصالحة للزراعة التي هي بحوزة السكان الأهالي مثل ما نشهده في منطقة بلزمة ،فرغم سهولها الخصبة و المتسعة نسبيا إلا أن إنتاج الأهالي فيها ضعيف ،و هذا يعود إلى المصادرات التي طالت الأراضي الخصبة و طردهم إلى المناطق الجبلية الوعرة والصعبة الاستصلاح.

و رغم اعتبار هذا المنتوج المحصول الرئيسي و أهم مصادر الرزق و النشاط الفلاحي الأول إلا أن كمياته قليلة لا تسد حاجاتهم ، يعود هذا إلى المعرفة المتخلفة لوسائل الاستغلال[7] التي تعتمد على توارث التجارب الفلاحية البسيطة و التي تحولت إلى عادات فلاحيه ، واستعمال أدوات عمل بدائية مثل الحيوان الجرار كالبقر و البغال و الأحمرة والمحراث الخشبي و الفأس و المنجل[8].

1 - A,w ,c,6/32.
2- A, w, c 4/34.
3- A,w c,15/35.
4- A,w ,c,13/35.
5- A, w , c,9/35.
6- A,w , c,

7 – محمد بلقاسم، حسن بهلول : القطاع التقليدي في الزراعة بالجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، 1985, ص24.

8 – أبوالقاسم ،سعد الله : تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال) ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة، ص 146.

و قد ساهمت كل من القيم الثقافية في العزوف عن إدخال الوسائل و التقنيـــة الحديثـــة — و إن كانت ليست في متناولهم — لاعتقادهم الخرافي بأن الأدوات القديمة تجلـــب البركـــة و الخـــير، و أيضا ضيق المساحة الزراعية و التي هي بدورها لا تستغل كاملة بسبب ترك قطعة منـــها بـــور لجعلها مرعى للماشية و إعدادها للزرع في العام المقبل و ضعف خصوبة تربتها وتوجيه عملـــهم لسد الحاجة فقط ، إضافة إلى زيادة تحدي الزيادة الديموغرافية في الوسط الأهلي خلال هذه الفترة.

ب–المنتوجات الأخرى:

يتنوع المنتوج الزراعي في الأوراس فإلى جانب الحبوب توجد جملة من المنتوجات مثـــل التين والزيتون والبرتقال ...وإن تميزت بقلتها وتفاوت كمية إنتاجها من بلدية إلى أخرى ،وهذا حسب ملائمة التربة و المناخ وكذا التوسع الاستيطاني، و تنتشر زراعة الزيتون و التين بأغلـــب بلديات المنطقة و يعود لسهولة زراعتها و قوة هذه الأشجار في تحدي الصعوبات الطبيعية و قلـــة تكاليف عملها و دخول إنتاجها في العديد من الإستهلاكات و الاستعمالات الأهلية .

أما زراعة النخيل فتتميز بمحدودية المنطقة التي تنتشر فيها، فتتواجد في المنـــاطق المحاذيـــة للصحراء مثل جنوب خنشلة وعين التوتة و الأوراس وهذا يعود لملائمة الظروف المناخيـــة لهـــا كالحرارة العالية والضوء .

وبالقراءة المتأنية للدراسات الميدانية تأتي بلدية الأوراس المختلطة على رأس هرم المناطق التي يزدهر بها الإنتاج الفلاحي ثم تأتي في المرتبة التي تليها كل من عين التوتة و خنشلة[1] وهذا يعـــود لقلـــة الاستيطان وملائمة المناخ .

2–الرعـــي :

إلى جانب النشاط الفلاحي عرف المجتمع الأوراسي نشاط الرعي الذي اكتسى أهمية بالغـــة في حياته الاقتصادية وكان يتميز بانتشاره الواسع عبر أغلب قبائله ومناطقه ،هذا النشاط فرضـــته الطبيعة الجغرافية والمناخية لمنطقة الأوراس فكان بذلك النشاط البارز في حياة الأوراسي .

والحقيقة أن تربية الماشية جاءت لاستكمال ماعجزت عنه الفلاحة في تلبية حاجات السكان فتربية الأغنام و الماعز تدخل في تغذية الأوراسي ،كما يستعمل منها مواد مثل الصوف والـــوبر و شعر الماعز في توفير مواد أساسية مثل الألبسة والأغطية ،فكانت بذلك تربية الماشية على قدر كبير

[1]– A,w, c,6/32, et A , w,c 4/35 et A,w, c,15/35, et A,w,c,13/35 , et A,w ,c,9/35, et A,w,c

من الأهمية والفائدة للأوراسي ،والجدول الذي نعرضه يبين أهمية الثروة الحيوانية للبلديات الست (معدل خمس سنوات من1932 - 1936) :

الوحدة بالرأس :

البلدية المنتوج	بلدية خنشلة المختلطة[1]	بلدية عين القصر المختلطة[2]	بلدية بلزمة المختلطة[3]	بلدية الأوراس المختلطة[4]	بلدية عين التوتة المختلطة[5]	بلدية لومباز[6]
الأبقار	9100	1100	4425	40000		
الماعز	55800	2500		50000	20000	
الأغنام	150000	22000	57702	3000	30000	2000
الدجاج		30000		500000		
الإبل	1050					

من خلال الجدول نستنتج أن الثروة الحيوانية تتفاوت كميتها من بلدية إلى أخرى للأنـــواع المختلفة المكونة لهذه الثروة ،والجدير بالذكر فإن هذه الثروة تراجعت بصورة ملحوظة إبان الفترة الاستعمارية ويعود هذا إلى أثر تطبيق القوانين الجديدة على المجتمع الأوراسي الذي ظل يدير هذه الثروة بطريقة تقليدية بحة ،فقانون الغابات مثلا والضرائب و الإتاوات الأخرى كلـــها عملـــت ولاشك على تراجع هذه الثروة بين يدي ملاكها ويشير إلى هذا المؤرخ m.couput :((لا يمكن تفسير هذا النقصان في قطعان البدو ...إلا بالتغيرات التي طرأت على ظروف حيـــاتهم : إن أهم جانبين في هذه التغيرات هما تكوين الملكية الفردية في جنوبي التلال ، أما الجانب الآخر فهـــو حماية الغابات ، التي لم يعد ممكنا دخولها ... حتى في أكثر سنوات الجفاف » .[7]

---

[1]-A,w,c,6/32.
[2]-A,w,c,4/35.
[3]-A,w,c,15/35.
[4]-A,w,c,13/35.
[5]-A,w,c,9/35.
[6]-A,w,c,
[7] – عدي،الهواري : المرجع السابق ، ص107 نقلا عن m,couput:espce ovine, alger 1900

والحق أن قانون الغابات الذي جاء ذكره في النص حرم الأهالي من الاستفادة مـــن الثـــروة النباتية اللازمة لأعلاف ماشيتهم ،وبالنتيجة خرجت هذه الثروة من يد السكان الأهالي مثل مـــا خرجت ملكيات أخرى كالأرض والدور وغيرها من أنواع الملكيات الأخرى ،غير أن الأوراسي بصبره وإصراره ظل متمسكا ببيئته التي كان يرى فيها أرض الأجداد التي لا يمكن التفريط فيها . إلى جانب تربية الماشية فهناك نشاط تربية الدواجن ،وإن كنا نعترف بأن هذا النشاط كانت تختص به المرأة الأوراسية فهي التي كانت تجمع هذه الثروة وتصهر على رعيتـــها و بيـــع منتوجهـــا في الأسواق من أجل المساهمة في دخل الأسرة وهي المرأة الأوراسية التي عرفت في الكتابات على أنها كانت تشارك بأكثر من نشاط زراعي كالبستنة وأعمال أخرى.

أما تربية الإبل فهو نشاط محدود في منطقة الأوراس نظرا للتضاريس والطبيعة المناخية التي لا تلائم هذا النشاط ،مثل ما يظهر لنا من الجدول فهو ينتشر جنوب الأوراس أي في المناطق المتاخمة للصحراء وتستعمل الإبل كوسيلة نقل وترحال في غالب الأحيان .

3-الصناعة:

استطاع الإنسان الأوراسي تصنيع بعض المواد الأولية المستخرجة من بيئته وتحويلـــها إلى أدوات ومصنوعات بسيطة لاستخدامها في قضاء احتياجاته اليومية وقد شملت صناعاته :

الصناعات النسيجية: تأتي الصناعات النسيجية على رأس هرم الصناعات في منطقـــة الأوراس حيث عرفت المنطقة أنواعا منها ما هو للاستهلاك العائلي ومنها ما هو موجه للبيع وقـــد شملـــت هذه الصناعات البرنس و القشابية و القندورة والأغطية و الأفرشة كالزربية والخيـــام والحبـــال[1] وتعتمد هذه الصناعات على المادة الأولية المتوفرة في المنطقة مثل شعر الماعز و صوف الأغنام ووبر الإبل وبعضها مادته من الحلفاء وسعف النخيل مثل الحصير و القفاف.

الصناعات الجلدية: تعتبر الصناعات الجلدية هي الأخرى من الصناعات التي اهتم بها الأوراسي و يعتمد في صناعتها على جلود الحيوانات بعد دبغها لتصبح لينة ومرنة صالحة للاستعمال ولأكبر مدة مثل الأحذية والأحزمة ومحافظ السكاكين والخناجر والنقود والقربة والدلو لحفظ وحمل الماء و الشكوة لمخض الحليب[2].

---

[1] – يحي ، بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب ، ج1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، عين مليلة ، الجزائر ،2004، ص489.

[2]- Mathea, Gaudry: la famme chaouia de l'aurés, chihab-awal, algerie 1998, p152.

الصناعات الخشبية: إلى جانب الصناعات الجلدية والنسيجية عرفت منطقة الأوراس الصناعات الخشبية إذ تعد من الصناعات التي تحتل مكانة مرموقة بين الصناعات المحلية وقد يعـود هـذا إلى توفر المادة الأولية اللازمة لهذه الصناعة ، فمنطقة الأوراس غنية بأشجارها وغاباتهـا كأشـجار البلوط والعرعار والصنوبر والأرز وأهم هذه الصناعات أواني الأكل الملاعق والمغارف والقصعات والمثرد والمحراث والصناديق والأبواب وأرجل الفؤوس والمساحي[1] .

الصناعات الطينية: تستعمل التربة الطينية بعد عجنها وتليينها وتلميسـها ثم القيـام بتشـكيل المصنوعات حسب مايريد الصانع ثم توضع في الهواء وتعرض لأشعة الشمس لتجـف ثم تحـرق وتلون بخطوط وأشكال وأهم هذه الصناعات: القدر، القلل ، والصحون و القصاع و الكساكس و الطواجين [2].

الصناعات الحديدية: عرف الأوراسي الصناعة الحديدية عبر الفترات التاريخية المتعاقبة وقد ساهم فيها توفر مادتها الأولية في جبال المنطقة غير أن هذه الصناعات ظلت تقليدية ومحدودة وتمر عملية التصنيع بصهر الحديد في النار ثم يطرق لتصميمه حسب الشكل المراد تشـكيله و مـن بـين الصناعات الحديدية أدوات الطبخ و الأكل كالقـدور و الملاعـق و الصـحون... و الأدوات الفلاحية كسكة المحراث و المنجل ... و أدوات البناء كالمطرقة والفأس .

صناعة الحلي: و هي صناعة للزينة والتجميل تستخدم في صناعتها المعادن الثمينـة كالـذهب و الفضة وإن كانت هذا الأخير أكثر استعمالا عند المرأة الشاوية و أهمها التاج و القرط و الجبين و الخلخال.

الصناعات الغذائية: تستخدم الطواحين لصناعة الدقيق و الزيت[3] و تجفف الفواكه و الخضـر و اللحم لاستهلاكها في غير مواسمها.

والجدير بالذكر أن الصناعة في الأوراس عموما لم تعرف تطورا بارزا بل ظلـت صـناعة تقليدية وبدائية ،وهذا ما أشار إليه علماء الاجتماع الذين زاروا المنطقة في بداية احتلالها والـذين اجمعوا على أن الأوراسيين ظلوا منغلقين على بيئتهم ومتعلقين بما ورثوا عن أجدادهم فلم يتأثروا كثيرا بما جاء به الوافدين الذين حلوا بالمنطقة .

---

[1] – يحي، بوعزيز : المرجع السابق، ص489.
[2] – يحي ، بوعزيز : مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية 1999، الجزائر، ص322.
[3] – أبو القاسم، سعد الله : تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق ،ص150.

هذا وفي بداية الاحتلال ومع مرور الزمن واستيلاء فرنسا على المنطقة برمتها راحت تحاول نشر بعض الصناعات من خلال إنشاء دور للتكوين المهني و ورشات لتعليم أبناء الأهالي مهنا مثل صناعة الفخار و الزرابي وصناعات أخرى، غير أن هذه الإرادة الحسنة اصطدمت بجشع الكولون والرأسمالية الفرنسية التي كانت تهدف إلى تكوينهم في قطاع البناء و الأعمال العضلية لسد حاجة القطاع الأوروبي من اليد العاملة البسيطة.

كما عرفت الصناعات الحرفية تراجعا بسبب قانون الحرف عام 1868م الذي استهدف ضربها[1]، كما عرضها غزو الصناعات الحديثة التي اكتسحت الأسواق الجزائرية بسبب عدم تكافؤ شروط المنافسة من رؤوس أموال و احتكار للمواد الأولية و التقنية العالية فانتهت الحرف إلى تراجع في ورشاتها و عمالها[2] ،وأصبحت كثير من صناعاتها للاستهلاك العائلي تنجز في أوقات فائض العمل اليومي أو الأسبوعي أو الموسمي أو نشاط تقوم به النساء[3] ، و لم تنجو إلا الصناعات التي كانت تحمل قيم و تقاليد الأهالي كالسجاد و الملحفة.

4–التجارة:

عرفت منطقة الأوراس نشاطا تجاريا متواضعا ساهم فيه الموقع الوسط للأوراس الرابط بين التل و الصحراء ، وأيضا الحاجة إلى تصريف فائض الإنتاج و جلب الحاجات التي لا توفرها نشاطات سكان الأوراس وقد توزعت التجارة في الأوراس بين التجارة الداخلية و التجارة الخارجية .

فأما التجارة الداخلية:فكانت تجارة محلية تميزت بأنها كانت مكثفة بين سكان المناطق الجبلية في أسواق أسبوعية و إقليمية[4].

حافظت على استمرارها من العهد العثماني إلى كل الفترة الكولونيالية ، وشملت مناطق عديدة و تتوزع عليها حسب أيام الأسبوع حيث يكون لكل قبيلة أو وطن سوق محدد بيوم في الأسبوع ، يفد إليها سكان الجهات المجاورة لعرض منتوجاتهم وجلب حاجاتهم[5].

---

[1] – عبد اللطيف، بن أشنهو : تكوين التخلف في الجزائر (محاولة لدراسة جذور التنمية الرأسمالية في الجزائر 1830–1962) ، ترجمة نخبة من الأساتذة ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1979،ص244.

[2] – المرجع نفسه ، ص246.

[3]- Mathea, Gaudry: op, cit, p165.

[4] – فاني ، كولونا: مثقفون في الأطراف من كتاب الأنتلجانسيا في المغرب العربي ،ط1، دار الحداثة للنشر والتوزيع ،بيروت لبنان ، 1984، ص247.

[5] – أندري ، برنيان وآخرون: المرجع السابق، ص194. ومحمد العربي، الزبيري : التجارة الخارجية للشرق الجزائري من 1792الى 1830، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984، ص ص 109، 112 .

و كانت أهم السلع التي تعرض الماشية كالأغنام و الماعز و منتجاتها كالصوف و الجلود ، كما تعرض الحبوب و الزيتون و الشعير و يقتني السكان حاجاتهم كالسكر و الشاي و الصابون و الأقمشة الملح و التمور

وكانت أهم الأسواق الأوراسية المحلية سوق باتنة و خنشلة و بريكة و مروانة و السبت بن غزال[1] و رأس العيون و عين التوتة و دوار اشمول و يتجاوز إلى أسواق مجاورة لمنطقة الأوراس كتلاغمة و الخروب و العثمانية، وكان يغلب على المعاملات التجارية المحلية المقايضة [2]، رغم دخول النقد الذي أثر على القدرة الشرائية للفرد الأوراسي ، كما أثرت وسائل النقل الحديثة على تراجع استعمال وسائل النقل التقليدية كالجمل، و أصبحت هناك منافسة حادة للبضائع من طرف البضائع المستوردة التي تميزت بانتشارها الواسع ورخص ثمنها و جودتها عن البضائع المحلية.
و التجارة الخارجية فارتبطت الأوراس بالأسواق الخارجية بطريقين طريق القوافل البدوية والطريق الاستعماري:

الطريق الأول عرف منذ الفترة الإسلامية و استمر إلى كل الفترة الكولونيالية تقريبا بنفس الأسلوب و الوسائل ، و هذا الطريق ربط الأوراس ببلاد السودان و الواحات الشرقية و بلاد الجريد التونسي ، وقامت به القبائل البدوية التجارية التي كانت تنطلق من الواحات الشرقية محملة ببضائع التمور والنسيج الصحراوي و الوبر و الصوف الخام و الزبدة متجهين إلى تونس.
و أثناء رحلتهم كانت لهم نقاط توقف بالأوراس ومنها تهودة و بادس[3] ،فتستبدل هذه الحمولة ببعض المنتوجات الأوراسية من حبوب و قماش و فواكه مجففة لنقلها إلى بلاد الجريد التونسي، و كانت بعض القبائل الأوراسية تساهم في تسير و حماية هذه القوافل[4].
و أثناء عودتهم من تونس يسوقون في الأوراس بعض السلع من حمولتهم كالعطور و الأقمشة القطنية و الحريرية و مواد الزينة و المناديل التونسية و الحائك و الشاشية أين يقدم تجار قسنطينة و عنابة و تبسة للاقتناء منها أيضا ونقلها لأسواق مدهم [5].

---

[1]- A,w,c,6/32, et a,w,c 4/35 et A,w,c,15/35, et A,w,c,13/35 , et A,w,c,9/35, et A,w,c .

[2] – عمار، هلال : المرجع السابق , ص 125.

[3]- نصر الدين ، سعيدوني : الإنسان الأوراسي و بيئته الخاصة "دراسة في التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي لمدينة الأوراس قبل و أثناء العهد العثماني ، الأصالة ، العدد 63، وزارة الشؤون الدينية الجزائر، ص 124 .

[4] _ Carette : la commerce de l'Algérie avec l'Afrique centrale etles etats barbarisques, paris, 1944, P26.

كما كانت بعض القبائل البدوية التجارية الصحراوية تصل بين الشرق و الواحات الشرقية التي يفد إليها تجار بلاد السودان، فينقلون بضائع المنطقة الصحراوية المتمثلة في التمور و البضائع السودانية و يقومون بنقلها إلى أشهر الأسواق في الشرق كسوق الحراكتة و سوق السقنية و سوق تلا غمة وواد العثمانية مرورا بأسواق الأوراس التي يحملون منها عند عودتهم إلى الصحراء الحبوب و القماش و أشهر هذه القبائل أولاد مولاي و سعيد أولاد عمر و الطيبات [1].

أما الطريق الآخر الذي ظهر بظهور الاستعمار و تمثل في اقتناء الشركات التجارية الأجنبية من الأوراس للمنتجات الزراعية كالحبوب و الزيتون و الأخشاب من الغابات الأوراسية و المنتوجات الحيوانية كالأغنام و الأبقار و الجلود و الصوف، ويتم توجيهها للتصدير نحو الأسواق العالمية ، و قد شهدت فترة الحرب العالمية الأولى تزايد الاعتماد على المنتوج المحلي سبب فرض مقتصدية الجيش الفرنسي توجيه المنتوجات الجزائرية لدعم المجهود الحربي في أوربا[2].

كما قامت هذه الشركات بتزويد الأسواق الجزائرية و منها أسواق منطقة الأوراس بالبضائع الخارجية كالشاي و السكر ،كما غزت المصنوعات الأجنبية الأخرى كل الأسواق الأهلية لانخفاض أسعارها. [3]

و تميزت هذه التجارة باستعمال النقد إلا أنها ضيقت الخناق على التجارة المحلية وأدت إلى حدوث خسائر في السلع الأهلية بسبب سرعة انتشارها في الأسواق لاعتمادها على الوسائل النقل الحديثة في نقلها و أيضا أسعارها المخفضة لقلة تكلفتها مقارنة بالسلع التقليدية .

و أيضا كثرة استهلاكها سبب بداية غزو الوسائل و السلع الحديثة للحياة التقليدية مما أدى إلى تراجع الموازين التجارية للعائلات الأهلية و نمط التجارة التقليدي المغلق، وقد أثر ولاشك هذا على المستوى المادي للفرد والجماعة الأوراسية وغدا المجتمع الأوراسي خادما للرأسمال الأوروبي جراء تطبيق القوانين الجديدة التي أشرنا إلى بعضها سابقا.

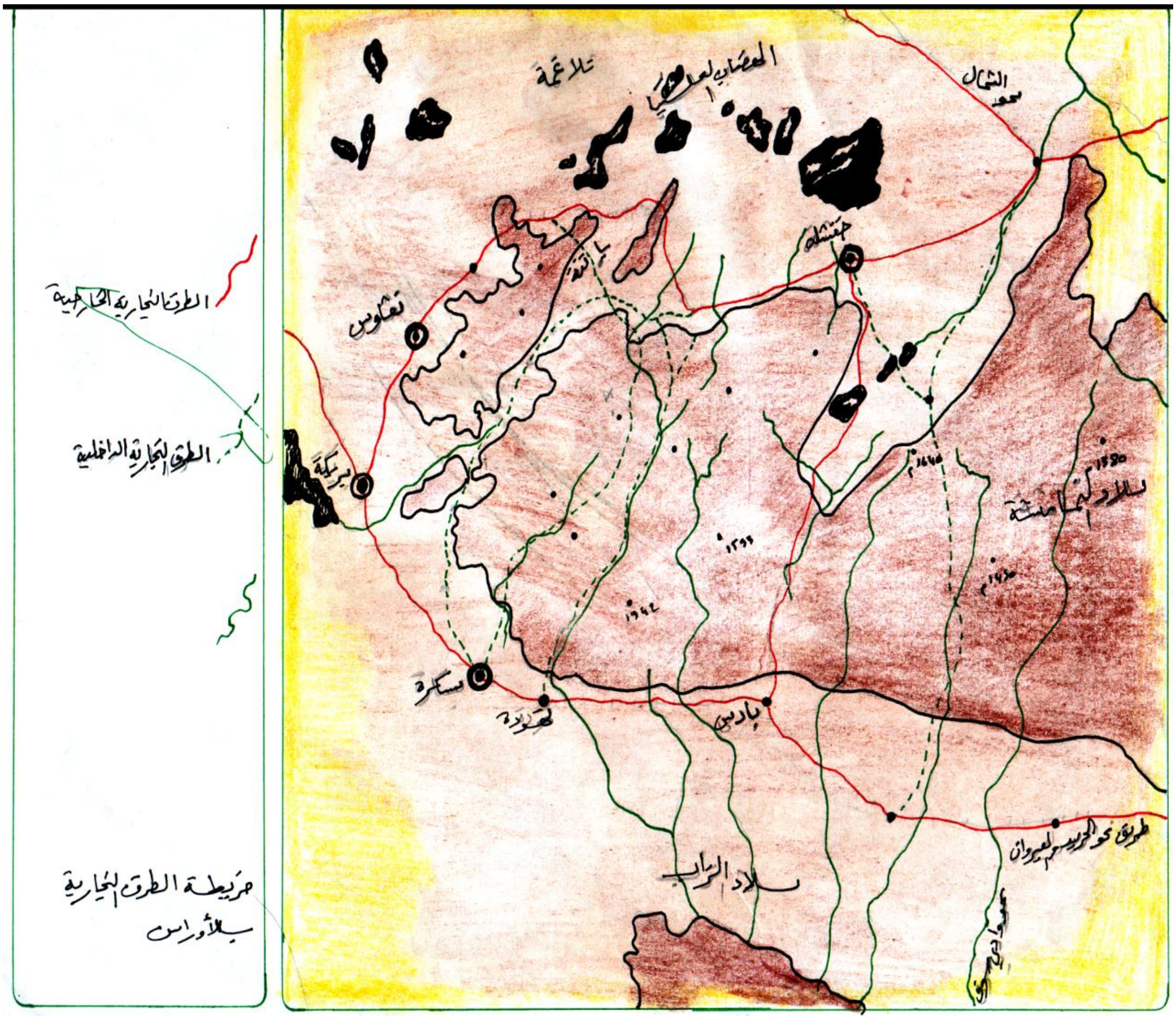
---

[5] – صالح، فركوس : تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال (المراحل الكبرى) ، دار العلوم للنشر والتوزيع ،الجزائر ، 2005 ، ص 360 .

[1]– Jean, Boisson : les nomades des départements sahariens, TXVII, 1er et 2eme semestre, 1958, PP200,204 .

[2] – عبد الرحمن، رزاقي : تجارة الجزائر الخارجية (صادرات الجزائر فيما بين الحربين)، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ص 31 .

[3] – A,w,c,6/32, et A,w,c 4/35 et A,w,c,15/35, et A,w,c,13/35 , et A,w,c,9/35, et A,w,c-



خريطة الطـــــــــــــــــرق التجارية بالأوراس

المبحث الثاني :الوضـــع الاجتماعي:

1-الوضعية الديموغرافية :

عرف تطور التعداد السكاني لمنطقة الأوراس على غرار سكان الجزائر من بداية الاحتلال إلى مطلع القرن 20 م نموا بطيئا ،حيث سجل عددهم سنة 1892م حوالي 146،136نسمة وهذا يعود إلى:

حالة عدم الاستقرار بسبب المقاومات المسلحة ضد الاحتلال وما خلفتـــه مـــن ضـــحايا بالإضافة إلى الأوضاع الاجتماعية المزرية و الصعبة التي أدت إلى انتشار الأمراض والأوبئة كوباء حمى المستنقعات والتيفويس الذي ضرب المنطقة سنة 1895م ،مما أدى إلى هلاك العديد من أفراد المجتمع الأوراسي إضافة إلى الهجرة التي فرضتها عدة دوافع سياسية واقتصادية ودينية جـــاء بهـــا الاستعمار، كما عرف مطلع القرن 20 م بداية تطور في النمو السكاني رغم هجرة بعض السكان إلى المشرق الإسلامي ما بين سنة 1909م و1911م[1]والتجنيد الإجبـــاري وضـــحايا انتفاضـــة 1916 م ،ولكن في أواخر العشرينات من القرن 20 م بدأ يظهر التطور السريع و الملحـــوظ في الأوراس والجدول التالي يبين لنا هذا التطور لسكان ستة بلديات من الأوراس مـــن 1926م إلى 1936 م

البلدية	بلدية خنشلة المختلطة[2]	بلدية عين القصر المختلطة[3]	بلدية بلزمة المختلطة[4]	بلدية الأوراس المختلطة[5]	بلدية عين التوتة المختلطة[6]	بلدية لومباز[7]	المجموع
1926	73.887	27.815	43.873	52.270	35.235	1.612	234.652
1931	81.742	30.781	47.381	57.421	37.996	1.736	267.057
1936	88.242	31.164	51.410	59.886	40.757	1.913	273.373
معدل النمو	1.435	1.237	753	761	552	301	38.681

[1] يحيى، بوعزيز : سياسة التسلط الاستعماري و الحركة الوطنية الجزائرية 1830 – 1954 ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ، 2007 ، ص ص 36،37

[2] –A,wc,6/32.

[3] – A.wc.4/35.

[4] - A,wc, 15/35.

[5] – A,wc, 13/35.

[6] –Aw,c, 9/35.

[7] –A,wc,

من قراءتنا لأرقام الجدول نستنتج :

1 - الزيادة السريعة في عدد السكان إذ وصلت إلى 1.64% وهذا يعود إلى :

- تحسن المستوى المعيشي والصحي من خلال وصول الزيارات والخدمات الطبية التي يقوم بها الأطباء الفرنسيون للأهالي .

- القضاء على الأمراض والأوبئة الفتاكة التي عرفتها المنطقة خلال القرن الماضي .

- التعاطي الايجابي من طرف الأهالي للطب الحديث الذي كان محل ريبة وشك في بداية الاحتلال بسبب تطور الوعي .

- التجاوب مع التطعيم الذي كان محل امتناع من طرف الأهالي حتى بداية الحرب العالمية الأولى والذي كان يرى فيه مساسا بكرامة وشرف الأوراسي، غير أن التجربة أظهرت له منافع كبيرة لهذا التطعيم فراح يقبل عليه ويستفيد منه.

- طبيعة التقاليد الأهلية المحبة للإنجاب الكثير والتي قابلتها قلة في الوفيات عم كانت عليه في العقود السابقة.

- الاستقرار السياسي بالمنطقة وتوقف الانتفاضات والمقاومات الشعبية بالحجم الذي كانت عليه في القرن السابق .

بالإضافة إلى التزام السكان بالتصريح بالمواليد التي حفزتها فتح المعونات الغذائية والألبسة من طرف لجان الإغاثة والإدارة.

2 - وبالقراءة المتأنية للجدول نستنتج أيضا حقيقة ديموغرافية تتمثل في تمركز السكان الكثير في المناطق الجبلية الوعرة وقلتهم في المناطق السهلية المنبسطة ،وهذا يعود إلى قيام الاحتلال بإخلاء هذه المناطق من السكان الأهالي ودحرهم إلى الجبال بعد مصادرة أراضيهم الصالحة للزراعة ومنحها للاستيطان .

–الفئات الاجتماعية :

تتنوع الفئات الاجتماعية للأوراس على نمطية لاتختلف كثيرا عن نمطية باقي المجتمع الجزائري في فترة الاحتلال ، فهي تتوزع بين فئات اجتماعية تأتي على رأسها طبقة الأثرياء ثم الميسورين ثم تأتي الطبقة المتوسطة فالفقراء والمعدومين ، والجدير بالذكر منذ البداية أن هذا التقسيم قد لايترجم حقيقة الطبقية في المجتمع الأوراسي ، فالطبقة المتوسطة مثلا لاتعني بالضرورة الطبقة الوسطى التي عرفتها أوروبا في هذه الفترة بقدر ما تعني الوضعية الاجتماعية والمادية لهذه الفئة.

ونورد في هذا الجدول الآتي الذي يحدد لنا هذا التقسيم الطبقي للفئات الاجتماعية المكونة للمجتمع الأوراسي لست بلديات بالأوراس : (معدل خمس سنوات من 1932م – 1936):

البلدية الفئة و دخلها السنوي	بلدية خنشلة المختلطة[1]	بلدية عين القصر المختلطة[2]	بلدية بلزمة المختلطة[3]	بلدية الأوراس المختلطة[4]	بلدية عين التوتة المختلطة[5]	بلدية لومباز[6]
الأثرياء أكثر من 6000 ف	**4 %**	**5 %**	**1 %**	**8 %**	**3 %**	**2 %**
الميسورين 5000 إلى 6000 ف	**20 %**	**25 %**	**2 %**	**19 %**	**5 %**	**20 %**
المتوسطة من 2000 إلى 4000 ف	**40 %**	**40 %**	**20 %**	**57 %**	**10 %**	**30 %**
الفقراء 2000 ف	**30 %**	**25 %**	**57 %**	**14 %**	**17 %**	**40 %**
المعدومين أقل من 1000 ف	**6 %**	**10 %**	**20 %**	**2 %**	**63 %**	**8 %**

من خلال الجدول نستنتج أن الغالبية الساحقة من المجتمع الأوراسي تعود إلى الطبقة الكادحة وهذا جراء إتباع سياسة التفقير التي انتهجتها الإدارة الفرنسية في المنطقة وسياسة المصادرة والحجز، كما أن أسلوب الإنتاج الجديد الذي جاء به المعمر الفرنسي خلق اضطرابا ولاشك في

1 –A,w,c,6/32.
2 –A,w,c, 4/35.
3 - A,w,c, 15/35.
4 –A,w,c,15/35.
5 – A,w,c, 9/35.
6 - A,w,c,

نمطية الإنتاج المحلي فاختل بذلك التوازن بين مداخيله ومصاريفه، وهذا أثر سلبا علـــى المســـتوى المادي للفرد والمجتمع الأوراسي .

أ–فئة الأثرياء والميسورين : نسبتها ضئيلة تتراوح ما بين 4 % إلى 8 %[1] في المنـــاطق قليلـــة الاستيطان ،و تنخفض إلى 1 %[2] في المناطق الأكثر استيطانا ،و هذا يعود إلى احتكار المستوطنين لكل مصادر الرزق و الثروة و سياسة التفـــقيـــر المقصودة[3]، و يدخل ضمن هذه الفئة عـــائلات القياد و عائلات الجماعات الدينية و الموظفين أصحاب المناصب الإدارية ،و إن كانت وضـــعيتهم هذه غير مستحدثة مع الاحتلال ،بل حافظوا عليها من العهد العثماني و استمرت بسبب مكانتهم الاجتماعية و خدماتهم التي قدموها لإدارة الاستعمار لقاء امتيازات اقتصادية و سياســية ، و إن كانت فئة الميسورين قد وفدت إليها عناصر جديدة أخرى حصلت على ثروتها لقـــاء خـــدمات للإدارة ، و قد ازدادت ثروتهم في الفترة ما بين الحربين على حساب الطبقات الأخـــرى بانتقـــال المزيد من الأراضي إليهم[4] .

ب–الفئة المتوسطة : تمثل حسب التقارير الفرنسية التي اعتمدنا عليها ، الأكثرية الأهلية و هـــي الأخرى تعرف تباينا بين المناطق الأكثر استيطانا و الأقل استيطان ، حيث تتراوح ما بـــين 40 % إلى 50 %[5] في المناطق الأقل استيطانا بينما تنخفض مـــن 10 % إلى 30 %[6] في المنـــاطق الأكثر استيطانا ، إلا أن الظروف العامة لسكان الأوراس من سكن و تغذية و خدمات و إنتـــاج زراعي و صناعي لا تعكس هذه النسبة ، لأن الدخل السنوي المعتمد كمؤشر في التصنيف يتعرض لدى الأهالي إلى ضرائب ثقيلة فيساهم القطاع الأهلي ب45 % من مجموع الضرائب ،كمـــا أن أسعار القمح في فترة دفع الضرائب تنخفض بسبب العرض الكبير لها[7] ، بينما في الفترات البعيـــدة أين ينفذ احتياطي الأهالي منه و يزداد طلبهم عليه يرتفع سعره مما يؤدي إلى امتصـــاص الـــدخل المحدود لأفراد المجتمع الأهالي.

---

[1] – A,w,c,6/32, et A,w,c4/35 et A,w,c,15/35, et A,w,c,13/35 , et A,w,c,9/35, et A,w,c

[2] - ibid.

[3] – محفوظ، قداش و الجيلالي، صاري: المقاومة السياسية (1900–1954) الطريق الإصلاحي و الطريق الثوري، ترجمة عبد القادر، بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1987، ص139

[4] – صلاح العقاد :المغرب العربي بين التضامن الإسلامي و الاستعمار الفرنسي، ج2 ، المكتبة الأنغلومصرية ، دار الطباعة الحديثة، بلا ت ط، ص108. وشارل روبيرت، أجيرون: المرجع السابق، ص130.

[5] - A,w,c,6/32, et A,w,c et A,w,c,15/35, et A,w,c,13/35 , et A,w,c,9/35, et A,w,c

[6] - ibid.

[7] – عدي، الهوا ري: المرجع السابق ،ص70.

ج–فئة الفقراء و المعدومين : ترتفع هذه الفئة في مناطق الاستيطان و تتشكل من جيش من الخماسين و الزراعيين أصحاب الدخل الأقل من 2000 فرنك و العمال الموسميين، ومن الذين أفلسوا و باعوا ممتلكاتهم إلى الأوروبيين والبرجوازية الأهلية [1] ،مما أدى إلى توسع هذه الفئة خاصة في فترة مابين الحربين.

3–التغذية :–

لم يحدث تغير في مكونات مادة الغذاء لدى سكان الأوراس ، ولا العادات الغذائية وهي تغذية تغلب عليها البساطة وإن احتوت على عناصر غذائية صحية ، كما لا نجد هناك اختلافات كبيرة بين المناطق ، وعموما توجد هناك ثلاث وجبات رئيسية في اليوم، وجبة فطور الصباح وقتها السادسة صباحا في الصيف والثامنة صباحا في الشتاء وتتكون عادة من رغيف القمح أو الشعير ، ووجبة منتصف النهار تتكون من رغيف القمح أو الشعير مع قليل من الحليب والتمر ، أما وجبة العشاء والتي تعتبر الوجبة الأساسية في اليوم فتتكون عادة من الكسكسي بالمرق والحليب والتوابل، وتختلف درجة غناء الوجبة بالعناصر الغذائية حسب المستوى الاقتصادي ،فتتناول العائلات الميسورة اللحم الطازج مرة إلى مرتين كل أسبوع وغالبا ما يكون يوم السوق الأسبوعية بينما اللحم المجفف في أغلب الأيام [2].

أما العائلات المتوسطة فيتناولون اللحم من مرتين إلى ثلاث مرات في الشهر ، بينما الفقراء فيتناولونه في المناسبات فقط ، وفي بعض الأحيان تشترك العائلات الفقيرة في ذبيحة ويأكلون جزء منها طازجا والبقية يجفف لينفق على باقي الأيام ، وفي موسم الأعمال الفلاحية يتناول العمال كميات إضافية من الغذاء في وجبة منتصف النهار و تصل الإضافة إلى 30%.

أما تناول الفواكه فإن سكان الأوراس معروفون بإقبالهم الكبير على تناولها مع اختلاف نوعيتها من منطقة إلى أخرى حسب المنتوج .

تبقى التغذية في الأوراس تمتاز بقلة كميتها وبساطتها وإن احتوت على عناصر غذائية جيدة وطبيعية، إلا أن الأطباق الحديثة والمتنوعة لم تعرفها إلا العائلات الميسورة جدا كالقياد[3].

---

[1]– عبد اللطيف، بن اشنهو:المرجع السابق، ص161 و شارل روبرت اجيرون:المرجع السابق،ص ص 102،103 .

[2] – A,w,c,6/32, et A,w,c 4/35 et A,w,c,15/35, et A,w,c,13/35 , et A,w,c,9/35, et A,w,c

[3] - ibid.

4- الطـــــب :

كانت البيئة الأوراسية بيئة صحية من حيث مناخها وهوائها وكذا مواردها الغذائية مما ساهمت في إبراز مستوى صحي جيد للسكان ،إلا أن تراجع الثقافة الصحية والمستوى المعيشـــي والغـــذائي وضعف الطب وأساليب الوقاية من الأمراض أدى إلى ظهور العديد من الأمراض الـــتي كانـــت معروفة في أوساط المجتمع الجزائري مثل الجدري، وتتميز بأوقات معلومة الانتشـــار ويـــؤدي إلى العمى والصمم وتشويه الوجوه ، كما يخلف العديد من الوفيات والكوليرا و التيفويس والروماتيزم بسبب البرد القارص شتاءا للمنطقة أو قلة الملابس وضعف السكن في الوقاية منه ،وأمراض العيون والربو والصفير والعقم والإسقاط عند النساء والصرع والحمق والجنون ولدغة الحشرات الســـامة كالعقارب والأفاعي والكلب[1]، ومع ذلك كان هناك الكثير من الممارسات الطبية منها ما هـــو شعبي ومنها ما هو حديث .

أ-الطب الشعبي :- وهو طب عام بسيط في تشخيصاته أخذ الصبغة الدينية والاجتماعية وهـــو نوعان :

الطب الشعبي العلمي:

يعتمد على التجربة والممارسة في اكتسابه يستعمل أدوات ووسائل مادية وبطريقة واعيـــة، وأدويته من الأعشاب التي تجمع من الطبيعة والتي يقوم بتصنيفها وفي حالات مزجهـــا ببعضـــها البعض وطحنها ،كما توصف كيفية استعمالها وقد اعترف الفرنسيون والرحالة الأجانب الـــذين وقفوا عند هذه المشاهد بأنه طب فاعل وعقلاني ،وقد اشتهرت الأوراس بجراحة الجمجمة بثقبـــها واستبدال القطعة المكسورة بقطعة من عظم كلب أو شاة[2]، كما استعملت الطرق العلاجية الـــتي تتم بوسائل مادية مثل الكي بالنار و الفصد ، وهذا بناء على الحديث النبوي الشريف (الشفاء في ثلاث شربة عسل و شلطة محجم وكية نار) رواه البخاري [3]، والحجامة التي حث عليها الطـــب النبوي فجاء في حديث الرسول (ص) :- (خير ما تداويتم به الحجامة) رواه النسائي[4] ،والكحل

[1] – أبو القاسم، سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ج7 ، ط1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص ص 228،229.
[2] – المرجع نفسه، ص247.
[3] – ابن القيم الجوزية: الطب النبوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1957، ص38.
[4] – المرجع نفسه، ص41.
*- الأثمد: هو حجر الكحل الأسود الذي يستخلص منه الكحل.

لعلاج أمراض العين وإنبات الشعر وهذا بناء على الحديث النبوي الشريف (عليكم بالاثمد* فانــه يجلو البصر وينبت الشعر)رواه الترمذي[1] .

كما ساد هناك طب ديني يعتمد على النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ســواء في الأمــراض البدنية التي تظهر أعراضها على الجسم أو الأمراض المعنوية الحقيقية كالصرع والجنون .

وتدعى عملية العلاج بالرقية حيث يقرأ نص قرآني أو حديث نبوي شريف على المريض و يمارسها الأئمة و حفظة القرآن و غالبا ما تكون من الإصابة بلدغ الحشرات السامة كالعقرب و الأفعى و العين[2] .

الطب الشعبي الخرافي (السحري):

يعتبر هذا النوع من الطب انحرافا للطب الديني خاصة لّما انتقل إلى ضعاف الثقافة والإطــلاع ،وسبب انتشاره جهل الناس الذين كانوا يعتقدون في بركة المعالج أكثر من الدواء المتناول وقــد ساد في أوساط الطرق الصوفية و المرابطين و قد استعملوه لابتزاز العامة و التأثير عليهم ويرجعون أغلب الأمراض إلى الجن و السحر و كانت طرق التداوي تعتمد على الشعوذة والخرافة كالذبائح و تعليق التمائم أو زيارة الأضرحة و القباب و خط الرمل و الحجاب .

و كان يمارس مهنة الطب الخرافي أفراد من عائلات معروفة متوارثة و يأخذون شرعيتها بقولهم أنها معطية أي أنها حكمة موهوبة من الله إليهم ، وقد كان هذا النوع من الطب هو الأكثر انتشــارا وسيطرة على النفوس رغم انتشار الطب الحديث.

ب -الطب الحديث:

دخل الطب الحديث مع دخول الاستعمار في مطلع القرن العشرين (20م)،انتشر هذا النوع من الطب في الوسط الأهلي بالمدن إلا أن سكان الأرياف كان إقدامهم عليه متأخرا رغم المحــاولات الفردية الحرة لبعض الأفراد و الجمعيات في إطار الخدمات الإنسانية أو التبشيرية أو مــن طــرف الإدارة كوسيلة للإدماج انطلاقا من أن التأثير على الصحة بالضرورة يؤدى إلى التأثير على القــيم والحضارة، وهذا التأخر نعوزه إلى الاعتقادات السائدة و منها قلة الــوعي و الانتشــار الواســع للخرافة مما كرس الإيمان الكبير بالطب الخرافي و الاعتقاد في بركة الأشخاص ونفعهم وضرهم ،مما منحهم قوة تأثير على العامة و الإيمان بالمكتوب و القدرية التي بثتها المرابطية اعتمادا على الفهــم

[1] – المرجع نفسه، ص217.

[2] – ابن أبي زيد القيرواني: الثمر الداني في شرح رسالة أبي زيد القيرواني، تحقيق صالح عبد السميع الآبي الأزهري، مطبعة المنار، بلات ط ، ص710.

الخاطئ أو المقصود لبعض الأحاديث و الآيات القرآنية ، رغم وجود أحاديث ونصوص تدعوا إلى الحفاظ على النفس و البدن و تحث على التداوي.

و أيضا انعدام الثقة بين الأهالي و الأطباء الفرنسيين اعتقادا منهم أن الطبيب الفرنسي يقوم بمهمة تبشيرية و رفضوا التلقيح اعتقادا أنه يؤدي بهم إلى العقم[1].

إلا أن الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى وبسبب التثاقف الذي حدث بين الأوساط الأهلية الأوراسية و المؤسسات المدنية الفرنسية من خلال إقامة مستشفيات فرنسية في مناطق اقامات الأهالي و إرسال بعثات طبية[2] أثبتت نجاعة هذا النوع من الطب كما ساهم ظهور أطباء من أصول أهلية مثل ابن جلول الذي عمل بالمستشفى العسكري بأريس و سعدان و بن خليل الذي عمل بمستشفى باتنة ثم قام بفتح عيادة خاصة،و خصص يوم عطلته لاستقبال المرضى من الأهالي للعلاج مجانا.

كل هذه الظروف ساعدت على الإيمان بالطب الحديث و إعادة الثقة به ، إلا أن الطب الشعبي و خاصة منه الخرافي لم تتراجع مكانته عند أغلبية السكان و أصبحت كل هذه الأنواع من الطب و المتباعدة في أسلوبها و منطلقاتها و منطقها تستعمل عند الأهالي و بشكل متواز.

5-السكن :

اهتدى المجتمع الأوراسي عبر تطوره التاريخي و كغيره من المجتمعات البشرية إلى السكن للخلود للراحة ، و قد تحكمت الظروف الطبيعية و الجغرافية و حتى المهنية في تحديد نمط السكن.

وكانت الدشرة الطابع العمراني الغالب في الأوراس ، تبنى غالبا على رؤوس الجبال و في مناطق نائية يصعب الوصول إليها[3]، وهذا لدواعي دفاعية وتجنبا لفيضانات الأودية ، والسيول و للابتعاد عن الأراضي الصالحة للزراعة لتوفيرها للفلاحة.

و يمكن أن تصف مسكن الأوراسي الذي لازمه إلى فترة متأخرة – حتى الحرب العالمية الثانية- بالبساطة المتناهية من حيث التصميم الهندسي و البعد الوظيفي و مواد البناء.

[1] – إيفون، تيران: المجابهات الثقافية في الجزائر المستعمرة(المدارس و الممارسات الطبية و الدين 1830-1880)، ترجمة: محمد عبد الكريم أوزغلة، دار القصبة للنشر، الجزائر2007، ص345.

[2] – A,w,c,6/32, et A,w,c4/35 et A,w,c,15/35, et A, w,c,13/35 , et A,w,c,9/35, et A, w,c .

[3] – حمدان بن عثمان، خوجة: المرءاة، ترجمة محمد العربي الزبيري، ط 1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ص 66. و عدي، الهواري: المرجع السابق، ص103.

فكان هناك نوع من المساكن قريب إلى المسكن البدائي يتميز بانخفاض ارتفاع جدرانه و عــدم وجود أساسات لها و مساحتها الضيقة[1]، جدرانه تبنى من الحجارة التي تأخذ أحجــام مختلفــة و توضع في بناء الحائط بشكل غير جيد، فلا يراعي فيها أدنى جهد للإتقان من حيث اســتقامة و استواء الجدران و السقوف التي تغطى بالطين أو الديس و الحلفاء[2] و ينتشر هذا النوع من المساكن خاصة لدى العائلات الفقيرة في بلديات عين القصر و بلزمة و لومباز [3]، أمــا منــاطق التخــوم الاوراسية كخنقة سيدي ناجي وجمورة و عين زعطوط و البرانس فان هذا النوع مــن الســكن تعوض الحجارة في بناءه بالطوب[4].

وكذلك نجد المساكن المدمجة أو المسنودة إلى الصخور، تبنى بحجارة مستخرجة من هــذه الجبــال وأيضا الكهوف والمغارات وتعرف ب(ifri[5]).

هذه المساكن المحصنة في الجبل فبالإضافة إلى توفيرها للأمن فإنها تحمي السكان من الظروف المناخية القاسية و المتناقضة بين الشتاء القارص و الصيف شديد الحرارة و تشهد هذه النماذج من السكن في قرى أولاد ميمون و أولاد يحي و غوفي[6].

و هناك مساكن أرقى نسبيا من النوع السابق حيث تعرف جدرانها زيادة في الارتفاع الذي يصل إلى مترين و نصف (2.5 م) و سمكه نصف متر (1.5 م) ،أما السقوف فتقام على شكل قبتين مستطيلين و متقابلتين مرفوعة بجدران مستقيمة يشكلون زوايا قائمة ، يلحق بها فناء واسع لها باب كبير بدفتين ، هذا الاتساع يسمح بإضافة غرفة أخرى كلما أضيف زوج إلى العائلة و تعتبر الغرفة متعددة المهام ، فهي المطبخ و غرفة النوم و الاستقبال[7] .

وبقيت الخيمة عند بعض القبائل الرعوية مسكنا فرضته نمط حياتهم البدوي لسهولة طيهــا وحملها، وتصنع الخيمة من أشعار الحيوان و تحسن بالوبر حتى تمنع نفوذ المطر إلى داخلها[8].

---

[1] – حمدان بن عثمان، خوجة: المرجع نفسه، ص65.

[2] – إيف، لاكوست وآخرون: الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي، دار المعارف، بيروت، لبنان، ص46.

[3] – A,w ,c, 15/35 , a,w, c 4/35 , a ,w, c .

[4] - A,w, c 9/35 .

[5] – Hanri , Busson: op, ci t , p53.

[6] - Hanri , Busson: ibid. , p53.

[7] – عبد الحميد، زوزو: الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي المرجع السابق ، ج1 ، ص400.

[8] – عدي الهوا ري: المرجع السابق، ص16

و من القبائل التي بقيت تعتمد الخيمة كمسكن في موسم ترحالها القبائل الجنوبية كالصحارى و أولاد زيان و أولاد الرشاش ، ويعودن إلى قراهم ذات البيوت المسطحة صيفا[1].

6-القــلعة:

وتدعى بالشاوية " تقلعيث" وهي مخزن يتكون من مجموعة من الغرف تؤدي إليها دروب ضيقة لا تسمح إلا بمرور رجل واحد،و يتبع حجمها حجم القبيلة وقد تأخذ الشكل الدائري أو المستطيل تبنى في مكان منبع في أعلى القرية .

يعود نظام القلعة* عند الشاوية إلى العصور القديمة و استمر بنفس الــدور و الأهــداف المتمثلة في تخزين الثروة و المؤونة طويلة الأمد لكل ساكن في القرية ،كما توضع فيها المؤونة الــتي يصعب حملها أثناء موسم الرحيل ،ويترك أحد السكان لحراستها و يتولى خدمتها.

و القلعة بذلك أسلوب اعتمده الشاوية للادخار لوقت الحروب و الجفاف ، وتهدف إلى توفير الغذاء في المستقبل، وهي أيضا نظام احتياطي للطوارئ استوعبه سكان الأوراس من تجربتهم مع الطبيعة، فالنظام المناخي الشحيح الأمطار و المتذبذب لا يمكن الوثوق به أو بكرمه ،ممــا أدى إلى إدراك أهمية توفير احتياطي من المؤونة لتحقيق الأمن الغذائي في المستقبل[2].

كما تحمل القلعة بعد تضامني اتحادي بين أفراد القبيلة من حيث حملها اسم القبيلة ،كمــا توحد جميع أفرادها لهدف واحد هو حملهم الدفاع عنها.

كما تحمل البعد الأمني في حالة الحروب و الغارات توفر المؤونة التي يصــعب اكتشــافها للطبيعة السرية لبنائها فتحافظ على ثروتهم من سلب الغارات.

ونخلص إلى أن الإنسان الأوراسي بقي يحاكي الماضي البعيد حتى في سكنه الذي لم يشهد عليه أي تغير أو تحول عن ذلك التصميم البدائي ،و هذا رغم المحاولة المحتشمة الــتي قامــت بهــا الإدارة الاستعمارية في بداية احتلال المنطقة، بإقامتها القرية العربية قرب باتنة المتكونة من ستة عشر مترلا (16)المبنية بالطوب فوق أساس من الحجارة الغليظة مطلية جدرانها بالجير و الرمل من الــداخل

---

[1] – A,w ,c 6/32.

* هذا النظام لم يعثر عليه إلا في منطقة الأوراس و عند سكان الأطلس الكبير بالمغرب الأقصى ، إلا أن ماسكراي يتكلم عن القلعة في القرى الشمالية للأوراس لدى أولاد عبدي.

[2] – A ,W, c 13/35.

والخارج ،وتميزت بتصميمها و اتساع و تعدد غرفها وإلحاق بها إسطبل ومراحيض وبئر و قد أقيمت فيما بعد نماذج منها في عدة مقاطعات من المنطقة[1].

ويعود هذا البطء في تطور السكن إلى اعتماد أغلب سكان المنطقة حياة الترحال و هجرتهم أغلب شهور السنة و كذلك الفقر الذي يحتم عليهم إقامة المسكن بأقل تكلفة و الانشغال بسؤال العيش على سؤال الجمال ،وكما بقيت المساكن تحافظ على بعدها الوظيفي المتمثل في النظام الدفاعي البدائي و لا نجد أبعاد أخرى كالبعد الجمالي و حتى الديني مثل ما نشاهده في أقاليم أخرى حيث تراعى تصميم البيت الحرمة و الحجبة والاتساع .

[1] – عبد الحميد، زوزو: الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي المرجع السابق ، ج1 ، ص273.

المبحث الثالث :الوضـــع الثقافي والديني :

لعل الملاحظة الأبرز التي يمكن أن يتسم بها الواقع الثقافي والديني لتلك الفترة هو أنه كانـــت امتدادا لثقافة العصور الوسطى والذي هيمنت فيه الطرق الصوفية كمصدر للدين والتعليم والثقافة.

1-الطـــرق الصوفية :

ارتبطت الحياة الثقافية والدينية في منطقة الأوراس وعلى غرار الجزائر وكل العالم الإســـلامي في الفترة الحديثة بظاهرة التصوف ،وقد عرفت الجزائر انتشار الطرق الصوفية الأولى القادمـــة مـــن المشرق ، كما عرفت فيما بعد تجارب صوفية محلية ،وبروز مجموعة كبيرة من علماء الصوفية الذين ساهموا في نشر تعاليمهم عبر جولاتهم مبشرين بها ،وإذا كان التصوف الذي أسس له الأوائـــل هو ذلك الاتجاه الفكري الداعي إلى إخلاص النية لله في العبادة وتطهير النفس البشرية من الأردان والأمراض الباطنية ،إلا أنه في فترة الضعف العام الذي أصاب العالم الإسلامي عرفـــت ظـــاهرة التصوف تجارب منحرفة لاقت تعاليمها انتشارا واسعا بسبب الجهل وسذاجة العقول والتراجـــع العلمي والفكري مما أدى إلى التصاق الدجل والشعوذة، ومن أهم الطرق الصوفية الـــتي عرفتـــها المنطقة.

أ-الطـــــريقة القادرية :

الطريقة القادرية طريقة صوفية دينية تنسب إلى مؤسسها الشيخ عبد القادر الجـــيلاني المكـــنى بمحي الدين أبي محمد عبد القادر الجيلاني بن أبي موسى الحسيني(1078 م-1166 م) ، يعد من أهم الشخصيات الصوفية الأولى في العالم الإسلامي ، تميز بغزارة علمه وقوة نشاطه الـــدعوي كما كانت له الكثير من المؤلفات في التصوف والشريعة ،عرف بسلطان الأولياء طاف أغلب أنحاء العالم الإسلامي مبشرا بتعاليم طريقته[1] .

وتعد القادرية أول وأقدم الطرق الصوفية التي عرفتها الجزائر[2] إذ كان ظهورها حوالي القرن الثاني عشر ميلادي(12م)، على يد الشيخ أبي مدين شعيب الذي اخذ تعاليمها أثناء التقائه بالشيخ عبد القادر الجيلاني في موسم الحج[3] وبعد عودته استقر ببجاية وكون أول زاوية له وقام بنقل تعاليم القادرية إلى المئات من تلاميذه والذين بدورهم ساهموا في نشرها في ربوع الوطن .

---

1 – Louis Rinn : marabouts et khouans, Adolphe jourdan, libraire-éditeur, Alger, 1884, p183.

2 – ادوارد ، دونوفو : الإخوان (دراسة انثروبولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر)،ترجمة وتحقيق كمال فيلالي،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ،عين مليلة ،الجزائر ،2003، ص 29.

3 - بيل : دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الأول ، دار الشرق ، القاهرة ، 1933 ، ص602.

أما منطقة الأوراس فقد عرفت الطريقة القادرية في بداية العهد العثماني على يد الشيخ إبراهيم بن موسى[1] المنحدر من عائلة بني عباس أو بلعباس والتي يعود نسبها إلى مؤسس الطريقة الشيخ عبد القادر الجيلاني حسب الشجرة التالية : محمد الصغير .بلعباس .محمد .بوبكر .محمد .أحمد .عمار .بالقاسم.عبد الرزاق .علي .عبد الرحمان .داود .إدريس .إبراهيم .عبد القــادر الجــيلاني [2] . قدمت عائلة بني عباس للأوراس من نواحي الساقية الحمراء لتستقر بمنعة ،والــتي أسســت بهــا زاويتها الشهيرة وأصبحت تدرس فيها تعاليم الطريقة القادرية و تقوم بنشرها علــى العشــائر المجاورة ،كما أسست لها فرعين بخنشلة و2600تابع و 26 مقدم يتبعون شيخها بالزاوية الأم بمنعة [3] .

واستطاعت هذه العائلة أن يكون لها نفوذ كبير على العديد من القبائل والعشائر الأوراسية لما عرف على أبنائها من الورع وحسن الأخلاق والطباع ،وقد عرفت المنطقة بدخول هذه العائلة استتباب الأمن وتراجع الحروب و الاعتداءات بين القبائل الأوراسية المتناحرة على أراضي الرعي والزرع وذلك لجهودها في حل النزاعات والخلافات بينهم ،كما تميزت بخدماها الثقافية والدينية التي تقدمها للسكان المجاورين و عرف عنها أيضا أنها كانت ملجأ لعابري السبيل والمســاكين حتى اشتهرت بزاوية مول السبيل (أهل الكرم)[4].

وهذا ما يبرر بما فيه الكفاية هذا النفوذ والسلطة المرابطية لهذه العائلة واحتلالهــا مكانــة اجتماعية مرموقة ، هذه المكانة الاجتماعية للعائلة تركت بايات قسنطينة تتقرب منها للاستعانة بها في حماية قوافلها الدفاعية أثناء مرورها بمنطقة الأوراس لأداء مهامها والتي كانت تؤمن لها طريق عبورها من واد الطاقة إلى واد عبدي إلى بني فرح، وبفضل هذا الدور قلدت السلطات العثمانيــة محمد بن عباس لقب قائد الأوراس فأصبح بذلك سيدا على سكان أولاد عبدي و نارة و منعة و بوزينة وتاقوست[5].

كما ساهمت هذه الزاوية في بداية الاحتلال في مقاومته بوقوفها إلى جانب أحمد باي وأحمد بالحاج أثناء التوسع الفرنسي اتجاه الجنوب .

---

[1]– نصر، الدين سعيد وني : المرجع السابق ، ص145.

[2] - colonel ,de lartigue : op, cit, p196.

[3]– : ibid , p197.

[4] - Emile, masqueray : op ,cit, p53.

[5] – نصر الدين سعيد وني : المرجع السابق ، ص145.

إلا أنها سرعان ما تحولت إلى خدمة هذه السلطة الجديدة وهذا ما فرضته موازين القوة ، فلم يكن بوسع زوايا الأوراس في فترة الاحتلال من البقاء إلا إذا أعلنت ولاءها للإدارة الفرنسية .

ب- الطـــريقة الشاذلية :

هذه الطريقة الصوفية تعود في تأسيسها إلى الشيخ تاج الدين أبو الحسن علي الشاذلي بن عطا الله بن عبد الجبار (1196-1258 م)،وهو أحد تلاميذ وخليفة عبد السلام بن مشيش الذي تتلمذ بدوره على يد الصوفي الكبير أبي مدين شعيب[1]، اشتهر أبو الحسن الشاذلي بدعوته الـــتي جمعت حوله العديد من التلاميذ الذين اخلصوا إلى تعاليمه ،وبعد وفاته لم يرث خلافته ذريته بـــل خلفه الأولياء من أتباعه الذين تعلموا عنه و تأهلوا إلى صنع المعجزات والكرامات ، أين أسســـوا زوايا مستقلة ومدارس فلسفية صوفية لنشر تعاليم طرقهم [2] ،ساهمت هذه الاستقلالية في ظهـــور اختلافات في الطقوس التعبدية و تأسس عليها العديد من الطرق التي أصبحت فروع للشاذلية ومن أشهرها الطريقة الدرقاوية بالمغرب الأقصى و المودانيـــة بليبيـــا و الزيانيـــة و الزرقاويـــة ... [3]
وتمثلت الشاذلية في منطقة الأوراس بزاويتين أو طريقتين وها:

-الطـــريقة(الزاوية) الناصرية :

تعد الناصرية طريقة صوفية وفرع من فروع الشاذلية ظهرت في بدايـــة أمرهـــا بـــالمغرب الأقصى بمنطقة تمغروت بواد ذراع ،وعرفت انتشارا كبيرا بموطنها المغرب الأقصى وانتقلت منـــه إلى السودان حتى بلغت تومبوكتو ، ودخلت الجزائر على يد عائلة بن ناصر مطلع القرن الســـابع عشر ميلادي (17 م) حوالي سنة 1602 م بقدوم الشيخ سيدي مبارك بن ناجي المتوفى ســـنة 1614م إلى منطقة سيدي ناجي أين أسس مسجده والمدينة التي أصـــبحت تعـــرف باسمـــه[4] .
تميزت الزاوية الناصرية بنفوذها المعنوي لما كانت تقدمه من خدمات دينية وتعليمية واجتماعيـــة، فكانت بذلك تشع الجهات المجاورة لها في الزاب و الأوراس من بوســـليماني وأولاد داود وأولاد عبدي[5] .

---

[1] – فيلالي ،مختار :نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني ،ط1،دار الفن القرافيكي للطباعة والنشر باتنة ،الجزائر ،ص53.

[2] - colonel, de lartigue : op, cit, p195 .

[3] -– أحمد الخطيب :جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1985 ،ص58.

[4] - colonel , de lartigue : op, cit, p 191.

[5] – عبد الحميد ،زوزو :تاريخ الاوراس إبان الفترة الاستعمارية المرجع السابق ،ج1،مرجع سابق ،ص97.

-زاوية تمرة :كما تمثلت الطريقة الشاذلية أيضا في منطقة الأوراس في زاوية تمرة المتواجدة في جبال الجنوب الغربي لخنشلة والمسيرة من طرف أولاد سيدي بوبكر ،وقد بلغ عدد الأتباع المنخـــرطين فيها في بداية احتلال المنطقة حوالي 1400 أخ [1] .

د-الطـــريقة التجانية :

تأسست الطريقة التجانية بفاس بالمغرب الأقصى على يد الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن سالم التجاني المولود بعين ماضي قرب مدينة الاغواط الجزائرية حوالي سنة1737م والمتوفى سنة1815م ،وقد كان إظهاره للطريقة في أواخر القرن الثامن عشر م (18م) وبـــذلك تعد من أحدث الطرق والجماعات الدينية في الجزائر وقد لاقت انتشارا واسعا بفعل ما نسب إليه واشتهر به عند العامة من كرامات وخلال ،حيث استطاع أن ينفذ إلى قلوبهم و يكسب ودهم

كما كان لجهود الشيخ وخطته العملية في قيامه بالدعوة إلى تعاليمه من خـــلال تنقلاتـــه عـــبر الصحراء و منطقة توات والسودان الغربي وتونس ، و التي كان يقوم أثناءها بتأسيس زاوية في كل مكان يحل به ويعين بها مقدما لتثبيت تعاليمها ،كما قام أصحابه بالفعل نفسه عملا بوصيته وقد تمثل امتداد الطريقة التجانية إلى منطقة الأوراس في نفوذها إلى قبائل بني بربار بجبل ششـــار ، حيث كانوا يتبعون الزاوية التجانية بتماسين وقد بلغ عددهم 6000 أخ تجـــاني ،وقـــد نـــوعز وصول المد التجاني إلى هذه المنطقة إلى قربها من زاوية قمار وسيدي عقبة ذات المكانة والإشعاع الدعوي التجاني ، وأيضا أثرت الصلات التجارية في المساهمة في انتقالها إلى هذه المنطقة خاصة لما عرف على المنطقتين من تبادل ومعاملات تجارية [2]،وهذا ليس غريبا على الطريقة التجانية الـــتي كانت التجارة إحدى وسائلها المهمة في انتشارها الواسع.

تميزت هذه الطريقة بالنفوذ الروحي الكبير لخلفائها على أتباعهم و بالإيمـــان والاعتقـــاد الراسخين لتعاليمها وآرائها إلى درجة التعصب حتى في بعض الاعتقادات المنافية للدين الإســـلامي

---

1 – colonel, de lartigue : op, cit, p196.

2 – – عثمان، زغب : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة وادي سوف (1918 –1947) وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم التاريخ وعلم الاثار جامعة الحاج لخضر باتنة، السنة الجامعية 2006 –2007،ص110.

،كالاعتقاد في أفضلية سيدي أحمد التجاني على الأولياء الصالحين[1] وكراماته الخارقة كرؤية الرسول (ص) يقظة [2]،و ضمان دخول أتباعها الجنة دون حساب وعقاب[3].

كما عرف على الطريقة التجانية عدم التزامها بالقضية الوطنية على عكس ماعهد على الطرق الصوفية في بداية الاحتلال[4] ،رغم أهمية انتشارها الجغرافي وكثرة أتباعها ،بتقديم خدماتها للإدارة الاستعمارية منذ البداية بتسهيلها غزو الصحراء وتمكينها من الوصول حتى منطقة الطوارق في أقصى الجنوب ومساهمتها في إضعاف مقاومة الأمير عبد القادر[5]، التي أصبحت تجربته الجهادية مثالا عند المسلمين ، فقامت بعزله باستخدام بعض قادة الطريقة التجانية مثل محمد التجاني مقدم الطريقة بسيدي عقبة و ميلود بن سالم مقدم الطريقة بالأغواط وطافوا أهم المراكز الإسلامية كالقيروان والأزهر والحرم المكي حاملين فتوى تحرم الجهاد [6] .

كما أيد سي محمد العروسي شيخ زاوية قمار فرنسا في حربها مع بروسيا عام 1870 م من خلال وصيته لإتباعه في الطريقة كما، عرف عليها وقوفها إلى صف فرنسا ضد الدولة العثمانية أثناء الحرب العالمية الأولى (1914م _1918 م) بورود اسم شيخ زاوية قمار في قائمة الوفد المبعوث لتزكية وتأييد الثورة العربية التي قادها شريف حسين أمير مكة[7] لإضعاف الجبهة العثمانية خدمة لحلفائه بريطانيا وفرنسا ، هذه الخدمات والتسهيلات في حقيقة الأمر كانت مقابل خدامات وأهداف متبادلة تمثلت في حصول شيوخ الطريقة على الألقاب وتقوية الطريقة على حساب منافسيها وخاصة ندها القادرية ولعل هذا مايفسر ازدهار الطريقة التجانية وانتشارها في اغلب المستعمرات الفرنسية في إفريقيا وزيادة عددها وقوتها وتأثيرها وأيضا ماليتها حتى أصبحت توصف بطريقة الأغنياء .

---

[1] – علي حرازم، بن العربي برادة : جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني ، ج2 ، مطبوعات سالم الحبيب الجزائري ،دار التجاني للطباعة والنشر والتوزيع ،تغزوت ،الوادي ،الجزائر ،ص4.

[2] – المصدر نفسه ، ج1،ص221 .

[3] – المصدر نفسه ،ص22 .

[4] – أبو القاسم، سعد الله :الحركة الوطنية الجزائرية ، ج1 ،ص301.

[5] – انظر يوسف، مناصرية :ليون روش داخل جيش الأمير عبد القادر (1837 –1839)،مجلة سيرتا مجلة تاريخية اجتماعية يصدرها دوريا معهد العلوم الاجتماعية بجامعة قسنطينة ،العدد 9/8 السنة الخامسة ، ديسمبر 1983، ص13.

[6] – أبو القاسم ،سعد الله : الحركة الوطنية ،ج1، المرجع السابق ،ص ص 246 –247 .

[7] – موسى، بن موسى :الحركة الإصلاحية في وادي سوف ،نشأتها وتطورها (1900 –1939)،مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية ،جامعة منتوري ،قسنطينة ،السنة الجامعية 2005 –2006 ،ص79.

د-الطـــريقة الحنصالية

تعود هذه الطريقة الصوفية إلى مؤسسها الشيخ يوسف الحنصالي الذي قدم من ضواحي زمورة غرب سطيف أسس طريقته بجبل شطاية القريب من قسنطينة ، ثم اتخذ من جبـــل زواوي مقرا له والذي تحول إلى جبل مقدس لدى أتباع الطريقة ،كما اتخذه خلفاؤه الذين تعاقبوا علـــى رأس الطريقة من بعده مقرا لهم مثل سيدي سعدون وسيدي معمر وسيدي أحمـــد الـــزواوي[1]، اشتهر الشيخ يوسف الحنصالي عند أتباعه بكراماته مما عزز لديهم الإيمان بتعاليمه، إلا أن الطريقة الحنصالية إذا ما قورنت بالطرق الصوفية الأخرى التي عرفتها الجزائر نجد أنهـــا بقيـــت محـــدودة الانتشار و الإتباع و لم تتجاوز المناطق المجاورة والقريبة من قسنطينة منطقة نشأتها، و لا تـــذكر المراجع المتخصصة حضور لها في منطقة الأوراس باستثناء ما جاء في إحصاء لويس ريـــن الـــذي حصر وجودهم ببلدية باتنة كاملة الصلاحيات فقط وعددهم أربعة عشر أخ ومقدم واحد[2]، وقلة العدد هذه تبين ضعف تواجد هذه الطريقة الذي اقتصر على الانتماء الفردي لأصحابها وهذا ليس بعيدا على بلدية كاملة الصلاحيات مثل باتنة التي تمتاز تركيبتها الاجتماعية بفردية السكان الأهالي بسبب وجودهم في هذه المدينة الجديدة في الأوراس وذات الحضور الكبير للكولـــون، كعمـــال فرضت عليهم الأوضاع الاقتصادية الانسلاخ عن العائلة الكبيرة أو القبيلـــة في المنـــاطق الريفيـــة والتروح إليها ، أو قد يكونون عناصر أهلية قدموا من النواحي ذات التأثير الحنصالي على عكس ماعرفت به الطرق الأخرى في المنطقة التي يكون حجم انتشارها يعود إلى تبني القبيلة أو العشيرة لها و بذلك يحدث الانتماء الجماعي لأفرادها تلقائيا .

وهذا الحضور الضئيل والفردي انعكس على ضعف تأثيرها ودورها في منطقة بقيت محافظة على مكانة القبيلة وتأثيرها .

وأيضا مايلفت الانتباه أن هذه الطريقة لم تظهر أي مقاومة ضد الاحتلال منذ البداية في كل مناطق نفوذها في الوطن [3] ،وقد يكون هذا الموقف جاء من إدراك خلفائهـــا إلى عـــدم جـــدوى مقاومتهم لقوة كبيرة أمام ضعف عددهم ، أو قد يكون موقفهم جاء تماشيا مع ما ألفـــوه مـــع السلطة السابقة والمتمثل في تقديم فروض الطاعة للحفاظ على نفسها ونفوذها ومصالحها .

---

1 – ادوارد ، دونوفو :المصدر السابق ،ص75 .

2– Luis, rinn : op, cit, p535 .

3– أبو القاسم ،سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية ،ج1،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،ص301 .

هـــ–الطـــريقة الرحمانية:

الطريقة الرحمانية طريقة دينية صوفية نشأت في الجزائر أواخر القرن الثـــاني عشـــر الهجـــري 12هـــ الموافق للقرن الثامن عشر ميلادي (18م) [1]،على يد الشيخ سي محمد بن عبد الرحمـــان القشتولي الجرجي الأزهري المعروف بابي قبرين والمولود خلال الفترة (1715م -1728م) والمتوفى سنة 1793م، ينتمي نسبه إلى عائلة شريفة تنحدر من قبيلة آيـــت إسماعيـــل بالقبائـــل الكـــبرى ،والطريقة الرحمانية تعود في أصلها إلى الطريقة الخلواتية[2] ،والتي تبناها واستقدمها الشيخ محمد بـــن عبد الرحمان القشتولي من المشرق أثناء رحلة تعليمه وأحدث عليها بعض الطقوس والتعاليم الجديـــدة التي ميزتها عن الطريقة الخلواتية الأم ، وشرح تعاليمها وأوردها مؤسسها في رسائله العديدة التي كان يبعث بها إلى أتباعه ومريديه، كما أظهر قواعدها تلميذه و خليفته الشيخ عبد الرحمان بـــن بـــاش تـــارزي* في كتـــاب الوصـــية [3] و كتـــاب الهـــدايا الربانيـــة LES PRESENT DOMINICAUX [4] الذي بين فيه كل الإرشادات والقواعد للمقدمين.

عرفت الطريقة نجاحا و انتشارا واسعين في القطر الجزائري خاصة خلال القرن التاسع عشـــر ميلادي (19م)، كما ترك الشيخ المؤسس محمد بن عبد الرحمان القشتولي مجموعة مـــن التلاميـــذ أصبحوا بدورهم شيوخا لهذه الطريقة، ومن أشهرهم عبد الرحمان باش تارزي ومحمد بـــن عـــزوز البرجي* ،وبفضل جهودهم تواصل انتشار ها ووصلت منطقة الأوراس حتى انتشرت فيهـــا بشـــكل سريع وواسع في كل مناطقها و عند أغلب قبائلها حتى أصبحت الطريقة الأولى من حيث الحضـــور العددي والانتشار الجغرافي .

---

[1] – أبو القاسم ، سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري(16م_20 م) ،ج2، الجزائر ،1981 ،ص156.

[2] – coppolani depont , coppolani xavier : les confreries religieuses musulmanes , jordan alger 1897, resume par j .m.abounouhen ,1937,p31.

* – عبد الرحمان باش تارزي توفي 1807م من أصول تركية من أهل الجزائر العاصمة تتلمذ واخذ العلوم والطريقة على يد عبد الرحمان الأزهري تم أمره للتوجه لناحية قسنطينة لنشر الطريقة

[3] أبو القاسم ، الحفناوي : تعريف الخلف برجال السلف ،ج2 ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر، 1991،ص ص 298–309 .

[4] – C olonel ,de lartigue : op, cit, P 192.

* – محمد بن عزوز البرجي (1757–1818) حفظ القرآن وأخذ العلم على يد والده احمد بن يوسف ثم اتصل بالشيخ عبد الرحمان الأزهري وأخذ عنه تعاليم الطريقة ثم واصل التربية بقسنطينة على يد الشيخ باش تارزي وأمره بالعودة إلى منطقته لنشر الدعوة الرحمانية وهناك أسس زاويته وتصدى للتدريس بها فاشتهر أمره فقصده الناس ونشر تعاليم الطريقة على تلاميذه واتي نقلوها إلى مناطقهم فوصل إلى الجنوب و الأوراس

ولا يمكن تفسير هذا الحضور القوي للرحمانية في منطقة الأوراس رغم دخولها المتأخر للمنطقة مقارنة مع أغلب الطرق الأخرى إلا للأسباب التالية، والتي يأتي في مقدمتها ماذهب إليه الأستاذ عبد الحميد زوزو ،والمتمثل في توافق الذهنية والعقلية الأوراسية مع تعاليم الطريقة التي تميزت بالسهولة وعدم التعقيد[1] ، وكذا حيويتها التي امتلكتها كطريقة جديدة، وأيضا تقاليد الدعوة التي أسسها شيخها المؤسس بتركيزه على تربية طلابه ليجعل منهم مبشرين لتعاليم الطريقة في المناطق التي سوف يرسلهم إليها، وقيام هؤلاء بدورهم بنفس التقليد فالشيخ المؤسس محمد بن عبد الرحمان القشتولي علم وربى الشيخين مصطفى بن باش تارزي ومحمد بن عزوز البرجي والذين قاما بتأسيس زوايا لنشر تعاليم الرحمانية، ولما تخرج على أيديهم طلبتهم الأوائل الذين ركزوا على توجيههم للدعوة، أمروهم بإنشاء زوايا للدعوة لتعاليم الطريقة، فظهرت زوايا ومشايخ عرفوا بالتقوى والصلاح و الدعوة لصالح الطريقة الرحمانية كعبد الحفيظ الخنقي* و علي بن عمر بن عثمان الطولقي*.

ونضيف البعد الجغرافي فمنطقة الأوراس أحيطت من جميع جهاتها بأهم زوايا و مراكز إشعاع الرحمانية، ففي الشمال كانت زاوية باش تارزي بقسنطينة والتي دفعت بالطريقة إلى شمال الأوراس ،ومن الجنوب تواجدت أهم زوايا الدعوة الرحمانية كزاوية بن عزوز بالبرج وعثماني بطولقة وحفيظي بخنقة سيدي ناجي و مختار بن خليفة بأولاد جلال.

وقد ساعدت أيضا الروابط والصلات الاجتماعية والاقتصادية بين شمال الزاب والتخوم الجنوبية للأوراس على الارتباط الثقافي والديني بالإضافة إلى تأثيرات زاوية الهامل ببوسعادة ، أما من الجهة الغربية فقد كانت امتدادات إشعاع الزوايا الرحمانية بمنطقة القبائل تصل الأوراس مرورا إليها من الهضاب العليا الشرقية وزاوية تلا غمة ، أما شرقا فقد كانت تأثيرات زاوية نفطة التي أسسها مصطفى بن عزوز قد بلغت المنطقة عن طريق التلاميذ الأوراسيين الذين يقصدونها طلبا للعلم . وكان أيضا لهشاشة تواجد الجماعات الطرقية السابقة لها بالمنطقة وضعف تأثيرها بسبب تراجع نشاطهم الدعوي ،أن أحدث شبه فراغ وفتور استغلته الطريقة الرحمانية بقوة نشاطها وحيويتها.

[1]– عبد الحميد، زوزو : الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي المرجع السابق ،ج1، مرجع سابق ،ص361 .

* – عبد الحفيظ بن محمد الخنقي (1789–1850) اخذ الطريقة على يد الشيخ محمد بن عزوز ثم أسس زاويته بأمر من معلمه ونشر الطريقة على طلابه الذين قصدوه من نواحي عديدة وخاصة من الزيبان و الاوراس.

* – علي بن عمر الطولقي 1754اخذ الطريقة على يد محمد بن عزوز ولما بلغ من العمر 28 سنة أمره بتأسيس زاوية ببلدته طولقة لنشر العلم وتعاليم الطريقة والتي أصبحت قبلة لطلبة العلم ،كما أوصى محمد بن عزوز بخلافته توفي اثر إطلاق رصاصة خطاء حين كان يبادر لحل خلاف بين قبيلتين متناحرتين .

وقد قدمت هذه الطريقة أحسن الأمثلة في مقاومة الاستعمار في بدايته إن على المستوى الوطني أو على مستوى منطقة الأوراس التي خرجت من زواياها سلسلة من المقاومات، والتي بدأت بالمحاولات الأولى للقوات الاستعمارية للدخول للمنطقة واستمرت في الظهور في كل مناسبة تعبر عن رفضها للأجنبي،وأهمها انضواء الزعماء الدينيين للرحمانية إلى مقاومة الزعاطشة سنة 1849م ،ثم تنظيم الشيخ صادق بالحاج لمقاومته سنة 1858 م ودعوته كل الأتباع والزوايا لمجاهدة فرنسا ، ثم تلاها انضمام كل الأوراس التلقائي والسريع لمقاومة المقراني سنة 1871 م، وبعد ذلك كانت انتفاضة ابن جار الله سنة 1879 م ، إلا أنه بمجي سنة 1886 م استطاعت فرنسا إخضاع المنطقة وأحكمت القبضة على الزوايا بمختلف الطرق وأصبحت خادمة لها .

و- طـــريقة الأحباب:

ويطلق عليها أيضا الطريقة الدردورية نسبة إلى آل دردور هذه العائلة التي وفدت من ناحية الساقية الحمراء إلى منطقة الاوراس حوالي سنة 1400م.

تعد هذه الطريقة حديثة التأسيس ومحلية الأتباع والانتشار، إذ لا وجود لأتباع لها خارج منطقة الأوراس ،كما تستلهم هذه الطريقة تعاليمها من التعاليم الأساسية للرحمانية [1] . ويختلف في نسب تأسيسها بين الشيخ علي بن عمر دردور الأب و سي الهاشمي بن على دردور الابن ،أصحاب الرأي الذين ينسبون تأسيسها إلى الأب ، يقولون أن أثناء رحلته التعليمية بزاوية محمد بن عزوز البرجي أخذ عنه تعاليم الرحمانية ثم انتقل وبأمر منه لمواصلة تعليمه إلى زاوية الشيخ عبد الحفيظ الخنقي ،ولما انتهى من رحلته هذه عاد إلى بلدته أين أسس زاويته وطريقته حوالي نهاية القرن الثامن عشر ميلادي 18م [2] .

أما الرواية الأخرى فتنسب تأسيس الطريقة إلى ابنه الشيخ الهاشمي بن على دردور الذي خلفه بعد وفاته سنة1875 م على رأس الزاوية ،وفي العام الموالي سنة 1876 م قام بتأسيس طريقة الأحباب، ونحن نميل إلى ترجيح هذه الرواية الأخيرة وذلك لما امتلكه الشيخ سي الهاشمي دردور من العلم والاطلاع اللذين اكسباه معارف دينية عميقة وفهما واسعا ، كما كان لإقامته أثناء رحلته التعليمية بمصر أن تعرف على العديد من الطرق الصوفية التي كانت تنتشر بكثرة خاصة بالإسكندرية التي هي الأخرى أقام بها دارسا ومدرسا، و كان أيضا للقائه الشيخ السنوسي الأثر الكبير في توجهه

---

[1] - colonel, de Lartigue : op, cit, p 202.

[2] - مقابلة شخصية مع عبد الباسط دردور تازولت يوم 27 – 08– 2009 م.

الصوفي الجديد حتى بلغ دخوله الطريقة السنوسية والأخذ من تعاليمها[1]، كما يعزز قناعتنا أيضا تلك الجهود الإصلاحية والتربوية التي بذلها لإحياء الشعائر الدينية لدى مريديه ، ويقول الكولونال دولارتيغ :((وفي وقت وجيز،تجمع حوله العديد من الأتباع الذين نظمهم في مجتمع ديني متبادل المنفعة والخير حيث عمل جاهدا لتوضيح التشريع الإسلامي في صورته الطاهرة المقدسة))[2].

وقد ترك تراثا لأتباعه في هذه الطريقة من أهمه قصائد المبشرات التي كانت نبراسا في توجيه وإعانة مريديه في أدائهم لشعائرهم الدينية والتمسك بها.

وما يلاحظ على هذه الطريقة ابتعادها عن البدع والخرافات التي ميزت في هذه الفترة أغلب الطرق في العالم الإسلامي، وهذا ليس غريبا عن طريقة ترجع في نسب تأسيسها إلى صاحب تعليم أزهري ورحلة علمية طويلة وقف خلالها على بعض التجارب الصوفية التي لم يلحقها أذى الزمان واكتشافه للتصوف الحقيقي مثل ما أسس له الأوائل، فكانت تجربته بذلك تمثل توجه إصلاحي في زمانه .

كما تميزت هذه الطريقة أيضا بمواقفها الوطنية منذ البداية إذ وقفت ضد التواجد الفرنسي في المنطقة بإعلان خليفتها الشيخ الهاشمي دعمه وتأييده للثائر ابن جار الله سنة 1879م في مقاومته للمحتل ، وأمر أتباعه بعصيان السلطات الفرنسية ،والامتناع عن دفع الضرائب لمصالحها ، مما كلف هذه الطريقة نفي قائدها وأهم مقربيه[3] وإغلاق مقرها ، وحتى بعد السماح لها بمباشرة العمل التزمت الحياد ولم تتقرب إلى الإدارة الاستعمارية كدأب أغلب الطرق مما ألزمها التهميش من شدة المراقبة والتضييق على نشاطاتها .

مثلت الطرق الصوفية إلى جانب سلطتها السياسية والاجتماعية مصدرا للثقافة والدين فكان لدورها في التربية ولعب دور الوسيط بين الحاكم وجماهيرها من جهة والجماهير المسلمة والله من جهة أخرى، هذه الوساطة المزدوجة احتلت من خلالها مكانة في مجتمع زراعي بدوي كالأوراس إلا أنه بقدوم الاستعمار وظهوره كقوة منظمة في الإدارة والتعليم والاقتصاد والاجتماع أنتج صياغة جديدة للمجتمع أصبحت الطرق الصوفية فيه عاجزة على التحكم في أتباعها ومريديها ولم يبقي إلا الانتماء الرمزي لهم معها، وكان كلما تقدم الزمن يتراجع نفوذها بسبب تراجع

---

[1] – المقابلة نفسها

[2] – colonel , de Lartigue : op, cit, p 202.

[3] – انظر عبد الحميد، زوزو :نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900)،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،2007 ،ص 194. نقلا عن2 a.o.m. 16 h.وانظر أيضا -colonel de Lartigue : ibid. p 205.

وظائفها التي عوضتها مؤسسات الاستعمار ، والتحولات التي عرفها المجتمع على جميع الأصــعدة رغم محاولة إنقاذ نفسها بالوقوف إلى جانب الاستعمار ،إلا أن هذه الإجراءات أدت إلى ســوء سمعتها وتراجعت بذلك مصدقيتها عند الشعب التي راء فيها أنها تحقق مصالح أفرادها على حسابه ولعل انتفاضة 1916 م، قد أبانت على أن الجماهير الأوراسية التي تعلقت كثيرا بزواياهــا قــد وعت حقيقة دور أصحابها في عدم مراعاة مصالحهم ،بل كانت تعمل على ترضية وخدمة الإدارة على حسابهم .

كما أن انفصال الطرق الصوفية عن الحياة جعل منها مؤسسات غير فاعلة وحتى جمودهــا الذي ظهر في ثبات أفكارها و قدم تفسيراتها جعلها غير قادرة على عكس الحياة اليومية ،هــذه الوضعية جعلتها تخسر فئة الشباب شيئا فشيئا ،كما أن نجــاح إســتراتجية إدارة الاســتعمار في إضعافها من خلال زرع الخلافات والتراع داخلها من جهة وبين بعضها البعض من جهة أخرى إلى فقدان احترام أتباعها والسيطرة عليهم.

كل هذه المعطيات المستجدة على الطرق الصوفية جعلت الهون يأخذ مأخذه منها حــتى أصبحت عاجزة على الدفاع عن نفسها .

2-التعليم العربي الإسلامي:

تمتع التعليم في الجزائر قبل الاحتلال بعناية خاصة من قبل الأهالي وهذا ماتثبته الكــثير مــن الاعترافات، فقد كتب الجنرال "فالري " عام 1834 م ((إن كل العرب (الجزائــريين) تقريبــا يعرفون القراءة والكتابة ،حيث هناك مدرستان في كل قرية .[1])) .

تكررت مثل هذه التصريحات والاعترافات التي تصف الواقع الثقافي والتعليمي بالجزائر في عدة مناسبات ومن طرف العديد من الشخصيات الفرنسية، وقد أكدها حتى مؤرخوهم مــن أمثــال مارسيل اجريتو في كتابه "الجزائر الوطن "،الذي وصف بأن الثقافة في الجزائر قبل دخول الفرنسيين كانت مزدهرة رغم التخلف الحضاري ،ويعود هذا إلى الميل المتأصل في نفوسهم للعلم والمعرفــة [2] ،كل هذا يجلي حقيقــة الانتشــار الواســع للمؤسســات التعليميــة والتعلــيم في الجزائــر. والحقيقة أن منطقة الأوراس لم تستثن من هذا الواقع ،وما يؤكد ذلك أنها كانت تحتوي على ستة زوايا كبرى كما لم تخل قرية أو دشرة فيها من مسجد أو كتاب لتحفيظ القــرآن والتعلــيم

---

[1] – أبو القاسم ، سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية ،ج2 ،ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1983 ،ص62 .

[2] – مارسيل، اجريتو:الجزائر الوطن ،ترجمة عبدالله نوار ، سلسلة كتب سياسية ،القاهرة ،1959 ،ص67.

الديني[1] ، مما يعكس حقيقة أن أغلب سكان الأوراس كانوا يعرفون القراءة والكتابة كما يعرفون الواجبات والفرائض التعبدية وكثيرا من الأخلاق والآداب التي تفرضها المعاملات الإسلامية ،وهذا أيضا ليس غريبا على منطقة يتبع أغلب سكانها الطريقة الرحمانية التي عرفت زواياها بالاهتمام بالتعليم [2].

إلا أن هذا الحال لم يستمر باحتلال المنطقة ،فلقد قلب الاستعمار المعطيات الاقتصادية والاجتماعية التي كان لها تأثيرها البالغ على التعليم ،ففي أول محاولة للإدارة العسكرية قام الماريشال "راندون"* سنة 1850 م بإصدار قرار يرمي إلى فصل المهام التعليمية عن المهام الدينية التي تقوم بها الزوايا وتعويضها بالمدارس العربية والتي أنشأت نماذج عنها في بسكرة و باتنة، كما أتبع بقرار 1858 م الذي يحرم ممارسة التعليم إلا برخصة من طرف السلطات العليا[3] ،كان لهذه القوانين وأخرى تبعتها أثرها البالغ في تهديم البنية الثقافية والتعليمية للأهالي.

كما أدت الثورات التي عرفتها المنطقة بطريقة مباشرة أو غير مباشر إلى إضعاف التعليم ، ولأن كل المقاومات حتى بداية الحرب العالمية الأولى خرجت من الزوايا و تحت قيادات مشائخها وعلمائها و الأئمة والمعلمين فيها ،فراح ضحيتها عدد كبير كشهداء و أما من بقي منهم على قيد الحياة فقد تعرضوا إما للنفي أو السجن أو الهجرة إلى الخارج[4]، و بذلك تعطلت أدوارهم التعليمية و لعل أبرزهم الشيخ الصادق بالحاج والشيخ سي الهاشمي بن علي دردور والشيخ عبد الحفيظ الخنقي والذين عرفوا بنبوغهم العلمي وجهودهم التعليمية حتى عدو أقطابا حولوا زواياهم إلى مراكز علمية نشطة استقطبت طلبة العلم من مختلف نواحي المنطقة .

كما استهدفت الزوايا التي كانت تسدي تعليما جادا وذات سمعة ونشاط تعليمي جلبت من خلاله العديد من الطلبة من مختلف أنحاء المنطقة إلى الغلق والتخريب مثل زاوية سيدي المصمودي وزاوية آل دردور وزاوية القرقور[5] وتعرضت الزوايا الأخرى للمراقبة والتضييق عملا

---

[1] – عبد الحميد، زوزو : الاوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي المرجع السابق ،ج1،ص357 .

[2] – حميدة، عميراوي : جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري (بداية الاحتلال)،دار البعث والنشر، قسنطينة ،ط1 ،1984 للطباعة ،ص41 .

* – راندون :حاكم عام للجزائر في عهد الإمبراطورية الثانية من 1852 إلى 1858تميز عهده بالحد من الهجرة والاستيطان الأوروبي الا انه تراجع بعد ذلك عليه .انظر يحي بوعزيز :سياسة التسلط الاستعماري مرجع سابق ، ص ص15 ،18 .

[3] – عبد الحميد، زوزو :الأوراس إبان فترة الاستعمار ،المرجع السابق ،ج1، ص355.

[4] – أبو القاسم ، سعد الله :الحركة الوطنية الجزائرية ،ج1(القسم 1)، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر، 1984،ص83.

[5] – عبد الحميد ، زوزو :الأوراس إبان فترة الاستعمار، المرجع السابق ،ج1، ص 358.

بتوصيات التقارير والدراسات الفرنسية التي اهتمت بالزوايا وخلصت إلى إن المحتوى التعليمي لها يغذي الكراهية وينمي الروح العدائية ضد فرنسا[1]، و لم تبق إلا الزوايا التي تحولت عن أدوارها التربوية والاجتماعية لصالح دور خدمة الإدارة، وقد أضافت سياسة مصادرة مصادر تمويل التعليم إلى عزوف المعلمين عنه وتراجع عقاراته[2] .

كما ساهمت التحولات الاقتصادية التي طالت الأهالي بسبب المصادرة وقوانين الملكية الجديدة إلى إفقارهم ، فأدى بقطاع مهم منهم إلى انحدار حاجة التعليم عندهم إلى سلم الثانويات أمام حاجة العيش و عجز مواردهم على السماح لمواصلة تعليم أبنائهم وإجبارهم في الانخراط ومشاركة العائلة في العمل في سن مبكرة [3].

كل هذه الظروف الصعبة على التعليم ومع تراكم مضاعفاتها السلبية خلال عقود أدت إلى سيادة الجهل ونضوب المنطقة من الثقافة والتعليم وتراجع عدد المعلمين والمؤسسات التعليمية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، وقد كانت هذه الوضعية أكثر عبئا على السكان البدو ونصف البدو والذين يشكلون عددا معتبرا من مجموع سكان الأوراس لأنهم أصبحوا لايقدرون على توفير معلم يصحبهم في تنقلاتهم لتعليم أبنائهم كما كانت تجري العادة عندهم ، إما لقلتهم (المعلمين) أو لتكلفته مما جعلهم فريسة للجهل .

أما الإقامات النائية وخاصة تلك الواقعة على رؤوس الجبال فأدى اختفاء المؤسسات التعليمية و انقطاع التعليم بها إلى جهلهم حتى الكلام باللغة العربية[4] ،بسبب أنها لم تكن عندهم لغة التخاطب والمعاملة كما طال جهلهم العبادات والشعائر الدينية رغم بقاء الشعور بالانتماء للإسلام .

وقد أجهضت كل فرصة لتحسين الوضعية التعليمية فحتى في حالات عودة بعض علماء ومشائخ أوراسيين درسوا بجامعات الشرق (الزيتونة والأزهر) لم يستقروا بالمنطقة بسبب عدم ملائمة الوسط الثقافي لهم ،مما اضطرهم إلى مغادرتها لمناطق أخرى مثل الشيخ عبد القادر المدوكالي

---

[1] – علي ، مراد:الحركة الإصلاحية الجزائرية من 1925 –1940 ،ترجمة محمد يحياتن ، دار الحكمة الجزائر ،2007 ، ص63.

[2] – جمال ، قنان : قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ،منشورات المتحف الوطني للمجاهد ،الجزائر ،1994 ،ص121 .

[3] – انظر عبد الحميد، زوزو : نصوص ووثائق ، مرجع سابق ،ص219 .

[4] – العربي، دحو : الخدامات الثقافية في منطقة الأوراس خلال الثورة التحريرية ،مجلة الثقافة ، العدد 94 ،يوليو – أغسطس ،1986،ص174 .

الذي غادر بداية إلى قسنطينة، ثم هاجر للمشرق والشيخ بن منصور محمد الميلي * الـــذي آثـــر الاستقرار في ميلة وبذلك لم يعد بالمنطقة من معلمين إلا مايدعون الطّلبة والذين لاتتجاوز معرفـــة كثيرهم حفظ القرآن وبعض المتون يقدمونها في كتاتيب أو زوا يا أو مساجد لإعداد قليلة مـــن الصبية وبطريقة تقليدية ومملة لاتستثير أجمل الملكات لديهم [1] .

وأمام هذا الوضع اضطرت بعض العائلات وخاصة الدينية –لضرورة بقاء العلم في بيتها– إلى إرسال أبنائها إلى زوايا الجنوب وعلى رأسها زاوية طولقة وخنقة سيدي ناجي ،وقد تحددت رحلة التعليم للأوراسيين وأخذت هذا المسلك بسبب التأثير الرحماني أما بالنسبة للأوراس الغربي فكانت تشدهم الرحلة إلى الزاوية الحملاوية بتلاغمة .

ومع بداية العشرينات من القرن 20 م عرف التعليم العربي في الأوراس انتعاشا فتزايدت عدد المدارس القرآنية وعادت محاضر المساجد والزوايا للنشاط وتزايدت أيضا عودة الأبنـــاء لحلقـــات الدروس من مختلف الطبقات الاجتماعية وفي كل نواحي المنطقة .

والحق أن هذه الصحوة التعليمية قد ترجع إلى عودة بعض الشخصـــيات الـــتي تعلمـــت في جامعات الشرق أو الزيتونة أو قسنطينة ،حاملين معهم فكرة الإصلاح ومشروع النهضة مراهنين على أهمية التعليم في تحقيقها ، وقد توافقت هذه الفكرة مع إرادة بعض أصحاب الزوايا في إعادة دور مؤسساتهم لدورها الطبيعي ، فكانت محاولة أولاد سي الصادق بالحـــاج أصـــحاب زاويـــة تبرماسين في توظيفهم الشيخ الجموري خريج الأزهر معلما بزاويتهم بداية من ســـنة 1923 م، والذي استمر عمله بها مدة عشر سنوات[2] ثم استخلفه الشيخ الأزهري الجموعي بن مازوزي[3]، مما يعكس رغبة أولاد سي الصادق بالحاج في ترقية ونشر التعليم بزاويتهم ، كمـــا أيضـــا ســـاهمت تأثيرات الشيخين الطيب العقبي ومولود الزريبي* في تنشيط الجو التعليمي في المنطقة من خـــلال

---

* –الشيخ بن منصور محمد الميلي ينحدر أصوله من جبال الاوراس تعلم بقسنطينة على يد الشيخ عبد القادر المجاوي ثم استقر معلما في مدينة ميلة الذي تجاوزتها شهرته للمناطق المجاورة واهم تلاميذه الشيخ مبارك الميلي ،راجع احمد صاري :شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصرة ،المطبعة العربية ،غرداية ،2004 ،ص34 .

[1] – ايفون ،تيرين :المجابهات الثقافية ، مرجع سابق ،ص51 .

[2]- فاني، كولونا :المرجع السابق ، ص 268 .

[3] – مقابلة شخصية مع السيد دروف محمد الهاشمي، بسكرة 2009/8/20.

* – الشيخ مولود الزريبي (1897 –1935) ولد بزريبة الواد إحدى ضواحي منطقة الزيبان أخذ تعليمه الأولى بها ثم التحق بالجامع الأزهر وبعد نيله الإجازة عاد في نهاية الحرب العالمية الأولى ليباشر النشاط التعليمي و الإصلاحي بالمنطقة وقد استفادت منه مناطق الاوراس ،مارس التعليم في زاوية سيدي أمحمد بن عزة بقرية الحجاج وطاف زوايا ومساجد حوز أريس مدرسا وواعظا تم انتقل إلى باتنة أين شارك في تأسيس المسجد الجديد ثم انتقل إلى العاصمة عمل محررا لجريدة الصديق والتدريس بالجامع الكبير ،انظر عادل نويهض :معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى منتصف القرن 20 م، ط1 ،منشورات المكتب التجاري،بيروت 1971،ص138.

دروسهم التي كانوا يقدموها أثناء زياراتهم لبعض مناطق الأوراس ولمدة أيام طويلة[1]، وأيضا كان لتأسيس المسجد الجديد بباتنة سنة 1922م وتنصيب الشيخ الطاهر مسعودان الحركاتي خريج الزيتونة إماما عليه ،وقيامه بتنظيم عملية التدريس وتعيين مساعدين له من خريجي الزيتونة أيضا أمثال الشيخ أعراب والشيخ القندوز[2] إلى تحويل مدينة باتنة إلى عاصمة التعليم لكل الأوراس ،وهذا ماكانت تعانيه الثقافة في الأوراس وسهل على الاستعمار تدمير بنيتها الثقافية .

كما كانت نهاية الحرب العالمية الأولى بداية لخروج الأوراس من عزلته الجغرافية وانفتاحه على العالم الأخر فتزايدت التدفقات وتسربات الأشياء الجديدة إلى أوساطه الاجتماعية و الثقافية التي ساهمت في توجيه تحولاته نحو النهضة التي تعرفها في هذه اللحظة كل الجزائر.

3-التعليم الفرنسي :

راهنت فرنسا في مهمتها الحضارية في الجزائر على التعليم ،وكانت ترى أن الثقافة والقيم الفرنسية هي النموذج الذي يجب تعميمه على الأهالي الجزائريين ،وبذلك كان وسيلة للفرنسة والإدماج وأحيانا كثيرة للتنصير، وبذلك أدركت السلطات الاستعمارية أهمية التعليم في تحقيق الاحتلال المعنوي ، وقد نبهت إحدى التقارير الموجهة إلى الحاكم سنة 1861 م كوسيلة فعالة للتغلب على الروح المعنوية للأهالي[3]،كما اقتضت حاجة الإدارة إلى إعداد فئة من أبناء الأهالي لشغل وظائف ترفع عنها الكولون .

وقد استفادت منطقة الأوراس من المدرسة الفرنسية مبكرا ، حيث افتتحت أول مدرسة ببلدية باتنة سنة1857 م و كانت تحت إشراف المبشرين، غير أنها ظلت خاوية من أبناء الأهالي لسنوات طويلة فلم يتعد عدد المتمدرسين بها بعد ثماني سنوات أي حتى شهر ماي 1864 م حوالي ستة تلاميذ من أبناء الأهالي[4] ، ويرجع هذا الإقبال الضعيف إلى توجس السكان من مشروع المدرسة الفرنسية لأسباب دينية (الخوف من التنصير) وسياسية تتعلق بالاحتلال.

كما أن هذه المدرسة كانت ببلدية باتنة التي كانت قليلة السكان من عنصر الأهالي وبذلك فهي بعيدة عن أبناء الاقامات الأخرى،و أمام تحدي عزوف الأوراسيين في الالتحاق بالمدرسة لجأت

[1] – انظر أحمد، مريوش :الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية ،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ،معهد التاريخ بوزريعة جامعة الجزائر ،1991 – 1992 ،ص80 .
[2] – مقابلة شخصية مع السيد نور الدين مسعودان باتنة 2008/05/21
[3] – انظر عبد الحميد، زوزو :الأوراس إبان فترة الاستعمار ، المرجع السابق ، ص341 .
[4] – المكان نفسه .

الإدارة إلى إجبار القياد والموظفين لإرسال أبنائهم مما أدى إلى تحسن طفيف، والجدول التالي يبين لنا تطور عدد التلاميذ في مدرسة باتنة [1] :

السنة	عدد التلاميذ
1865	30
1866	61
1867	68
1886	50

من القراءة السريعة لأرقام الجدول نلحظ التطور البسيط لأعداد المتمدرسين مما دفع بـالإدارة إلى المراهنة على مشروعها في جلب أكبر عدد ممكن من التلاميذ إلى استعمال كل وسائل الإغـراء والعقاب معا لدفع السكان لإرسال أبنائهم إلى المدرسة ،وقد واصلت فرنسا جهودها بفتح مدارس أخرى للوصول لأكبر عدد من الأبناء فأسست مدرسة بريكة وخنشلة كما زاد توسع المـدارس عملا ببرنامج جول فيري وزير التعليم العمومي الذي يهدف إلى تطـوير التعلـيم الابتـدائي في صفوف أبناء الأهالي ففتحت ثلاث مدارس أخرى ببلدية باتنة سنة 1884 م (مدرسة بفـونتين كلود ،مدرسة بقصر بلزمة ،مدرسة بواد علمة) ومدرسة ببلدية انقاوس وأيضا بالقنطرة وعـين التوتة وببلدية أوراس تم فتح واحدة بمنعة وأخرى بواد طاقة ، بينما في وسط البلدية (أريس) فـإن المدرسة التي أقيمت بها سرعان ما تم غلقها بسبب عدم التحاق أي تلاميذ بها.

وإذا استثنينا هذه المدرسة الأخيرة فقد عرف واقع التمدرس تحسنا بهذه المدارس بفعـل تطبيـق إجبارية التعليم الذي جاء به قرار 1883 م الذي يرغم الأبناء الذين تتراوح أعمارهم مـابين ستة و ثلاثة عشرة سنة على التوجه للمدرسة الفرنسية [2]، غير أن هذه الإرادة قابلتها إرادة أقـوى منها مثلها فريق المستوطنين الذي كان يرفض أي تحسين في وضعية الأهالي وخاصة في الميـدان التعليمي بحجة أن الأهلي لايمتلكون قابلية للتعليم باعتبار الطبيعة المتوحشة لديهم ،إلا أن جـوهر هذا الرفض كان ينم على الطبيعة العنصرية للكولون ونظرتهم الاستغلالية لبقاء الأهالي متخلفين

[1] – المرجع نفسه ،ص140.
[2] –المكان نفسه.

لايصلحون إلا للإعمال الشاقة ،كما كان أيضا هاجس الخوف من تعليمهم أن يودي إلى وعيهم بحقوقهم والذي يدفعهم إلى الاستقلال[1] .

كما أثر سلوك الانكفاء والانعزال الذي لازم الأوراسي للاستعمار إلى وقت متأخر إلى مقاطعة كل مؤسساته .

وصفوة القول لم تكن التحولات التي أحدثها الاستعمار في المجتمع الجزائري قد جرت بنفس الوتيرة ،وهذا يعود إلى عدم خضوعه للاستعمار بنفس الشكل ،ومنطقة الأوراس إذا ماقورنت بباقي مناطق الشمال فإن الحضور الفرنسي لم يبلغها بشكل كبير بمثل ما بلغه في مناطق أخرى ولعل هذا ناتج عن أثر طبيعة المنطقة التي كانت تمثل نوعا من الدفاع الذاتي ضد الغزو ، فقلة مواردها وضعف تربتها وقساوة مناخها وصعوبة تضاريسها، وبذلك لم تكن تتوفر على ما ياستهويه الكولون مما انعكس على قلة وضعف الهياكل المدرسية الاستعمارية .

كما كان للطبيعة القبلية والاجتماعية للسكان المتميزة بالانغلاق على نفسها أن تتحاشى أي انفتاح وتواصل مع الآخر الغازي ،ولعل حتى هذه الإستراتيجية الدفاعية كانت سلوكا غريزيا عند الإنسان الأوراسي استمده واحتفظ به من تجارب وميراث أجداده مع كل الغزاة عبر التاريخ الطويل للمنطقة .

كل هذه الأسباب تركت المنطقة تعيش حالة التهميش والعزلة مع الماضي بعيدة عن كل التحولات التي أحدثها الاستعمار في أغلب بنى المجتمع الجزائري ،والتي دفعته عنوة إلى التحديث والأخذ بعناصر العصرنة عبر مؤسساته الإدارية والاقتصادية (الزراعية والصناعية) والطبية والتعليمية وأنتجت فيه قوى جديدة تقاوم من أجل حياة هذا المجتمع وتدفع بحراكه الاجتماعي والثقافي نحو شكل جديد يأخذ زمام المبادرة لتمثيل المجتمع في صراعه مع الاحتلال .

واستنادا إلى الأرقام والتعليقات المبينة في متن الفصل التي تبين حجم التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فإن الوضع في الأوراس يعبر بصورة كارثية عن حيف وجور السياسة الاستعمارية التي أضيفت إلى صعوبات التأخر في الميادين السابقة بسبب انطوائه على نفسه وتقوقعه في جغرافيته وجمود عاداته وتقاليده.

[1] – رابح ، تركي :عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم (1900 م–1940 م) ، ط1 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،ص139 .

الفصل الثاني : بدايـــة انتشار الفكـــر الإصلاحـــي في الأوراس

المبحث الأول : أول معــرفة للاوراسيين بالفكـــــر الإصلاحـــي.

المبحث الـــثاني : الطلائع الأولى للطلبة الأوراسيين عند ابن بـــاديس.

المبحث الثـــالث: دور الطـــلبة في نشر الفكر الإصلاحـــي للعلمـــاء.

الفصل الثاني : بدايـــة انتشار الفكـــر الإصلاحـــي في الأوراس

المبحث الأول : أول معـــرفة للاوراسيين بالفكـــــر الإصلاحـــي

عرفت أحواز الأوراس ــ رغم طابعها المغلق مع الفضاءات الأخرى من القطر الجزائـــري أو حتى البلاد الإسلامية ـــ من النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى بدايـــة القـــرن 20م، هجرات طلابية محدودة جدا نحو معاهد و جامعات العالم الإسلامي، وعلى رأسها جامع الزيتونة والأزهر الشريف، بدافع الرغبة في المزيد من التحصيل العلمي والتبحر في العلوم الدينيـــة، بعـــد حصولهم على تعليم أولي وابتدائي في الكتاتيب والزوايا القريبة من مسقط رأسهم .

إن انتقالهم إلى هذه الأوساط الثقافية والاجتماعية الجديدة في هذه الفتـــرة سمـــح لهـــم بالاستفادة من فرصـــة الاحتكاك المـــبكر بالبيئات الإصلاحية ،حيث كانت هذه المعاهد تتمتـــع بوسط متفتح على الأفكار المختلفة وذي مستوى ثقافي لا بأس به ، كما أنها تتمتع بسمعة علمية طيبة ويرجع ذلك لما ضمته من أساتذة ومشايخ لهم من العلم والمعرفة ما يستطيعون به إنارة عقول طلبتهم وتنمية قدراتهم و معارفهم ،متجاوزين تعليم مدارس الزوايا المتواضع ذي المحتوى الصـــوفي الغارق في الغيبيات والخرافة.

كما ساعد تزامن وجود بعضهم بهذه المعاهد مع فورة الفكرة الإصلاحية الجديدة التي بشـــر بها جمال الدين الأفغاني * بمعية تلميذه محمد عبده* ،و التي تأثر بها وناصرها الكثير من مشايخ و أساتذة الأزهر والزيتونة ، فأصبحت أكبر المعاهد العلمية الإسلامية تردد الأصداء الإصلاحية من خلال مناقشة الإشكالات التي تعالج التجديد والاجتهاد وتبجيل العقل والتفكير، والـــدعوة إلى النظر في واقع الأمة وسبل تصحيح العقائد والدين من شوائب التصوف الخاطئ.

وإن بقيت في هذه الجوامع روا سب من العلم التقليدي و الصوفي لـــدى بعـــض المشـــايخ والأساتذة إلا أن مستواهم العلمي ، لم يكن ليترل بهم إلى الاعتقادات الخرافية و البدعية الصارخة للطرقية الفاسدة المتفشية في أوساط العامة وعند أغلب مشايخ الزوايـــــا .

وأيضا كان للحراك الفكري الذي أوجدته النقاشات الفكرية والاحتكاكات بـــين إســـلام النهضة و إسلام التقليد إلى تنازل أصحاب هذا الأخير على الكثير مـــن الصـــوفيات الغارقـــة في

* – جمال الدين الأفغاني (1838 – 1897 م) من كبار دعاة الإصلاح في أواخر القرن 9 1م وصاحب فكرة الجامعة الإسلامية ناهض بفكرته هذه الاستعمار الأوروبي الحديث للبلاد الإسلامية.

* – محمد عبده (1842 – 1905م) مصري تلميذ وزميل الأفغاني في دعوته الإصلاحية تتلمذت عليه باقي الحركات الإصلاحية التي ظهرت في العالمين العربي و الإسلامي ونهلت من فكره وفلسفته الإصلاحية .

الميتافيزيقا, مهادنين عصر العقل الديكارتي و النظرية الحتمية التي طبعت التفكير العلمي والتي وصلت حتى المجامع العلمية في الشرق.

ومما لاشك فيه أيضا أن الوسط الاجتماعي الذي تواجد فيه هؤلاء الطلبة أثناء دراستهم، كان له دور في تكوينهم ، فالمعاهد الإسلامية التي قصدوها كانت تتواجد بمجتمعات حضارية وعريقة حافظت على مكانتها العلمية والحضارية من الفترة الإسلامية ، كما جددت مكانتها في العصر الحديث بفضل جهود العصرنة والتحديث التي جاءت بها إصلاحات الحكام كإصلاحات محمد علي باشا * بالنسبة لمصر [1]و إصلاحات الوزير خير الدين باشا* في تونس[2].

كل هذه الشروط الثقافية والاجتماعية التي عاش فيها الطلبة الأوراسيون حياتهم التعليمية بدون شك قد أثرت في تكوين شخصيتهم العلمية و الاجتماعية ورسمت لهم أفاقا واسعة سمحت لهم بالقيام بأدوار تصحيحية وإصلاحية لواقع مجتمعاتهم المغتربة عن زمانها. وإن كنا لا نستطيع أن نجزم أن كل الوافدين من هؤلاء إلى إقاماتهم بالأوراس قد تبنوا الفكرة الإصلاحية، إلا أن العوامل السابقة دون شك تجعل من خدماتهم التعليمية وما يلازمها دائما من أدوار اجتماعية ودينية، نافعة إلى حد يرفعها إلى مقام الإصلاح ،ومن هؤلاء الذين كانت لهم محاولات إصلاحية نذكر سي الهاشمي بن علي دردور وعبد القادر المدوكالي والشيخ حمو بن أحمد شرفي و سي بلقاسم عثمان الفرحي و سي الجموري.

أ- الشيخ سي الهاشمي بن علي دردور :

حفظ القرآن في الثانية عشر من عمره في كتاب زاوية مسقط رأسه مدرونة ثم حصل على مبادئ العلوم الدينية والنحوية والصرفية على يد أهم المشايخ في أشهر زوايا العلم القريبة من بلدته

* – محمد علي باشا (1769 – 1848م) ألباني الأصل تولى حكم مصر بعد طرد الحملة الفرنسية سنة 1805 واستمر حكمه حتى وفاته سنة 1848 تميز بإصلاحاته الشاملة للدولة ولهذا يعتبر باني دولة مصر الحديثة

[1]– توفيق ، حامد المرعشلي : صفحات في تاريخ مصر ، شركة ماهية مصرية ، مطبعة مصر ،1929 ، ص109.

* – خير الدين باشا نشأ في قصر احمد باي وحصل على رتبة أمير لواء الخيالة عين سنة 1857م ،وزيرا للحربية ثم رئيسا للمجلس الأكبر سنة 1861م وعين رئيسا للجنة المالية سنة 1869م ووزيرا مباشر إلى جانب الوزير الأكبر سنة 1870م ثم وزيرا أكبر خلفا لخزندار سنة 1873م وكذلك صدرا أعظم بالأستانة سنة 1878م اشتهر باصلاحاته الدستورية التي هدف من وراءها الى بناء مشروع تونس الحديثة .

[2]– محمد الهادي ، شريف : تاريخ تونس ، تعريب محمد الشاوش ومحمد عجيبة ، ط3 ، دار سراس للنشر تونس ، 1993 ، ص99.

كالشيخ بن عزوز بزاوية طولقة والشيخ عبد الحفيظ الخنقي بخنقة سيدي ناجي ثم زاوية بوحجر بقالمة[1].

وعند شبابه وبنصيحة من شيخه بن عزوز توجه إلى مصر لمواصلة رحلته في طلب العلم التي قضى فيها حوالي 20 سنة ، وإن لم يقتصر فيها على التعلم بل أخذ تجربة الرحلة و الأسفار،فكانت رحلته مع أبيه سنة 1850م إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج ورحلاته التي قادته إلى الكثير من المناطق المصرية كالإسكندرية، وإن كانت توجهه في رحلاته هاته السعي للاستماع و الأخذ عن علماء سمع عنهم ،وقد حصل أن تردد على ليبيا للاتصال بالسنوسي * الذي أخذ عنه تعاليم الطريقة السنوسية ،ولعله يكون منحه إجازة في العلم مثل ما فعل مع كثير من الجزائريين[2].

هذه التجربة الطويلة وبلا شك الخصبة في مجال التعلم والرحلة و الأسفار سمحت له بالحصول على مستوى علمي وثقافي واجتماعي قيم ,كانت منه منطلقاته الإصلاحية التي قام بها لما عاد إلى بلاده عام1870 م والتي باشرها بعد استخلافه لأبيه سي علي على رأس الزاوية الدردورية التابعة للطريقة الرحمانية عام1875م ، فكانت بدايته باستحداث طريقة الأحباب*سنة 1876م[3] التي سهر في نشر تعاليمها على مريديه إذ كانت دعوته إلى التعليم أول اهتمامه , لذلك سخر جهودا كبيرة لنشر التعليم كتحفيظ القرآن للصبيان والتصدي لتعليم المبادئ الدينية والفقهية للكبار والقيام بالوعظ والإرشاد من خلال الحلقات المسجدية، فلقد كانت دروسه تستهدف تقويم وإصلاح سلوك مريدي طريقته و معالجة الأمراض الاجتماعية المتكلسة في واقعهم بلغة عامية قريبة منهم , كأن يلخص استشهاداته من الأحاديث النبوية والآيات القرآنية في أمثلة شعبية من

---

[1] محمود، الواعي : حياة الشيخ الهاشمي بن علي دردور ، من كتاب تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي من(1837 –1954 م) ، دار الشهاب باتنة ، ص204.

* – السنوسي هو محمد بن علي السنوسي من أصل جزائري أسس الطريقة السنوسية دعى إلى مناهضة ومجاهدة الاستعمار وإخراجه من ديار الإسلام واستقر بليبيا في أخر المطاف.

[2]– أبو القاسم، سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7 ، ص60.

* – طريقة الأحباب طريقة أسسها سي الهاشمي بن علي دردور سنة 1876 ونعتبرها تجديد للطريقة الرحمانية وامتداد لها ونميل نحن أن تكون هذه الطريقة توليفة بين تعاليم السنوسية وتعاليم الرحمانية وإضافات أخرى من إنتاج سي الهاشمي المؤسس.

[3] – محمود ،الواعي :المرجع السابق ، ص205.

صنعه , وتأليفه لقصائد المبشرات* والتي تتضمن موضوعات في التربية والأخلاق والسيرة النبوية ليقوم بتلقينها وتحفيظها للعامة من الرجال والنساء لتكون عونا لهم في توجيه سلوكهم و السمو به نحو الفضيلة.

وبالموازاة مع دوره التعليمي كان يقوم بدور المربي الاجتماعي ــ وإن كنا لا نستطيع فصل دوره التعليمي التربوي على دوره الاجتماعي ــ لإصلاح الواقع الاجتماعي مستندا إلى قيم الدين الإسلامي من الكتاب والسنة ، كالدعوة إلى العمل بأن يحثهم على خدمة الأرض وفلاحتها وتربية الماشية قائلا: ((كل حبة تنبت في مكان الحجارة أو الشوك الذي تترعه لك فيه حسنة.))[1] ،وكان يقوم بهذه الأعمال التي يدعوا لها ليكون قدوة حسنة لهم .

وكما كان يتوجه للنساء بالنصح والحث على الاشتغال بصناعة الصوف والغزل والنسيج لتوفير حاجات العائلة من لباس وأغطية و أفرشة ,ودعا أيضا الرجال إلى اكتساب الحرف وتعلم المهن قائلا لهم :((الصناعة في اليد أمان من الفقر.)) [2]، وكان يرى في الخلوة التي تتميز بها التعاليم الرحمانية كعبادة تقربهم إلى الله مخالفة للدين وهدر لوقت المسلم، فقام بالنهي عنها ومحاربتها معتبرا أن أسمى العبادات إلى الله هو العمل الذي يخدم المجتمع.

وبهذا التشجيع على العمل يكون قد أدرك الأهمية الدينية والاجتماعية له للخروج من دائرة الحاجة والوصول إلى حالة الكفاية والوفرة ،وهذا بفضل تحويل أفراد المجتمع إلى منتجين لما يستهلكون.

وقام أيضا بتفعيل عادات التضامن والتعاون الموجودة في المجتمع فسهر على إصلاح ذات البين وزرع المحبة والألفة بين أفراد المجتمع من خلال دروسه الوعظية، كما قام بدعوة الموفورين إلى مساعدة المعوزين بتسليفهم وسائل الإنتاج كالأرض أو الحيوان و استعادتها بعد مجيء الإنتاج وأعطى لعادة التويزة دورا فعالا في إنجاز الأعمال، فكان يحرض مريديه على القيام بأعمال الفلاحة من حرث وبذر وحصاد بالتعاون، والقيام بها في أراضي العجزة والنساء الأرامل بدون مقابل والمساهمة في بناء المساكن للمعوزين جهدا ومالا.

* – قصائد المبشرات ينسب الأستاذ أبو القاسم سعد الله تأليفها إلى مجهول وان كان يحصر ها في منطقة الأوراس ويغلب الشك في أن تكون لأحد شيوخ زاوية الصادق بالحاج إلا أنها معروف ومشهور عليها عند سكان المنطقة نسبتها إلى الشح الهاشمي بن علي دردور ، راجع تاريخ الجزائر الثقافي ، ج7،مرجع سابق ، ص130.

[1]– محمود ،الواعي : المرجع السابق ، ص206.
[2]- المرجع نفسه ،ص207 .

كما قام بتنظيم شعيرة الزكاة على نحو اقتصادي يضمن الأمن الغذائي وخاصة للمعوزين في الفترات البعيدة عن الحصاد بعد نفاد المخزونات والاحتياطي من الحبوب، فأنشأ مراكز لجمع الزكاة من الحبوب في كل قرية وعند نفاد احتياط العائلات الفقيرة يقوم بتوزيعها عليهم.

وكان يمارس مهنة التطبيب مستندا إلى الطب النبوي باستعمال الرقية الشرعية والأعشاب الطبية وحارب الطب الخرافي والشعوذة كاستعمال التمائم و الحروز ،كما عرف عنه أنه كان لما يجد شخصا يتخذ تميمة يقوم بترعها عنه ودفنها في التراب، كما دعا إلى الوقاية من الأمراض كقوله: ((كل قلة وأشرب قلة تنجو من العلة .)) .

ب–الشيخ عبد القادر المدوكالي :

من مواليد 1841م بمدوكال أخذ مبادئ العلم الأولى بمسقط رأسه وبعد بناء قاعدة علمية توجه للدراسة بالزيتونة بتونس، ثم انتقل إلى جامع الأزهر الشريف وبعد سنين قضاها في التحصيل العلمي عاد إلى مسقط رأسه، أين باشر مهامه التعليمية في العديد من مناطق الجهة منها التعليم بمشتى ملاح بدوار لمسيل ثم انتقل للتدريس بمسجد زاوية محمد بن عبد الكريم بدوار الرحبات في الفترة حوالي 1890 م ومنها توجه إلى مدوكال فبربكة ثم قصر الطير [1].

إن مروره بكل هذه المناطق وفي مدة قصيرة ، وعدم وقوع اختياره للاستقرار في أي منهم ليدل على قلق وعدم ارتياحه لأوساطها ،إذ لم تكن هذه المناطق تتوفر على ما يكفى من التقاليد الثقافية إلا تلك التقاليد البسيطة والمحدودة في تحفيظ القرآن.

وبذلك لم تكن إمكانيات الشيخ الثقافية تتلائم مع الوسط الثقافي في هذه المناطق مما أشعره بالعزلة والغربة الفكرية بسبب الجهل و الأمية المتفشيتين في الوسط الأهلي ،بفعل سياسة التجهيل المعتمدة من الإدارة الاستعمارية وأيضا ضعف التعليم التقليدي الذي كانت تقدمه الزوايا وبعض الكتاتيب مما استدعى هجرته إلى قسنطينة[2]، باحثا عن وسط ثقافي أرحب ومناخ تعليمي أصلح لأداء رسالته و ملائم لإمكانياته الثقافية والعلمية.

وإن كانت هذه الهجرة سوف تمنع أبناء وسكان هذه المناطق من الاستفادة المباشرة إلا أنها كانت يمكن أن تساهم في ربط هذه المناطق المغلقة على نفسها بحاضرة قسنطينة من خلال لفت أنظار الشباب إليها عن طريق النصح منه أو إقتداءا و تأثرا به ومحاولة اللحاق به ، وبذلك تخلق

[1]– وفاة عالم جزائري بدمشق ، جريدة البصائر ، السنة الأولى ،العدد 18 ، يوم 08 ماي 1936 ،ص143.
[2]– المصدر نفسه : ص143.

مسلكا جديدا مع بيئة منفتحة يجعلها تستفيد من التأثيرات الجديدة التي تساهم في حقنها بأفكار التجديد و الإصلاح .

وفي سنة 1911 م هاجر الشيخ إلى مكة ومنها إلى سوريا أين توفي بعاصمتها دمشق سنة 1936 م[1]، ورغم جهوده التعليمية في العديد من الأماكن التي استعرضناها، إلا أن هجرته هذه المرة إلى خارج الوطن حرمت المنطقة من الاستفادة من جهوده الإصلاحية.

وإن سكتت الروايات المكتوبة والشفوية المحلية عن دوره الإصلاحي ، إلا أننا نرجح نزعته الإصلاحية فهجرته عام 1911م قد تكون بسبب المضايقات الاستعمارية التي تعرض لها علماء الجزائر بسبب ما شكلوه من خطورة على مصالح الاستعمار ، كما أن اختياره مكة كمحطة لهجرته قد يكون بدافع ميله للفكرة السلفية وتأثره بالحركة الإصلاحية الوهابية والتي تعتبر مكة بيئتها وموطنها ،ثم انتقاله إلى سوريا و استقراره بها قد يعود لتأثره بحركة جمال الدين الأفغاني وفكرة الجامعة الإسلامية لذلك كان اختياره بلاد عربية و إسلامية غير مستعمرة حتى هذه الفترة، ونحن نغلب الرأي الأخير ، وما يعزز رأينا على نزعته الإصلاحية هو قيام جمعية العلماء في الجزائر بنعيه في جريدتها البصائر[2] باعتباره جنديا من جنود الإصلاح تضعه في خندق واحد معها.

وبما أن أغلب القرائن تثبت لنا نزعته الإصلاحية، فإنه أثناء تواجده بالمنطقة وكعادة المعلمين يكون قد أدى أدوار اجتماعية ودينية من خلالها عالج الكثير من رواسب الجهل والبدع التي التصقت بالدين بهدف توجيهها نحو الدين الصحيح ،كما قد يكون ساهم في ترك ثلة من التلاميذ الذين ساهموا بعده في مسيرة التعليم بالمنطقة.

ج-الشيخ حمو بن أحمد شرفي :

الشيخ حمو بن أحمد شرفي من مواليد 1866 م بدوار الرحبات بدأ دراسته الأولى بمسقط رأسه أين حفظ القرآن الكريم بالكتاب ثم أخذ المبادئ الأولية في الفقه والنحو واللغة ، وبعد أن استقام عوده عزم على الرحيل إلى جامع الزيتونة و به قضى فترة الدراسة المقررة محققا بذلك الهدف الذي ذهب من أجله،و عاد بعدها إلى منطقته ليباشر جهوده التعليمية وما يلازمها من أعمال اجتماعية كإصلاح ذات البين وحل الخصومات وقضايا العرش الأخرى بالإضافة إلى دوره الديني كالفتوى وتقسيم التركة على الورثة،وقد كانت له دروس مسجدية في التوحيد كان من خلالها يحارب

[1]- المصدر نفسه ، ص 143.
[2]- انظر المصدر نفسه، ص143.

مظاهر الشرك عند العامة، ويصحح اعتقاداتهم ويحثهم على أداء الواجبات الدينية ويصحح للعامة تقصيرهم في أداء بعض الفرائض كالصلاة والزكاة والصوم .

وكان يتخذ من جامع مرابط الصديق مدرسة لتعليم الطلبة ،وكما كان له مردود معتبر من نشاطه التعليمي حيث تخرج على يده العديد من الطلبة الذين واصلوا مسيرته في نشر العلم [1].

د–الشيخ سي بلقاسم الفرحي :

سي بلقاسم بن عثمان الفرحي من مواليد حوالي سنة 1880 م بدوار عين زعطوط التابع للبلدية المختلطة عين التوتة، أين تقطن قبائل بني فرح ، أخذ المبادئ الأولى في التعليم على يد كبار شيوخ المنطقة ثم انتقل إلى قسنطينة لمواصلة دراسته ، ورغم القرب الجغرافي لبني فرح من زوايا التعليم بطولقة وخنقة سيدي ناجي الموجودة في الجنوب والتي ميزت سير البعثات التعليمية لأبناء الأوراس حتى هذه الفترة إلا أن سي بلقاسم عثمان حقق الاستثناء في توجهه إلى مدينة قسنطينة، ونعز هذا إلى كون عائلته قد أرسلته إلى أحد أقاربها من العائلات الفرحية التي هاجرت إلى قسنطينة واستقرت بها في العمل بالحمامات في بداية الاحتلال[2]، فتوفرت له الإقامة عند أحد أقاربه فكان هذا دافعا في قصده قسنطينة وخاصة أنه ضرير يحتاج إلى عناية قد لا تتوفر في إقامات الزوايا. وأثناء دراسته بقسنطينة زامل ابن باديس فيكون قد خضع للظروف التعليمية نفسها التي ساهمت في توجيه أفكار بن باديس نحو الإصلاح، كأن يكون قد تلقى الدراسة على يد أهم المشايخ ومعلمي قسنطينة الذين تلقى على يدهم ابن باديس العلم مثل الشيخ حمدان لونيسي * الذي كان يعمل أستاذا بالمدرسة الرسمية الفرنسية الإسلامية بالكتانية.-Ecoule franco musulman[3] ،والذي تميز بإخلاصه في نصح وتوجيه تلاميذه كما ساعدته الأجواء العلمية والثقافية التي كانت سائدة بمدينة قسنطينة، حيث ظهر العديد من المشايخ بمساجدها تميزوا بأفكار متنورة وعلم وافر، وشهرة استقطبت تلاميذ المدارس إلى حلقات دروسهم وهو واحد منهم، بالإضافة إلى دور نادي صالح باي الذي كان ابن الموهوب و هو أحد رواد النهضة الفكرية

---

[1] – عبد الحميد، غنام :الشيخ سالم الغنامي السلامي الأوراسي ومعاصروه في المنطقة ، مراجعة وتقديم فيلالي مختار ، مجلة التراث، تصدر عن جمعية التاريخ والتراث الأثري لمنطقة الأوراس ، العدد 09 ، نوفمبر 1997 ، ص 119.

[2] – hanri,busson: op, cit, p45 .

* – حمدان لونيسي :(1856- 1930) قسنطيني المولد والنشاة وتعلم وعلم بها ويعد من أهم من خدموا الحركة التعليمية في الفترة الاستعمارية تعرض لمضايقات كبيرة في واجبه هذا مما اضطره إلى الهجرة إلى الاستانة و منها إلى المدينة المنورة ومواصلا فيها مهنة التدريس ،ارجع محمد المهدي بن شعيب :تاريخ قسنطينة أم الحواضر في الماضي والحاضر، مطبعة البعث للطباعة والنشر ، قسنطينة، ،1980 ص318 .

[3] – أبو القاسم، سعد الله : أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر ، ج2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ، 1986، ص193.

والثقافية والمعروف بتوجهه الإصلاحي الذي يعد أحد مؤسسيه ومنشطيه[1] مما ساهم في تحريك الجو الثقافي للجماعة الأهلية المسلمة و أثرى جهود الكثير من المشايخ الذين نشطوا فيه والذين استطاعوا أن يجعلوا من مدينة قسنطينة منطقة إشعاع إصلاحي .

كما لا نستبعد مساهمة مزاملته لابن باديس في الاستفادة منه ومن أفكاره الإصلاحية المبكرة ورفضه الكثير من الخرافات والبدع التي ألصقت بالدين، وبذلك تكون فترة دراسة سي بلقاسم عثمان بقسنطينة قد كونته علميا ورسمت له توجهه الإصلاحي.

وبعد استكماله الدراسة بقسنطينة بمدرسة الكتانية عاد إلى بلدته أين بدأ في مباشرة التعليم بمسجد آل عبد الكريم وهو مسجد تابع للمرابط سي الأخضر الولي الذي كانت العامة تعتقد أنه تجري على يده الكثير من الكرامات كشفاء المرض بطريقة عجائبية وإكثار الطعام وتكليمه الحيوان، لذلك كان مقصدا للناس من كل جهة في موسم الحضرة التي يقيمها للاستماع إلى البشرة التي سوف تكون عليها السنة القادمة[2]، وعلى الرغم من تواجد سي بلقاسم في أحضان هذا المرابط الموغل في الخرافة، إلا أنه كان يقدم دروسه في مدرسة مسجده في مواد الفقه والنحو والشريعة الإسلامية والتوحيد[3] على نحو إصلاحي، مخالفا الاعتقادات المرابطية، وبقي احترام المرابط سي الأخضر كبيرا لسي بلقاسم، ونرجح أن يكون المرابط سي الأخضر جاهلا لذلك لم يكن يفهم ما يدور في دروس معلم مدرسته من خطورة على مصالحه.

هذه الدروس التي كان يقدمها سي بلقاسم نال من خلالها شهرة كبيرة في كل الأوراس وحتى قسنطينة[4] ،فجلبت إليه العديد من الطلبة من كل أنحاء المنطقة وتخرج على يده العديد منهم والذين حافظوا على التوجيه الإصلاحي له، وإن كنا نرجح أن دوره اقتصر على التعليم فقط ، لأن الأدوار الاجتماعية والدينية التي كانت تلازم دائما المعلم في هذه المناطق قد احتكرها واستأثر بها المرابط سي الأخضر لما له من مكانة اجتماعية وسطوة على العامة، إلا أن جهوده التعليمية و الدينية التي استهدفت تنقية العقيدة مما علق بها من خرافات وبدع خاصة لدى فئة طلبته الشباب والتي سوف تساهم في إنارة عقول هؤلاء على نحو تتراجع فيه سذاجة الاعتقادات المرابطية على الرغم من الحاجة إلى تراكم جهوده عبر الأجيال من خلال ترك خليفة له يواصل عمله ، لأن هذه

---

[1]- أحمد ، صاري : شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصرة ، المطبعة العربية ، غرداية ،الجزائر ،2004، ص 19.

[2] – فاني، كولونا :المرجع السابق،ص 262.

[3] - المرجع نفسه ، ص285.

[4]– المرجع نفسه ، ص257.

التجربة لسي بلقاسم عرفت هذه الصعوبة والتحدي بوفاته المبكرة عام 1916 م[1] وعدم ترك من يخلف أثره في جهده الإصلاحي .

هـــ- الشيخ سي الجموري:

سي الجموري بن سي محمد العايش ينحدر أصله من منطقة جمورة من قبيلة أولاد زيـــان العربية المتواجدة بالتخوم الجنوبية للأوراس ،تلقى دراسته الأولى بهذه بالمنطقة ثم توجه إلى مصـــر للدراسة بجامع الأزهر الشريف ،ولما عاد التحق بزاوية تبر ماسين ليؤدي دوره التعليمي فيها الذي باشره حوالي سنة 1923 م[2] ليستغرق مدة عشر سنوات أهلته لأن يكون قطبها الفكري .

كان يعلم مجانا ولا يتقاضى أجرا ،لأنه يعتبر التعليم واجبا دينيا عليه نحو أبناء أمته، كما لا يمكن أن ننكر فضل سيدي الغزالي صاحب الزاوية عليه الذي وفر له كل الظروف الملائمـــة للتفـــرغ لواجبه التعليمي .

وكان يلتحق به بمدرسة الزاوية حوالي 20 طالبا لحفظ القرآن وأخذ دروس أولية؛ بينمـــا كان سي الجموري يتحلق به تلاميذ ما بين 08 إلى 10 [3]يعطيهم تعليما خاصـــا، ولعلـــه قـــد اصطفاهم ممن رأى فيهم النباهة والذكاء والاستقامة الفطرية، أو قد تكون البقية من التلاميذ صغار السن الذين لا تؤهلهم مداركهم العقلية للاستفادة من دروسه.

وكانت دروسه تتضمن مواد في مبادئ الفقه والعقيدة والشريعة الإسلامية والنحو العـــربي وفي الحقيقة تعتبر جهود سي الجموري رغم انطلاقتها من معقل مرابطي وتحت إشراف طرقي إلا أن تعليمه ودعوته كانت إصلاحية، حيث كانت دروسه ومواعظه تهدف إلى العودة بالنـــاس إلى العقيدة الصحيحة والنقاء الأول للدين الحنيف ،ومحاولة القضاء على الأفكار ذات التأثير المرابطـــي التي لا تتوافق مع النص القرآني والسنة النبوية الشريفة ،إلا أن هذه المجهودات التي كان يقدمها هذا الإصلاحي لدى الجمهور العامي في الأخير لا تخدم إلا المرابطية، من خلال زيـــادة مصـــداقيتها، اعتقادا من العامة أن كل ما تحتويه الزاوية وما يصدر منها يعود الفضل فيه إلى صاحبها سي الغزالي ، إلا أننا لا يمكن أن نتجاهل الأثر الذي يتركه على عقول تلاميذه من تنوير نتيجة عمل عشـــر سنوات التي مكثها في هذه الزاوية بين الشباب، إنها مدة كافية لتخلص الشباب من أفكار الشيوخ ذات التأثير المرابطي، وبأن تدفعهم نحو الأفكار الجديدة.

---

[1]- المرجع نفسه ، ص250.

[2]- المرجع نفسه ،ص268.

[3]- المرجع نفسه ،ص269.

وبذلك يمكن أن نصل إلى حقيقة أن سي الجموري صاحب التعليم الأزهري قد ساهم في وضع اللبنة الأولى للفكرة الإصلاحية في بيئة جد مرابطية ، وهو بذلك يزامن الأوراس مع اللحظة التاريخية التي يعرفها كل الوطن من انتشار وتبلور الفكرة والنهضة الإصلاحية وتهيئة المؤسسات و المجتمع الأوراسي إلى استقبال المشروع الإصلاحي .

المبحث الثاني: الطلائع الأولى للطلبة الأوراسيين عند ابن باديس

رأينا في الفصل السابق أن منطقة الاوراس أثناء احتلالها تراجع اهتمام سكانها بالتعليم لعدة عوامل، وقد كان من نتائج ذلك تفشي الجهل والأمية وانحصار مؤسسات الكتاتيب ومحاضر المساجد ومدارس الزوايا وقلة المعلمين.

والحق أنه رغم هذا الوضع الثقافي المتدهور في الأوراس، إلا أن هناك حالات حققت الاستثناء في التزامها بالتعليم والعمل على تحقيق رغبتها فيه ،مما استدعاها إلى الهجرة إلى مراكز التعليم المشهورة في المشرق ،فمنهم من أخذ طريقه إلى الجامع الأزهر بمصر، وكثيرهم شدته الرحلة إلى جامع الزيتونة بتونس لقربه ،كما التزمت بعض العائلات في إرسال أبنائها إلى المسالك التقليدية داخل الوطن كالتوجه إلى زوايا الجنوب وعلى رأسها زاوية طولقة وزاوية خنقة سيدي ناجي وقليلا زاوية عثماني بأولاد جلال أو التوجه غربا إلى الزاوية الحملاوية بتلاغمة، وقد كان يحدد مسارهم هذا الارتباط الرحماني، فهذه الزوايا كانت تمثل مراكز علمية للطريقة الرحمانية في المنطقة ،بالإضافة إلى مكانتها الروحية لدى الجماعة الرحمانية ،و لم تعرف قسنطينة على مكانتها العلمية والحضارية خلال هذه الفترة حالات وفود للطلبة الأوراسيين إليها إلا عرضا لأفراد قد تكون ظروف خاصة دفعتهم إلى هذه الوجهة .

وعموما أدت هذه الظروف في الأوراس خلال هذه الفترة إلى أوضاع ثقافية تقليدية من خلالها تكرست الفكرة المرابطية وضعفت الثقافة والتعليم، إلا أنه بحلول عقد العشرينات من القرن العشرين (20م) بدأت تلوح بوادر نهضة تعليمية كانت تحمل روح إصلاحية، ساهم فيها توفر موادها البشرية وإطاراتها من العائدين من جامعات الشرق كجامع الأزهر والزيتونة وانتصابهم للتعليم، فظهر الشيخ مسعودان الحركاتي ومعاونيه كالشيخ اعراب والشيخ القندوز والشيخ الطاهر أورابحي بالمسجد الجديد ببلدته باتنة والشيخ سي الجموري وخليفته الشيخ

الجموعي بالمازوزي بزاوية سيدي المصمودي بتبرماسين والشيخ مولود الزريبي بزاوية الحجاج بأريس .

تميزت مرحلة هؤلاء بإحداث تغير في الوضع الثقافي والتعليمي خصوصا أنهم خرجوا عن تعاليم التعليم المرابطي التقليدي والتوجه بتعليمهم نحو الروح و المضمون الإصلاحي ،بالاضافة إلى فعالية تكوينه وعمقه ،فضلا أيضا عن انتشاره الواسع من خلال العديد من الشخصيات التعليمية التي عادت وأنشأت حلقات دراسية لها ،كما أن ما يلاحظ عليها بداية ارتباطها بالمشروع التعليمي الإصلاحي الوطني الذي أسسه الشيخ ابن باديس ومعاونيه[1].

كما تميزت الأوراس في هذه اللحظة ببداية خروجها من عزلتها الجبلية التي عرفتها خلال الفترة السابقة والتي انجرت عليها عزلة ثقافية ،وظهور تحولات تتماشي وتحولات الراهن الجزائري في تلك الفترة وبداية إعلان منطقة الأوراس الانتماء ومحاكاة للكل الوطني .

والحق أن الأوراس تعززت تحولاته هذه بظهور برجوازية تجارية جديدة تشعر بالانتماء لمجمعها وتحمل همومه ،أدت رسالة إصلاحية بالغة الأهمية من خلال موقعها هذا [*]،ولعل بدايتها كانت بالقيام بدور الوسيط بين الطلائع الطلابية والجامع الأخضر من خلال التعريف بالشيخ ابن باديس والمساعدة في نقلهم للدراسة عنده ،ولعل هذه الطبقة تسنى لها الوعي بهذه المهمة وتبني الفكرة الإصلاحية إلى مكان إقامتهم بباتنة البلدية كاملة الصلاحيات التي كانت أكثر الأوساط انفتاحا مقارنة بالمناطق الأوراسية الأخرى، كما قد يكون بسبب طبقتهم الاجتماعية ومهنتهم التي تؤهلهم إلى العيش في مستوى اجتماعي واقتصادي كثيرا ماينعكس على المستوى الثقافي والتعليمي ،والذي بدوره يؤدي إلى الوعي بالقضايا الأهلية بمنح فرصة الانفتاح على الأفكار الجديدة، وأيضا قد تكون متطلبات مهنة التجارة التي عاشوها قد فرضت عليهم التنقل إلى العديد من الأسواق والمدن، وبذلك مكنتهم هذه التنقلات من الاطلاع والوقوف على الكثير من أحوالها ومدى التغيرات الحاصلة في أوساطها الأهلية وإبداء المقارنات مع حالة أهالي مجتمعهم وإرجاع النتائج إلى أسبابها وهذا ليس بعيد على عقل التاجر .

[1] – انظر محمد الهادي، السنوسي :مشاهداتي بباتنة ،الشهاب ، العدد 6،السنة الأولى ،18 ديسمبر 1925 ،ص117 .

[*] – من أشهر أنصار الإصلاح من الطبقة البرجوازية التجارية الجديدة نذكر :حريبط تاجر سميد بالجملة ويقوم بتصدير الجلود والعظام للخارج ، والتاجر برغوث تاجر جملة والتاجر الطاهر بن أحمد الشريف ،والتاجر حنفي العوبي وشرفة بالقاسم... ساهموا بعضد الحركة الإصلاحية ماديا ومعنويا كالتكفل باجر المعلمين وكراء بعض المقرات للمؤسسات الإصلاحية كالمدارس والنوادي بالاضافة إلى تقديم المعونات المالية لجمعية العلماء على المستوى الوطني .

فضلا على أن الأسواق في تلك الفترة كانت من أهم مصادر الأخبار والمعلومات[1]، فتكـــون قد وصلتهم أخبار النشاط الإصلاحي للشيخ ابن باديس وثورته التعليمية التي أحـــدثها بالجـــامع الأخضر فتبنوا الإعجاب به الذي حفلت به أغلب الجماهير الأهلية ، فهذه كلها دفعت بهم إلى أن يكون لأبناء منطقتهم نصيبهم من هذا الخير (التعليم).

إذا كانت هذه هي أهم الظروف الداخلية التي عرفتها منطقة الأوراس والتي كانت تتجه بهـــا نحو إحداث تحول نحو الإصلاح فإن هناك عوامل خارجية ولعل أهمها:

ما تميزت به منطقة الأوراس جغرافيا ،فهي منطقة كانت تقع بين منطقتين عامرتين بالنهضة منطقة، بسكرة التي بقيت تحافظ إلى حد ما بوهجها الثقافي من خلال بعض مساجدها وزواياهـــا وشخصياتها العلمية والدينية والتي كانت تشد الأوراسيين إليها[2]، بالإضافة إلى ولـــوج النهضـــة الإصلاحية إليها بفضل الطيب العقبي ودروسه التي بدأها سنة 1920م بعد عودته مـــن المدينـــة المنورة[3]، والشيخ مولود الزريبي من الأزهر و الشيخان زهير الزاهيري وخير الدين من الزيتونة بعد 1925م، فضلا عن أن هذه الشخصيات الإصلاحية استطاعت بالإضافة إلى دروسها في المساجد أن تدرك أهمية الصحافة كوسيلة جديدة وفعالة في دعايتها، فأصدرت صـــدى الصـــحراء عـــام 1924 م ثم خليفتها الإصلاح سنة 1927 م[4].

وفي الشمال مدينة قسنطينة الحاضرة التي لم تنقطع عنها الثقافة العربية الإسلامية و لم ينقطـــع عنها التجديد بفضل المعلمين والمشائخ الذين واكموا هذه الثقافة جيلا عبر جيل[5] إلى حالة الظهور للشيخ ابن باديس الذي يعد خلاصة تراكم جهود الأجيال والتجارب الإصلاحية الســـابقة لـــه ،بالإضافة إلى ما حفلت به من مدارس ونواد وجمعيات إسلامية وصحافة التي كانت تقاوم التراجع العلمي والفتور الثقافي للجماهير المسلمة .

---

[1] – أبو القاسم، سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية ،ج2، مرجع سابق ،ص ص237 ،238 .
[2] – أحمد، مريوش :المرجع السابق ،ص20.
[3] – عبد الكريم ، بوصفصاف :بصمات الرجال من سجل التاريخ ،مجلة سيرتا ،السنة الأولى ،العدد 02، نوفمبر 1979، معهد العلوم الاجتماعية قسنطينة ،ص72.
[4] – أحمد ، بن ذياب : فرحات بن الدراجي الأديب العالم ،مجلة الثقافة ،العدد 35،أكتوبر ،نوفمبر 1976،ص37.
[5] – خمري ،الجمعي : نماذج من الجمعيات والنوادي الثقافية لحركة الجزائر الفتاة في مطلع القرن العشرين ،ملتقى المراكز الثقافية والعلمية في العالم العربي عبر العصور ،منشورات اتحاد المؤرخين العرب ،مصر 2001،ص849.

1- نماذج من الطلائع الأولى للطلبة الأوراسيين

لا نستطيع أن نحدد تاريخ التحاق أول طالب أوراسي بحلقات الدرس عند الشيخ ابن باديس، إلا أن الرواية الشفوية مازالت تحفظ أن الشيخ في إحدى زياراته لمنطقة الأوراس في العشرينات كان من بين محطاته زيارته لأقدم تلاميذ له، المدعو محمد بن أحمد العيد من دشرة بني عباس إحدى القرى الواقعة على ضفاف وادي عبدي [1]، وإن سكتت الرواية عند هذا الحد و لم تعطنا تفاصيل أخرى عن هذه الشخصية من حيث مكانته الاجتماعية وتعليمه الأولي وحتى نشاطه بعد عودته من الجامع الأخضر، مما حجب علينا معرفة الظروف والمناسبة التي أدت به للالتحاق بالدروس الإصلاحية والدراسة بقسنطينة ،في وقت مازالت كما نعرف وجهة الطلبة الأوراسيين لطلب العلم هي زوايا الجنوب ، ومن رحل إلى قسنطينة فإنما يكون ذلك لظروف خاصة به وحسب ، ومع ذلك فإننا لا نستبعد أن يكون الطالب محمد بن أحمد العيد قد تعلم وأخذ دروسه الأولى عند أحد الشخصيات الإصلاحية الأولى بالأوراس، مثل الشيخ بلقاسم الفرحي الذي بلغت شهرته كثير من مناطق الأوراس، وشدت الرحلة إليه من قبل أبنائها .

ومنطقة إقامة الطالب محمد بن أحمد العيد بدشرة بني عباس لوادي عبدي هي منطقة قريبة من الجهات التي درس بها الشيخ بلقاسم الفرحي فليس بعيدا أن يكون أحد تلاميذه لتيسر الوصول إليه، أو قد يكون استفاد من دروس الشيخ مولود الزريبي الذي انتصب للتعليم بزاوية بن عزة بالحجاج ،أو أنه قد استفاد من التعليم على كليهما ، وإذا كان قد استفاد في مرحلته الأولى بنوعية التعليم هذا الذي كان يسديه مشائخ من نوع بلقاسم الفرحي ومولود الزريبي فإنه بلاشك قد تشبع بتعليم ذو روح إصلاحية دفعته إلى الرغبة للمزيد من طلبه ، ولأن الشيخ ابن باديس قد ذاعت شهرته وتسامعت أخبار دروسه في المنطقة ،فلاشك أن الطالب محمد بن أحمد العيد قد طمح في المزيد من العلم على يده ،كما قد تكون دفعته نصيحة أحد معلميه أو أن التوجه الإصلاحي الذي أخذه من معلميه السابقين قد رسم له طريقه في البحث عن نوع التعليم الذي يجب أن يأخذه، ولما سمع عنه عند الشيخ ابن باديس كان من المبادرين إليه.

[1] – المقابلة السابقة ، مع السيد عبد الباسط دردور

أ-الأستاذ محمد حمودة بن الساعي :

من مواليد سنة 1902 بباتنة ترعرع في عائلة متواضعة حيث كان أبوه ينحدر من زاوية عريقة ومعروفة تعود إلى النمامشة[1].

بدأ رحلته في العلم بحفظ القرآن على يد الشيخ زيداني كما استفاد من مساعدة أبيه الذي لقنه منهجية الحفظ والتوجيه نحو الاجتهاد والفهم الصحيح للدين الإسلامي، وقد سمحت له إقامته في باتنة مدينة الاستيطان أن يستفيد من مرافق المدرسة الفرنسية، وهي الأخرى التي صقلت مواهبه وقدراته وخاصة بفضل عناية معلميه الذين قدروا مواهبه وقدراته ،و بعد اجتيازه للامتحان نهاية مرحلتها الدراسية بتفوق، انتقل للمدرسة العربية الفرنسية بقسنطينة[2]، التي تزامن وجوده بها مع ذيوع أفكار ابن باديس التي كان يضمنها دروسه بالجامع الأخضر.

ولما عرف على حمودة بن الساعي من حب للإطلاع و شغفه بالفكر والعلم الإسلامي و بقضايا العالم الإسلامي شدته دروس الشيخ ابن باديس بالجامع الأخضر، فكان كلما فرغ من دروسه بالثانوية توجه لحضور الدرس الباديسي بالجامع الأخضر[3]، وبذلك تعرف على الفكرة الإصلاحية من خلال دروس الشيخ ابن باديس التي كان ملتزما بها بعد فراغه من دروس الثانوية مثل ما أسلفنا الذكر ،أعجب بالأفكار التي كان يطرحها الشيخ وكيفية علاجها التي توافقت كثير مع منهجيته وأبعاده الفكرية، فلقد رأ فيه العالم الذي كان يبحث عنه ،والعالم الذي اجتمعت فيه علوم الإسلام[4]، هذه الميزات التي وجدها في الشيخ جعلته يكن له حبا واحتراما شديدين وقد استمر حرصه بالتزود بالفكرة من خلال صحف الجمعية كالشهاب والبصائر التي كانت تصله حتى بعد سفره للدراسة بفرنسا .

ب- الشيخ عيسى مرزوقي:

ولد في 17 أفريل 1889م بسفيان إحدى قرى أنقاوس من عائلة فلاحية فقيرة، التحق بالكتاب بمسقط رأسه أين حفظ القرآن ،وتعلم المبادئ الأولى في اللغة والدين على يد الشيخين عمر سليماني والحاج أحمد بخوش ،ثم انتقل إلى زاوية سيدي علي بطولقة وفيها أخذ عن مشائخها الفقه والتفسير والنحو... [5] .

[1] – مقابلة شخصية مع السيد محمد نذير السبع ،باتنة يوم 2009/8/25.
[2] – مقابلة شخصية مع السيد علي أوجيت، باتنة يوم 2009/8/26.
[3] – المقابلة السابقة مع السيد محمد نذير السبع .
[4] – مقابلة شخصية مع السيد عبد الرحمان شيبان، حسين داي ،الجزائر العاصمة يوم 2008/6/12.
[5] – مقابلة شخصية مع السيد عبد المالك بورزام، أنقاوس يوم 2009/08/28.

وعند سنة 1917م استدعي للتجنيد الإجباري وكان ضمن قائمة الموجهين إلى بلاد الشام في القوات التي كان يقودها "الجنرال غورو" ،أين قضي عام ونصف فيها، وبعد عودته أراد مواصلة رحلة طلب العلم، وفعلا سنة 1921 م قصد هذه المرة الجامع الأخضر للتتلمذ على يد الشيخ ابن باديس [1].

إن التحاقه في هذه السنة بقسنطينة يعد من بواكير الطلائع الطلابية الأوراسية الذين قصدوا الدرس الإصلاحي بقسنطينة، كما أن سنه المتقدمة التي وصل فيها في سنة التحاقه إلى 32 سنة، ليفسر لنا أن الرجل دفعه شغفه الكبير إلى طلب العلم وأن اختياره هذه الوجهة قد تكون بوعي وإرادة شخصية، فيها استطاع أن يقع اختياره هذا بعد أن توافرت فيه مزايا طلبها ،وهي المستوى العلمي ونوعية العلم، وقد كان المطلب الأول قد وصله لما سمعه عن قدرات الشيخ، وأما المطلب الثاني المتمثل في نوعية العلم فإن فترة تواجده ببلاد الشام قد تكون سمحت له عن قرب أن تصله أفكار النهضة العربية والإسلامية والتي تجلت في ظهور تيار القومية العربية الذي يدعو إلى بعث وأحياء التراث والمجد العربيين وتيار الجامعة الإسلامية والاجتهادات والمحاولات الإصلاحية، فقد تكون هذه الأفكار قد أبانت له عن الفكر الجديد الذي يجب أن تعيش بها الأمة وتحقق بها مطامحها.

ج- **الشيخ مدور علي بن لمبارك بن محمد بن بلقاسم** (المدعو علي بن شكشوك):

من مواليد دشرة ورقة من عرش التوابة ولد حوالي 1880م، أخذ تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه ورقة وحفظ القرآن بكتابها ،ثم اتصل بحلقات الدروس التي كان يقيمها الشيخ بلقاسم الفرحي بجمورة ومنها انتقل إلى زاوية بن حمزة ببني فرح بعين زعطوط، ثم انتقل إلى زاوية بن عزة بالحجاج بأريس[2]، وقد تكون فترة دراسته تزامنت مع تدريس الشيخ مولود الزريبي خريج الأزهر بها ،ثم انتقل إلى قسنطينة للأخذ عن الشيخ ابن باديس ، وإن لم تحفظ لنا المصادر تاريخ التحاقه بالشيخ ابن باديس ،إلا أن الرواية الشفوية تذهب إلى أنه كان أكبر تلاميذه سنا في فترة دراسته[3].

إن أخذه على الشيخ بلقاسم الفرحي والشيخ مولود الزريبي في مرحلة دراسته الأولى قد منحه فرصة الاستفادة من تعليم ذو روح إصلاحية وتوجيهات قد حددت له أفق ومعالم التعليم

[1] – الإمام الشيخ عيسى مرزوقي رائد الحركة الإصلاحية والعلمية بنقاوس، جريدة الأوراس، عدد 173، من 19 أفريل 1993 إلى 25 أفريل 1993.
[2] – مقابلة شخصية مع السيد لخضر مدور بورقة يوم 2005/05/25.
[3] – المقابلة نفسها .

الذي يجب أن يمتلكه ،كما أن انتقاله إلى الجامع الأخضر في سن متقدمة وتحمله لمشاق الغربة بقسنطينة لدليل على شغفه الكبير لطلب العلم الإصلاحي ووعيه بهذا الاختيار.

د-الشيخ محمد بن أحمد الغسيري:

ولد في دشرة أولاد منصور بقرية غسيرة من مواليد 1915 م ،دخل الكتاب لتعليم مبادئ القراءة والكتابة حفظ القرآن على يد مشائخ بلدته وفي سنة 1927 م التحق بزاوية سي أحمد بن الصادق بأولاد ميمون بغوفي الأقرب إلى بلدته، وفيها تم له حفظ القرآن وبعدها انتقل إلى زاوية سي محمد الصغير الجوادي ببسكرة، ومنها انخرط في صفوف مدرسة الإخاء الإصلاحية التي أسسها الشيخ محمد خير الدين سنة 1931م ببسكرة، وفي العام الموالي انتقل للدراسة بالجامع الأخضر بقسنطينة أين باشر دروسه على يد الشيخ ابن باديس في أكتوبر1932م[1].

إن الشيخ محمد الغسيري من خلال بيئاته التعليمية القريبة من بسكرة التي كانت قد وصلها وهج النهضة الإصلاحية إليها بفضل عدد الشخصيات التي عادت من الشرق وانتصبت لدعوتها قد سمحت له بالتعرف عليها ،كما أن اتصاله المباشر بالشخصيات الإصلاحية من خلال مدرسة الإخاء الإصلاحية قد سمح له أن يصبح تحت التوجيه المباشر لهم، فقد يكون توجهه لقسنطينة استجابة لنصيحة معلميه أو إعجابه بالفكرة الإصلاحية والتي ارتبطت بالشيخ ابن باديس ورغبته في أن يأخذها من مصدرها .

هـ - الشيخ عمر دردور:

هو بلقاسم دردور الشهير بعمر دردور بن محمد بن منصور ولد سنة 1913م بقرية حيدوس ثنية العابد، وفي الخامسة من عمر دخل كتاب قريتهم لحفظ القرآن والذي أتمه بعد سبعة سنوات أي في سن الثانية عشر من عمر ،ثم انتقل إلى مسجد قريتهم ليتلقى مبادئ العلم الأولى في الفقه والنحو والفرائض على يد الشيخ عبد الرحمان زموري لمدة سنتين فيها، فيقول الشيخ نفسه : ((... تذوقت حلاوة العلم فازدادت رغبتي في طلبه ولإرضاء طموحي أخذت ابحث عن مكان يكون مستوى التعليم أحسن مما هو فيه من قريتنا ...))[2] ،فتوجه الشيخ مع زميله الشيخ محمد الصالح زموري ابن إمام المسجد إلى الذهاب معا إلى زاوية سي علي بن عمر بطولقة وذلك

[1] – محمد الصالح ، رمضان :الشيخ الغسيري في سطور ، مجلة الثقافة ،العدد 45،السنة الثامنة، (يونيو -يوليو1978م) وزارة الشؤون الدينية ،الجزائر ،ص106.

[2] – عمر، دردور : تسجيل إذاعي(حصة نور ومنار تقديم موسى يحياوي) ،إذاعة الأوراس ،الحلقة الأولى سنة 1996 .

سنة1930م، وفيها يقول الشيخ عمر دردور:((في الزاوية وجدت مجالا أوسع للعلم لكثرة المواد العلمية الذي تضمنه برنامج الزاوية العلمي ،عقائد التوحيد و الفقه والنحو والفرائض ..)).[1]

هذه الفترة التي تواجد فيها الشيخ عمر دردور في بسكرة تزامنت مع النهضة العلمية الإصلاحية لابن باديس والتي كانت تصل أصدائها لبسكرة واخترقت حتى المؤسسات التقليدية كالزاوية، وخصوصا عند زيارات إصلاحيين إلى المنطقة مثل زيارة الشيخ عبد الحفيظ بن الهاشمي[*]،الذي كان يقص على الطلبة أخبار النشاطات الإصلاحية الصحفية والتعليمية التي كان يرأسها الشيخ ابن باديس، إن هذه الدعاية التي كان يقوم بها الشيخ عبد الحفيظ بن الهاشمي أثارت بلاشك في الطلبة الإعجاب بالشيخ ابن باديس ومحبته والرغبة في التتلمذ على يده، وهذا ما حدث للشيخ عمر دردور وقد شجعه إلى ذلك والده وعمه لتحقيق رغبته هذه في الالتحاق بدروس الشيخ ابن باديس، ولعل أيضا كان وراء دفعهم هذا هو الوفاء لطلب تقدم به الشيخ في إحدى زياراته إلى زاويتهم ((زاوية دردور)) لما كان عمر دردور و محمد بن الصالح زموري صغيرين أشار عليهما بأن يرسلهما إليه للتعلم عند كبرهما[2]، وكانت الأمور بذلك تتجه إيجابا لفكرة التحاق الشيخ بالجامع الأخضر وذلك بتعرفه على التاجر الشيخ الحنفي العوبي الذي كان أحد أنصار الإصلاح بالمنطقة ،والذي تميز بدعوته إلى التحاق طلبة العلم بمجالس الشيخ ابن باديس والتذكير بخصاله وصفاته لتحبيبه إليهم ، وما إن بين له الشيخ عمر دردور نيته في الالتحاق بدروس الشيخ حتى قام بتوصيله رفقة زميله محمد الصالح زموري إلى الشيخ بالجامع الأخضر، و بعد اجتيازه للامتحان سجل في السنة الثالثة وكان ذلك الموسم 1932[3].

من خلال استعراضنا هذا الوجيز لمسيرة الالتحاق التي عرفتها الطلائع الطلابية بالدرس الإصلاحي للشيخ ابن باديس بقسنطينة ،والتي قصدا استعرضنا نموذج عن كل حالة – إن من ناحية التوزيع الجغرافي أو من ناحية ظروف الالتحاق – وهذا بهدف محاولة استقراء العوامل التي ساهمت في التحاق الطلبة الأوراسيين بالتعليم الإصلاحي لابن باديس ،وبذلك محاولة تفسير مفارقة تكاد تستثنى بها منطقة الأوراس عن باقي مناطق الوطن الأخرى والمتمثلة في إرسال عائلات طرقية أبنائها لأخذ تعليم إصلاحي، وهو التعليم المعروف بترعته العدائية إلى التعاليم والتقاليد المرابطية .

---

[1] – المصدر نفسه .

[*] – عبد الحفيظ بن الهاشمي أحد خريجي الزيتونة ساهم في الدعوة الإصلاحية في بداية عودته أسس جريدة النجاح التي كانت بديتها منبرا إصلاحيا قبل أن تحيد عن خطها لصالح خدمة الإدارة الاستعمارية .

[2] – المقابلة السابقة مع السيد عبد الباسط دردور .

[3] – عمر، دردور:المصدر السابق.

إن هذا التوجه نحو هذا الاختيار من قبل هذه العائلات يعود إلى مساهمة العوامل التالية :

- دور زيارات الشيخ ابن بـــاديس إلى منطقـــة الأوراس ســـنوات1918-1920-1926-1933* ،هذه الزيارات التي كان يقوم بمثلها في كل أنحاء الوطن ،كان يريد من خلالها اكتشاف المنطقة ومعرفة خصائصها الاجتماعية والثقافية لبناء تصور لها في إدخال الإصلاح إليها .

فكانت محطاته أثناء زيارته تتمثل في الزوايا وهي مراكز التعليم والعائلات التي بقيت تحافظ على وجود العلم بين أبناءها، فهي بذلك تدرك أهمية التعليم مما يسهل ويوفر عليه الجهد والوقت في إقناعهم بأهدافه، وحتى عند تنقلاته في داخل الأوراس كان يعمد إلى اتخاذ رفقاء من مشـــايخ الزوايا ،وبذلك يقدم نفسه للناس من خلال هؤلاء ذوي التأثير ، مما ساهم في التعريـــف بنفســـه ولفت النظر إليه .

إن هذه الزيارات وبهذا الأسلوب قد استطاع أن يزرع الثقة والاطمئنان والاستئناس إليه من قبل العائلات المرابطة ويطلعهم على نواياه النبيلة في رغبته في محاربة الجهل وتعميم التعلم ،وقـــد كانت هذه النوايا أثناء لقاءاته بمشائخ وقادة هذه الزوايا الذين كان يطلعهم على مشروعه التعليمي من جهة ويزكي جهودهم التعليمية من جهة أخرى ،كما كان يشير عليهم بإرسال أبنائهم إليـــه، ولعل أغلب الزوايا التي ركز عليها الشيخ عرفت بطابعها التعليمي مثل الزاوية الدردورية وزاويـــة صالحي وزاوية بني عباس وأيضا زاوية صدوق بالحاج وزاوية القرقور[1] مما ساهم في توافق أهدافهم مع الشيخ وتعضيده لمشروعه.

* – تجمع أغلب الروايات الشفوية على هذه السنوات ولم نعثر على تواريخها في الكتابات إلا زيارته سنة 1933.

[1] – عبد الحميد ، زوزو :الأوراس إبان فترة الاستعمار المرجع السابق ،ج1،ص358.

2-أثر الشيخ ابن باديس في التوجيه الإصلاحي للطلبة الأوراسيين:

ينحدر الشيخ ابن باديس من عائلة عريقة في الجاه والحكم والثقافة وكذا العلم،و تتمتع بمكانة اجتماعية واقتصادية وسياسية قديمة[1]،استمرت عليها حتى فترة الحكم الاستعماري، وبهذا تعد إحدى العائلات الأرستقراطية الحضرية لقسنطينة التي حفظت لنفسها مكانتها ووجاهتها ،فلقد تقلد الكثير من أبناء العائلة مناصب سامية خلال الفترة الاستعمارية ،ولعل والد الشيخ ابن باديس ،مصطفي بن باديس واحد منهم إذ اشتغل مندوبا ماليا وعضوا في المجلس الأعلى و باشاغا شرفيا ومستشارا بلديا[2].

إن المعطيات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لعائلة ابن باديس كانت من المألوف والطبيعي أن يحظى أبناؤها بالتعليم في المدارس الفرنسية، وتدخل أوساطهم العائلية الكثير من العوائد و السلوكات الفرنسية ،كما أن وضعها الاقتصادي جعل من أفرادها يعيشون الحياة الرغيدة والرفاهية التي لا يعرفها باقي أبناء العائلات الأهلية ، كما أن مكانتهم الاجتماعية التي وفرتها طبقتهم لا تسمح لهم بمخالطة أبناء عائلات الطبقات الأخرى، وتجعلهم يشعرون بالاستعلاء والتميز عنهم بالإضافة إلى وضعهم السياسي الذي يوفر لهم كل الامتيازات التي لاتشعرهم بظلم الاستعمار .

إن هذه المميزات التي اختصت بها عائلة ابن باديس، تستبعد أن ينحدر منها شخصية بمثل الشيخ عبد الحميد بن باديس، الذي يحمل الثقافة العربية الإسلامية ويسخر كل حياته لإحيائها ومقاومة ثقافة الفرنسة والتغريب، ويشعر بحاجات مجتمعه الذي استدعي منه تنظيم خطة لنهضته، وعزوفه عن التمتع بكل الامتيازات التي حضيت بها عائلته لأجل الانشغال بخدمة مجتمعه، فهذه المفارقة بين الظروف العائلية لابن باديس وشخصيته تستدعي منا البحث عن المؤثرات والعوامل التي وجهته إلى هذه الشخصية .

ولعل الوقوف عند التاريخ الاجتماعي لمدينة قسنطينة خلال الفترة الاستعمارية قد يعطينا تفسيرا لهذه المفارقة ،فالطبقة الأرستقراطية القديمة لقسنطينة، استطاعت أن تحافظ على وجودها من التهديم على عكس الكثير مما عرفته هذه الطبقة في المدن الجزائرية الأخرى، كما حافظت على

---

[1] – محمد المنصور، الغسيري :صورة من حياة ونضال الزعيم الإسلامي المصلح الديني الكبير الشيخ ابن باديس ،مخطوط ،أرشيف ولاية قسنطينة .

[2] – عبد الكريم، بوصفصاف :الفكر العربي الحديث والمعاصر (محمد عبدو وعبد الحميد بن باديس) نموذجان ،ج1،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ،عين مليلة ،الجزائر ،2005 ،ص187.

خصائصها بما فيها الثقافة، وهذا ما يثبت عند العائلة الأرستقراطية لابن باديس ،حيث بقي فيها مد الثقافة العربية الإسلامية قويا، كما أن الأصل والمكانة العلمية والثقافية للعائلة التي تظهر من خلال الشخصيات العلمية التي خرجت منها لدليل على أنها تمتلك تقاليد العلم والثقافة التي مهما تغيرت الأوضاع لاتستطيع أن تزول بسهولة، فلذلك بقيت هذه العائلة متمسكة بتوجيه أبنائها للعلم الديني والثقافة العربية الإسلامية والتي ساعدتها فيها محافظة المدينة على تقاليدها العربية الإسلامية من خلال بقاء المؤسسات الثقافية والدينية واستقطابها لأشهر و أنبغ علماء ومصلحي الفترة .

ولعل أيضا مصطفي بن باديس قد قصد عمدا توجيه ابنه عبد الحميد هذا التوجيه في تحصيل العلوم والثقافة الإسلامية ،حتى تتمكن العائلة من الاستثارة أيضا من القيادة الدينية في المدينة ،لاعتبار أن العائلة تعتبر نفسها أحق في تمثيل هذه المكانة وتولى المناصب الدينية من العلماء الوافدين[1]، أو بهذا يتم لها تعزيز مكانتها في المدينة التي كانت تتنافس فيها مع العائلات الأرستقراطية القسنطينية الأخرى، وخاصة لما رآه مصطفي بن باديس من سهولة المهمة هذه مع ابنه عبد الحميد الذي لاحظ فيه الميل إلى التدين والأخلاق وأيضا امتلاكه لقدرات نفسية (الإيمان) وعقلية في هذا الاتجاه .

والحقيقة أن اغلب الباحثين يجمعون على أثر والد الشيخ في توجيهه وتنشئته هذه، وهو الآخر يصرح بها في كلمته بمناسبة حفل ختمه تفسير القرآن سنة 1938 فيقول : ((...إن الفضل يرجع أولا إلى والدي الذي رباني تربية صالحة ،ووجهني وجهة صالحة ورضي لي العلم طريقة اتبعها ومشربا أرده وقاتني وأعاشني وبراني كالسهم وراشني وحماني من المكاره صغيرا وكبيرا وكفاني كلف الحياة...))[2].

والحق أن مسيرة التوجيه التي عرفها ابن باديس خلال مراحله التعليمية لتدل على ذلك، فبعد بلوغه سن التعلم ألحقه أبوه بالمدرسة الفرنسية لتلقي المبادئ الأولى في اللغة الفرنسية*، ولعل حتى هذا السن لعبد الحميد مازال مصطفى بن باديس لم يقرر شيئا بشأن مشروع توجيهه، ثم ألحقه

[1] – أبو القاسم ،سعد الله :خطبة ابن الموهوب عند توليه الفتوى بقسنطينة سنة 1908، مجلة الثقافة، العدد 84، نوفمبر– ديسمبر، 1984،ص170.

[2] – عبد الحميد ، بن باديس :كلمة المحتفل به ،الشهاب ،ج4 و5،المجلد 14،جوان – جويلية 1938.

* – يذكر الأستاذ عبد الكريم بوصفصاف عن عبد الحق بن باديس أن أخيه عبد الحميد لم يلتحق بالمدرسة الفرنسية وكان يجيد اللغة الفرنسية ،ونحن نستبعد أن يكون ابن باديس يجيد الفرنسية ولم يتعلمها في المدرسة ،انظر عبد الكريم بوصفصاف : رواد النهضة والتجديد في الجزائر (1889–1965) ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ،عين مليلة ،2007،ص9.

بكتاب لتحفيظ القرآن عند أشهر محفظي القرآن بالمدينة الشيخ حسن بن السوداني، ثم ألحقه بالدروس المسجدية للشيخ حمدان لونيسي[1]، الذي عرف بغزارة علمه وخدمته للحركة التعليمية وإخلاصه فيها [2]، فأخذ عنه قسطا كثيرا من علوم الدين المختلفة وعلوم اللغة العربية وخاصة أن الشيخ حمدان لونيسي قد خصه بالعناية والتوجيه لما رأى فيه من نبوغ وحب للعلم ، كان لهذه الدروس أثرها في تقدير اللغة والثقافة العربية .

وفي سنة 1908 أين بلغ الشيخ سن التاسعة عشر (19) من عمره غادر إلى تونس للدراسة بجامع الزيتونة لاستكمال دراسته الثانوية ،وفي الزيتونة كان له مشوار آخر في تكوينه فالبيئة الزيتونية كانت تتوفر على ظروف علمية وثقافية ملائمة كغناء مكتبته بالكتب القيمة التي ترضي نهمه في المطالعة ووجود مشائخ أجلاء ساهموا في تفتيق مواهبه وإنماء قدراته الكامنة، فالشيخ ابن باديس يذكر أثر أساتذته من الزيتونة عليه فيعترف بفضل الشيخ محمد النخلي * الذي يذكر أثره عليه في التفسير فيقول عنه: ((...واذكر للثاني – يقصد الشيخ محمد النخلي –كلمة لا يقل أثرها في ناحيتي العلمية ...ذلك أنني كنت متبرما بأساليب المفسرين وإدخالهم لتأويلاتهم الجدلية واصطلاحاتهم المذهبية في كلام الله ،ضيق الصدر في اختلافهم فيها لاختلاف فيه من القرآن ...وكانت على ذهني بقية غشاوة من التقليد واحترام أراء الرجال حتى في دين الله وكتاب الله ،فذاكرت يوما الشيخ النخلي فيما أجده في نفسي من التبرم والقلق فقال: (اجعل ذهنك مصفاة لهذه الأساليب المعقدة وهذه الأقوال المختلفة وهذه الآراء المضطربة يسقط الساقط ويبقي الصحيح وتستريح)، فو الله لقد فتح بهذه الكلمة القليلة على ذهني أفاقا واسعة لا عهد له بها..))[3] ثم ينتقل أيضا إلى فضل الشيخ محمد الطاهر بن عاشور* عليه و الذي تميز أثره عليه في الآداب واللغة والثقافة العربية فيقول عنه: ((...وإن أنسي فلا أنسي دروسا قرأتها من ديوان الحماسة على الأستاذ ابن عاشور، وكانت من أول ماقرأته عليه حببني في الأدب والتفقه في كلام العرب، بثت في روحا جديدا من فهم المنظوم والمنثور وأحيت في الشعور بعز العروبة والاعتزاز بها كما أعتز

[1] – محمد المنصوري ،الغسيري :المصدر السابق.

[2] – محمد المهدي ،بن شعيب :المرجع السابق ،ص318.

* – محمد النخلي (1869 –1924) من القيروان أحد أعلام النهضة العلمية بالزيتونة وأحد أبرز رواد الدعوة الإصلاحية بتونس.

[3] – عبد الحميد، بن باديس : الشهاب ،عدد خاص ،4–5 جويلية 1938.

* – محمد الطاهر بن عاشور كبير شيوخ الزيتونة عين سنة 1932 م شيخا للإسلام وعين عضوا في مجمعي اللغة بالقاهرة ودمشق له عدة مؤلفات منها :مقاصد الشريعة الإسلامية – أصول النظام الاجتماعي في الإسلام – التحرير والتنوير في التفسير .

بالإسلام))[1] ،كما يضيف أيضا حول أثر أستاذه بشير صفر فيقول: ((...وأنا شخصيا أصرح بأن كراريس ...الصغيرة الحجم الغزيرة العلم هي التي كان لها الفضل في إطلاعي على تاريخ أمتي وقومي والتي زرعت في صدري هذه الروح انتهت بي اليوم لأن أكون جنديا من جنود الجزائر ..))[2]، من خلال الاعترافات السابقة للشيخ ابن باديس بفضل أساتذته هؤلاء الذين نقلوه وخطوا فهمه الجديد والذي سوف يقوده وييسر له طريقه في الإصلاح والتجديد ،كما ساهمت السنة الخامسة له بجامع الزيتونة والتي كانت حسب نظام الدراسة تعطي للطالب للتدريس بهدف تدريبه على التعليم الذي سوف يكون مهمته ومحور نشاطه الإصلاحي.

كما كان أيضا للمكتبة وما احتوته من كتب[3]، أثرها من خلال ماوفرته له من كتب عمقت تحصيله ونمت فيه المنهج والأسلوب اللذان سوف يكونان أهم أسلحته في معركة العمل الإصلاحي الذي سوف يخوضه من خلال الصحف والخطب والمحاضرات والدروس التعليمية. والحق أن تكوينه وتوجيهه لم يتوقف عند المدارس والدراسة في جامع الزيتونة بل ساهمت رحلته الثانية التي قصد فيها بلاد المشرق سنة1912 م أثرا بالغا في مشروعه الإصلاحي فمن خلالها تعرف والتقى العديد من مشاهير الإصلاح في العالم الإسلامي فكانت محطته الأول المدينة المنورة أثرها الروحي علية لقدستها التي امتلكتها من قبر الرسول (ص)والذي وقف عنده وتوجه إليه بالخطاب قائلا: ((...يا رسول الله هذا عهد بيني وبينك ،لأعيشن في سبيل دينك وأمتك مجاهدا ولأمتن في سبيل دينك وأمتك شهيدا والله على ماأقول وكيل.))[4]،هذا العهد الذي قطعه على نفسه مع الرسول (ص) قد رفع التزامه الإصلاحي والعمل على تحقيقه ،كما كان فيها لقاءه بأستاذ طفولته حمدان لونيسي وهناك أيضا حصل لقاؤه بالعديد من العلماء المقيمين بها مثل الشيخ أحمد حسين أبادي الهندي* والشيخ العزيز الوزير التونسي وغيرهم ، وأثناء هذا اللقاء أخذ نصيحتين أثرت على مستقبل عمله ،فالنصيحة الأولى كان من الشيخ حمدان لونيسي فيقول عنها ابن باديس :((وإني لا اذكر للأول – يقصد حمدان لونيسي – وصية أوصاني بها وعهدا عهد به واذكر ذلك العهد في نفسي ومستقبلي وحياتي وتاريخي كله فأخذني مدينا لهذا الرجل بمنة لا يقوم بها الشكر ،فقد

---

[1] – عبد الحميد، ابن باديس :البصائر ،العدد 16،السنة الأولى ،24أفريل 1936.

[2] – المصدر نفسه

[3] – عبد الكريم ،بوصفصاف : : رواد النهضة والتجديد في الجزائر (1889–1965) ، مرجع سابق ،ص20.

[4] – أحمد توفيق ،المدني :ابن باديس الرجل العظيم ،مجلة الأصالة ،العدد 44،السنة 6،أفريل 1977 وزارة الشؤون الدينية ،مطبعة البعث قسنطينة ،الجزائر،1977،ص63.

*– أحمد حسين أبادي الهندي احد علماء المسجد النبوي بالمدينة المنورة في مطلع القرن 20 معارض الثورة العربية بقيادة شريف حسين مما أدى إلى نفيه إلى جزيرة مالطا ثم إلى الهند أين تولى بها رئاسة العلماء بمدينة ديوبند .

أوصاني وشدد علي ألا أقرب الوظيفة ولا أرضاها ماحييت ،ولا أتخذ علمي مطية لها كما يفعله أمثالي في ذلك الوقت .))[1] ،وأيضا تكررت عليه هذه النصيحة من قبل الشيخ أحمد حسن أبادي الهندي لاعتبارها قيد ،كما نصحه أيضا بالعودة إلى بلاده للعمل والدعوة فيها [2]، وقد لاقت هذه التوجيهات من قبل الشيخ ابن باديس الاقتناع والقبول فقرر العودة- من المدينة المنورة التي كان عازما على البقاء الدائم فيها — إلى الجزائر وأثناء رحلة عودته قصد بلاد الشام والتي التقى وتعرف فيها على جهابذة الفكر وأعلام النهضة العربية ،أمثال الشيخ الطاهر الجزائري* الذي يكون قصد عمدا الشام للقائه ،ذلك أن تأثيره عليه كان سابقا لهذا اللقاء من خلال مطالعاته لمؤلفاته ،فيكون قد أدرك أهمية مشروعة النهضوي التعليمي ،فأراد التعمق والاستزادة منه مباشرة، أو قد تكون هناك أسئلة قد تخمرت في ذهنه أراد جوابا لها من عنده مباشرة،ولاشك أ ن هذا اللقاء قد حصل من خلاله الشيخ على مايريد فأطلعه على مشروعه التعليمي وبين له أهمية النهضة التعليمية كمقدمة لأي إصلاح ناجح ،كما كانت له لقاءات مع كل من عبد القادر المغربي الصحفي والعالم اللغوي ومن أنصار التجديد و المتأثرين بفكر جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، والعالم محمد كرد علي *والعالم عبد القادر المبارك* وخليل مردم* وفارس الخوري* [3]،وبعد أن قضى حاجته في بلاد الشام قصد مصر ،أين التقى بالشيخ محمد بخيت المطيعي *،صديق أستاذه حمدان

[1] -البصائر 4-5 جوان -جويلية 1938.

[2] – محمد المنصوري ،الغسيري :المصدر السابق.

* – الطاهر الجزائري (1852 –1920)من عائلة ذات أصول جزائرية هاجرت إلى دمشق وفيها نشاء وتعلم وأصبح من ابرز علمائها اشتغل بالتدريس في المدرسة الظاهرية سنة1878 ويعد من مؤسسي الجمعية الخيرية التي اهتمت بنشر التعليم واللغة العربية ،كما اشتهر بمشروعه النهضوي التعليمي ،ساهم في افتتاح العديد من المدارس وأسس دار الكتب الوطنية وأيضا مكتبة الخالدية بالقدس له العديد من المؤلفات .

* – محمد علي كرد (1876–1953) صحفي وأكاديمي جامعي سوري ولد وتعلم بدمشق هاجر إلى مصر سنة 1901 اصدر بها مجلة المقتبس ولما عاد إلى سوريا سنة1908 اصدر صحيفة بنفس العنوان ،ساهم في إنشاء المجمع اللغة العربية بدمشق 1919 عين وزيرا للتعليم والمعارف بحكومة فيصل 1920 له مؤلفات منها :خطط الشام وكنوز الأجداد

* – عبد القادر مبارك (1881 –1945) عالم لغوي سوري من عائلة ذات أصول جزائرية درس العلوم الإسلامية والأدب العربي والتاريخ ،كان عضوا بمجمع اللغة العربية بدمشق وعضو لجنة التعريب في عهد فيصل له الفضل في تعريب العديد من المصطلحات الإدارية والعسكرية كما شارك في وضع مناهج اللغة العربية وآدابها في عهد فيصل وعمل أستاذا للغة العربية بالمدرسة السلطانية بدمشق والمدرسة الحربية ودار المعلمين.

* – خليل مردم: (1895 –1959) أديب وشاعر سوري تولى رئاسة المجمع العلمي العربي ووزير للمعارف السورية من مؤلفاته أئمة الأدب – الديوان – صاحب كلمات النشيد السوري .

* – فارس الخوري: (1877–1962) سوري اشتغل بالسياسة تولى الوزارة ومثل سوريا بالأمم المتحدة كما شغل بالمحماة ودرس الحقوق بدمشق وعين عضوا في مجمع العلمي العربي من مؤلفاته أصول المحاكمات الحقوقية وموجز في علم المالية .

[3] – محمد المنصوري ،الغسيري :المصدر نفسه .

* – محمد بخيت المطيعي: (1856–1920) عالم ومصلح مصري درس بالأزهر وأصبح من كبار شيوخه، من أنصار الفكر الإصلاحي ومؤيدي فكر محمد عبده الذي أضحى خليفته الأول بعد وفاته.

لونيسي والذي حمله رسالة منه لتزكيته ويعلق الأستاذ علي مراد على أثر هذه اللقاء فيقول :((...لئن كانت الإجازة تشكل ،على الصعيد المدرسي الصرف ،شهادة على قيمة صاحبها الفكرية ،فهي من شأنها أيضا أن تكون ذات قيمة معنوية وروحية ،فإن نظرنا إلى الإجازة من حيث بعدها الديني ،فهي تطابق حينئذ رسالة طاعة ،ولاشك أن الأمر يتعلق بهذا البعد ،إذن حظي ابن باديس بما يشبه الاعتبار والاحترام الإصلاحي من قبل شخص أمسى منذ وفاة محمد عبده الأستاذ الأكثر احتراما في مصر والذي كان يمارس بمعية رشيد رضا سلطة وأستاذية المدرسة الإصلاحية.))[1] ، كما كانت له لقاءات مع محمد الخضر حسين* وأبو الفضل الجواهري* وتعرف إلى قادة الحركة الوطنية كمصطفي كامل*[2].

والحق أن هذه الرحلة إلى بلاد المشرق قد خصبت وأثرت عقله و أضافت له الكثير في بناء ونضج مشروعه الإصلاحي وإعطاءه البعد الحركي والتنظيمي ، فالمشرق الذي كان على احتكاك كبير بالغرب بالاضافة إلى تقدم النهضة والفكرة الإصلاحية به ، استطاع أصحابها أن يفصلوا في كثير من القضايا المستجدة الناتجة عن صدمة الغرب كما قد وضعوا آليات العمل لنهضة الأمة، ولعل فكرة التنظيم والعمل الجماعي التي تميزت بها دعوة الشيخ ابن باديس عن من سبقه من العلماء والمصلحين الجزائريين تكون قد انتقلت إليه من خلالهم .

ففكرة التنظيم وجدت في فكر الكثير من الإصلاحيين والتي يكونون قد توصلوا لتبني العمل بها لما أدركوه في فاعلية التنظيمات التي جاء بها الاستعمار ،فنظروا لها على أنها الفكرة الأنسب لاعتمادها في مجابهة الظاهرة الاستعمارية المعقدة ذات البعد الاقتصادي والحضاري والفكري .

وقد تجلت واضحا فكرة التنظيم في ذهن ابن باديس وأدرك أهميتها فيقول عنها :((...إنما ينهض المسلمون بمقتضات إيمانهم بالله ورسوله ،إذا كانت لهم جماعة تفكر وتدبر وتتشاور وتتآزر

---

[1]- علي ، مراد :المرجع السابق ،ص96.

* – محمد الخضر حسين: (1876–1958) جزائري الأصل ولد بنفطة التونسية تعلم بجامع الزيتونة أنشاء مجلة السعادة العظمى عمل أستاذا بالزيتونة ثم بالثانوية الصادقية كما درس اللغة العربية بالمدرسة السلطانية ،استقر أخر حياته بمصر رأس تحرير مجلتي الأزهر (نور الإسلام ولواء الإسلام) ،اختير عضوا لمجمع اللغة العربية وعضوا في هيئة كبار العلماء كما تولى مشيخة الأزهر له العديد من المؤلفات منها رسائل الإصلاح ومدارك الشريعة الإسلامية وآداب الحرب في الإسلام وبلاغة القرآن ومحمد رسول الله وحياة اللغة العربية والخيال في الشعر العربي وخواطر الحياة وديوان شعر .

*– أبو الفضل الظواهري(1847–1920)عالم مالكي مصري تعلم بالأزهر عين شيخا عليه ومن مؤلفاته الطراز الحديث في فن المصطلح الحديث تحقيقات شريعة–حاشية مع شرح العضدية.

* – مصطفى كامل(1908)أحد باني نهضة مصر الوطنية تخرج من الجامعة الفرنسية بشهادة الحقوق ،أحد مؤسسي الحزب الوطني.

[2] – محمد المنصوري ،الغسيري :المصدر السابق.

لجلب المصلحة ولدفع المضرة متساندة في العمل عن فكر وعزيمة ...))[1]،كما استلهم الكثير من التجارب الإصلاحية الأول من خلال مؤلفاتهم وتراثهم الذي خلفوه أمثال الشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغاني، وأيضا كان لمجلة المنار للشيخ محمد رشيد رضا الأثر البالغ في تزويده ورفع حسه الإصلاحي والحفاظ عليه حيا متفاعلا مع الراهن.

ونافلة القول أن رحلة ابن باديس منحته فرصة الاحتكاك بمختلف الأفكار والتجارب الإصلاحية والتي ساهمت بلاشك في تطور وتبلور فكرته الإصلاحية وتميزها وذلك من خلال مراكمته كل أفكارهم ودمجها في ذهنه مع تكييفها وتفاعلها مع الواقع الجزائري بمعطياته المختلفة عن الواقع العربي والإسلامي في كثير من الخصوصيات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية بفعل اختلاف عمق الاستعمار بينهما،فولدت فكرته الإصلاحية ذات الشمول والتي كان مشروعها نابعا من حقائق مجتمعه ويعبر عن قيمه واتجاهاته ،كما لم يبقى مشروعه هذا فكرتا نظرية وفلسفية بل حولها إلى فكرة عملية بالترول بها إلى الميدان والتبشير بها من خلال نشاطاته التعليمية والدعوية بمختلف المؤسسات التي أنشاءها لذلك .

وبعودة الشيخ ابن باديس إلى قسنطينة انتصب للتعليم بالجامع الأخضر وسيدي قموش ،كما كان حثيث الحركة في زياراته إلى مختلف مناطق الوطن بهدف الاتصال بالعلماء وتنسيق الجهود لإنجاح فكرته ومشروعه، وأيضا كان يهدف من وراء هذه الزيارات إلى اكتشاف المناطق بهدف رسم خطط الإصلاح لها ،وقد عرفت منطقة الأوراس عدة زيارات للشيخ وتذكر الروايات الشفوية التي أطلعتنا أن الشيخ زار الأوراس خلال السنوات (**1918-1920-1926-1933**)، خلال هذه الزيارات لاشك أنه كان يتوقف على خصائص المنطقة الاجتماعية والثقافية، ويدعوا إلى التعليم، وكانت محطاته هي الزوايا المعروفة بمحافظتها على التعليم مثل زاوية القرقور وزاوية صدوق بالحاج وزاوية الدردورية وزاوية صالحي ، وكان من خلال زيارته أيضا يهدف إلى تعريف الناس والشباب به ،كما كان ينشر عبر صحافته إعلان افتتاح دروسه لكل موسم جديد ويحدد المواد الدراسية فجاء في جريدة النجاح سنة **1925** إعلانه :((ليكن في علم الطلبة الراغبين في تحصيل العلم أنه يوم الثلاثاء تفتتح دروسه السنوية للعلامة الشيخ عبد الحميد ابن باديس فعلى كل من توفرت فئة قابلية التعليم أن يقبل لعمر طابة))[2]،وجاء أيضا في مجلة الشهاب سنة **1929** إعلانه: ((تفتتح دروس صاحب هذه المجلة يوم **20** من شهر أكتوبر

[1] – عبد الحميد ، بن باديس : تفسير ابن باديس ،ص428.
[2] – النجاح :الثلاثاء 1925/10/27.

حسب العادة بالجامع الأخضر ومسجد سيدي قموش ودروس هذه السنة هي ...))[1]،كما سارت جريدة البصائر على نفس المنوال في الإعلان عن بدية الموسم الدراسي للشيخ كل سنة[2].

وقد عرفت بداية التحاق الطلبة الأوراسيين إلى الجامع الأخضر بداية محتشمة إلا أنه مع مطلع الثلاثينات من القرن **20** م تزايد عدد الوافدين منهم .

لم يقتصر دور الشيخ ابن باديس في استقباله للطلبة على مجرد تحصيلهم العلمي وحصولهم على الشهادة ،بل كان بعدهم لأداء دوار مستقبلية في إطار مشروعه وقد كان الإقبال المتزايد من سنة لأخرى للطلبة الأوراسيين، وتميزهم بالرغبة والشغف الكبير على التحصيل العلمي إلى إثارة اهتمام الشيخ بهم فخصهم بعناية كبيرة ،فكان يزكي بملاحظاته مواهبهم كما يعمل على اكتشاف قدراتهم وتنميتهم [3]،وكان يعتمد إلى توجيههم نحو الفكرة الإصلاحية لأداء رسالة الإصلاح بمناطقهم ،وقد استطاع أن يصقل قدرات القيادة والنشاط في بعضهم مثل الشيخ عمر دردور والشيخ الغسيري ومحمد الصالح زموري ومن بعدهم أحمد السرحاني بهدف قيادة الإصلاح في المنطقة.

كما قد تكون قد سهلت الحياة الاجتماعية والفكرية لمدينة قسنطينة على ابن باديس الكثير في توسيع آفاق ومدارك الطلبة الأوراسيين ،فمثلا استطاعت كسر الكثير من القيم المحافظة والتقليدية التي نشاؤا عليها ،فالمدة التي قضوها أثناء دراستهم جعلتهم يستوعبون الكثير من مظاهر العصرنة للمجتمع القسنطيني والتي وفق بينها وبين قيمهم الدينية الإسلامية ،وبذلك سوف تضيق لهؤلاء فكرة التوفيق بين الجديد الوافد والتقاليد والقيم الأهلية ،وهذا ما يحتاجه المنشط الإصلاحي، كما أن المقارنة التي سوف تفرض نفسها على هؤلاء بين المستوى الحضاري والثقافي بين أهاليهم وسكان قسنطينة والتي ترجع إلى التعليم، مما سوف يولون النشاط التعليمي الأهمية القصوى لنهضة أهاليهم بعد عودتهم .

[1] – الشهاب :ج9،سنة 1929،ص48.

[2]– أنظر مثلا عنها ، البصائر، العدد 134، السنة الثالثة ،الجمعة 07اكتوبر 1938.

[3] – محمد الصالح ،الجابري : النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900–1962)، الدار العربية للكتاب ،ليبيا 1983،ص78.

المبحث الثـــالث: دور الطـــلبة في نشر الفكر الإصلاحـــي للعلمـــاء

اضطلعت الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء للبعد الوطني الذي تحمله،على تحقيق أهدافها والوصول بها إلى كل مناطقه، هذه الأهداف التي تمثلت أساسا في نشر أفكار التجديد ونشر التعليم وإحياء القيم والأخلاق الأصيلة في الدين وتنقيته من البدع والخرفات التي علقت به لزمن طويل.

ومن أجل نجاح هذا المشروع أعد قادة الحركة الإصلاحية رجالا لحمله والقيام به ووزعتهم في مختلف الوطن ،ولاعتبار الأوراس أحد مناطقه فقد عنت الحركة الإصلاحية بإيصال الإصلاح إليه ،فقد تيسر لها ذلك من خلال أبنائه الذين التحقوا بدروس الجـــامع الأخضـــر لتلقـــي التوجيـــه الإصلاحي وأتاحت فرصة توجيههم وإعدادهم للقيام بدورهم هذا .

وبذلك مثلت الطلائع الطلابية للأوراسيين الذين كانوا ثمرة التعليم الباديسي الجسر الذي تمر عليه الأفكار الإصلاحية إلى الداخل الأوراسي [1]،وقد ظهر ذلك منذ أن كانوا طلبة حيث نقلـــوا أثرهم إلى إقاماتهم ، فكم كان احتفاء الاستقبال للطلبة العائدين من قسنطينة من قبل أهل قريتهم ،و تسامع خبر مجيئهم من قبل أقرانهم الذين سوف يدفعهم فضولهم للإطلاع على أحوالهم، وكم كان ميسورا ملاحظة ما حصل لديهم من تغير في سلوكهم وثقافتهم ولغتهم وفي آدابهم ونظامهم ،وهذا التحول كان يلفت النظر إليه حتى من قبل الأباء ،هذا كان و بلاشك يدعوهم أن يكون لأبنائهم ما كان لهؤلاء ،لذلك سوف يكون في الموسم القادم تزايد في قائمـــة الوافـــدين علـــى قسنطينة قاصدين دروس الشيخ ابن بـــاديس .

كما كان احتكاك الطلبة بأقرانهم من سكان إقاماتهم ومحادثتهم التي كانت تنطوي علـــى أخبارهم وظروف تعليمهم وتوعينهم بأهمية التعليم الباديسي وميزاته وتشجيعهم على الالتحـــاق مثلهم بالجامع الأخضر ،كما سينقلون صورة شيوخهم وعلى رأسهم الشيخ ابن باديس بتبجيلهم وإجلالهم وتصحيح الأفكار السيئة عليهم ونقل الصورة الصحيحة لهم ،مما يحببونهم فيه ويزيلون كل توجس في تعاليمه.

و لم يتوقف دور هؤلاء الطلبة أثناء عطلهم عند التحريض والدعوة للالتحاق بالـــدروس الإصلاحية للشيخ ابن باديس فقط، بل كانوا يستغلون أوقات فراغهم أثناء عودتهم إلى إقامتـــهم، لإلقاء الدروس في المساجد والمشاركة في التعليم وتحفيظ القرآن في الكتاتيب فمثلا عـــرف أحمـــد

---

[1]- Fanny Colonna: les débuts de L'islahe dans L'Aures 1936-1938 revue Algérienne des science juridiques économiques et politique V X I V N° 2 Juin 1977 office poplication universitaires Algérie, P 277.

السرحاني الانخراط المبكر في الدعوة والنشاط الإصلاحي بالأوراس وهو طالب بالجامع الأخضـــر من 1936 م إلى 1940م فكان يقدم دروسا تعليمية بالاضافة إلى الوعظ والإرشاد[1] ،ومساهمته في تأسيس أول شعبة أوراسية سنة 1936 م [2].

كما كان الطلبة السابقين في مرحلة دراستهم وانضمامهم إلى الجامع الأخضر يتعهـــدون بالعناية والنصح والاهتمام للطلبة الوافدين الجدد من أبناء منطقتهم بالاوراس ،وهذا ماعرف على عمر دردور أثناء فترة دراسته وإقامته بقسنطينة وأيضا محمد الغسيري الذي لازم الجامع الأخضـــر طويلا بطلب من الشيخ ابن باديس [3].

وبعد العودة النهائية لثلة من الطلبة بعد استكمال دراستهم عند الشيخ ابـــن بـــاديس ساهموا في مستقبل الثورة الثقافية للأوراس من خلال مدهم الحركة الإصلاحية بالمنطقة ، وتأسيس نشاطاتها وتأطيرها بشكل فعال قلب الأوضاع الثقافية والاجتماعية وحتى السياســـة في المنطقـــة ،وساهموا في نجاح البرنـــامج الإصـــلاحي الـــذي يهـــدف إلى نهضـــة وايقـــاض الجمـــاهير . فهؤلاء الطلبة كانوا جنود الإصلاح والذين راهن عليهم الشيخ ابن باديس في كسب الرهـــان في المنطقة وهو يعرف خصائصهم النفسية والاجتماعية كالروح القتالية والاستماتة في أداء الواجب بذلك مثل هؤلاء الطلبة القناة الذي مرت من خلاله الأفكار الإصلاحية إلى المنطقة .

–تأسيس الشعبة الإصلاحية بالأوراس :

وقد عرفت الفكرة الإصلاحية تطورها وقوة نشاطها بإقدام الطلبة العائدين مـــن الجـــامع الأخضر بتأسيس المؤسسات التنظيمية للحركة الإصلاحية لجمعية العلماء ،وقد كان أول ظهـــور للجمعية المحلية بالاوراس بتأسيس الشعبة الاوراسية في أوت 1936 م بحيـــدوس بمنطقـــة وادي عبدي ،ويقف تقرير حاكم اريس عند هذه الحادثة فتقول: ((لقد زاول أربعة اوراســـيين أبنـــاء مرابطين دراستهم بالجامع بقسنطينة تحت إشراف ابن باديس ،وكان هؤلاء التلاميذ الأربعة أعضاء للشعبة الاوراسية للعلماء المؤسسة في أوت 1936 م...بينما الأعضاء الآخرون في اللجنة المديرة يمثلون عائلات مرابطة هامة مناصرة للزاوية الرحمانية لتبرماسين وتلميذ أخر من قرية غـــوفي.))[4].

---

[1] – مقابلة شخصية مع السيد صالح تمقلين باتنة يوم 25 /2009/08.

[2] – انظر محضر تأسيس الشعبة الأوراسية أدناه .

[3] – مقابلة شخصية مع السيد دروف محمد الهاشمي بسكرة 2009/8/20 .

[4] – تقرير حاكم اريس تحت عنوان :((مرحلة جديدة من التاريخ المضطرب للأوراس 1938)) ،أرشيف اكس اون بروفنس 7617 | 69 G.

وقد جاء أيضا في محضر تأسيس الشعبة الأوراسية مايآتي :أن الشعبة تأسست من قبل الشيخ عمر دردور مع مجموعة الشيوخ والطلبة وكانت تركيبتها كالآتي :

– عمر دردور: رئيس الشعبة الاوراسية المعتمد من طرف الجمعية
– الأمير صالحي .
– محمد يكن الغسيري.
– أحمد تمقلين السرحاني .
– محمد الصالح زموري .
– عبد الواحد واحدي .
– رشيد صالحي .
– أحمد بهلولي .

أما الأعضاء الإضافيون فهم : – محمد بلحسين بن عباس – مسعود بلعقون – بومعراف بن حاية[1].

وقد ازدهر نشاط هذه الشعبة سنة 1937 م وبعد هذا التأسيس تقرر من قبل قادة الإصلاح بالاوراس تكوين في كل دوار شعبة محلية تتكون من:

–رئيس الشعبة .
– نائب رئيس الشعبة .
–كاتب الشعبة ونائبه.
– وأمين المال للشعبة ونائب أمين المال .

وستة (6)أعضاء مستشارين وأعضاء عاملون .

وبذلك تكونت عشر (10) شعب كانت مهمتها تكوين الجمعيات الدينية والإصلاحية في مختلف دواوير الأوراس وهي :

– الجمعية الدينية الإسلامية بوادي عبدي حيدوس .
– الجمعية الدينية الإصلاحية بدوار بوزينة مقرها أم الرخاء .
– الجمعية الدينية الإسلامية بدوار غسيرة مقرها غوفي.
–الجمعية الدينية الإسلامية بدوار زلاطو مقرها اينوغسين.

[1] – محضر تأسيس الشعبة الأوراسية لجمعية العلماء بحيدوس ،أرشيف ولاية قسنطينة.

- الجمعية الدينية الإصلاحية بدوار وادي الأبيض مقرها اريس.
- الجمعية الدينية الإصلاحية بدوار منعة مقرها منعة .
- الجمعية الدينية الإسلامية بدوار شير مقرها مدرونة.
- الجمعية الدينية الإصلاحية بدوار مشونش مقرها مشونش .
- الجمعية الدينية الإصلاحية بدوار وادي الطاقة مقرها بوحمارة.
- الجمعية الدينية الثانية بدوار زلاطو مقرها تكوت.

هذه الجمعيات المحلية تكونت من أفراد يؤمنون بمبادئ وأهداف الحركة الإصلاحية، وقد كانت أهداف ونشاطات هذه الجمعيات تتمثل أساسا في:

- فتح الكتاتيب القرآنية.
- بناء وتشديد المدارس الإصلاحية الحرة
- بناء وإصلاح المساجد الحرة
- إنــــشاء النــــوادي
- تعين الأئمة بالمساجد والمعلمين بالمدارس
- تنظيم اللقاءات والدروس العلمية والوعظ والإرشاد
- التكفل بتسديد أجور المعلمين
- السهر على جمع الأموال والتبرعات لصناديق الجمعيات المحلية التي كان مصدرها أعضاءها وأنصار الإصلاح ومن تبرعات المحسنين ومن أموال الزكاة [1].

وقد مثلت هذه النشاطات والأعمال التي تحملتها الجمعيات المحلية الدعامة الحقيقية لنشر الحركـــة الإصلاحية في القاعدة الشعبية.

- دور المؤسسات الإصلاحية الأخرى في نشر الفكرة الإصلاحية:

كما لعبت الأندية دورا كبيرا في انتشار وتعميق الأفكار الإصلاحية خاصة لدى الشباب ،وقد كان لهذا المظهر المؤسساتي الجديد في الاوراس جاذبية استطاع بفضله استيعاب أعداد معتبرة وتعوضه لدور المؤسسات التقليدية كالزوايا خاصة في أدوارها ووظائفها الثقافية والاجتماعية التي تخلت عنها ،أو حتى ساحات الترفيه بالحي أو الدوار ،والتي كانت تحافظ على التصورات والأفكار التقليدية والقديمة .

[1] – محمود ،الواعي :مرجع سابق ،ص224.

وبذلك ظهر النادي كوسط ومؤسسة ثقافية واجتماعية عصرية توجه وتوجد جهود التوعية،كما ساهمت في تنظيم النشاطات بأهداف تخدم الفكرة الإصلاحية ،وقد راهنت الحركـــة الإصـــلاحية لجمعية العلماء في منطقة الأوراس على أهمية الأندية ودورها في الوصول إلى أعداد معتبرة من فئـــة الشباب، وإذا كان أول نادي تأسس بالمنطقة ببلدية باتنة ((نادي الإصلاح)) سنة 1933 م ،فقد استغله الإصلاحيون من الوهلة الأولى في نشاطاتهم ،فقد أقدم الشيخ ابن باديس منذ تأسيسه الأولى على تقديم العديد من المحاضرات به[1]، وبعد سنة 1937 م أقدمت الجمعيات المحلية لجمعية العلماء على إنشاء النوادي بالمنطقة ، والتي وصل عددها عند أكتوبر 1937 م إلى ستة و عشرين(26) ناد بدائرة باتنة، كان أغلبها ملك للحركة الإصلاحية ،كما استغلت حتى النوادي الأخرى الـــتي كانت تحت تصرف التنظيمات الأخرى خاصة المتعاطفين والمتعاونين معها [2]،وقد عـــبرت الإدارة عن هذا التطور السريع في إنشاء الأندية الإصلاحية فجاء في تقرير حاكم اريس : ((... خـــلال بضعة أشهر شهدنا عدد من النوادي والمراكز الثقافية للاجتماعات يستمع فيها الأعضاء والمواطنين لدروس وخطب العلماء ...))[3]، هذا التوسع في إنشاء الأندية يدل على تفطن ناشطي الإصـــلاح بالاوراس لدورها المهم كما يدل على كثافة نشاطاتها التي كانت تهدف من وراءها إلى إخـــراج الشباب المسلم من الانحطاط الثقافي و الحضاري وتنويره و تكوينه تكوينـــا ثقافيـــا وحضـــاريا واستثمار أوقاته فيما يعود عليه بالفائدة .

وأيضا مثلت المدارس والمساجد أهم المؤسسات التي روجت الحركة الإصلاحية من خلالهـــا لأفكارها ،وقد تميزت الأوراس بهيمنة النشاط التربوي للإصلاحيين مقارنة بالنشاطات الأخـــرى ،وقد أدرك الإصلاحيون أهمية المدرسة في تربية الناشئة والمسجد في استدراك الوعي للكبار مـــن الكهول والشيوخ ، والتعويل عليهما في مقاومة الجمود والتخلف الثقافي و الثقافة الفرنسية معـــا ،وقد وجدت مساعي الإصلاحيين بالأوراس توافق مع إرادة السكان التي تزامنت مع وعيهم بأهمية تعليم أبناءهم لذلك أنشرت مؤسسات مدارسهم وكتاتيبهم ومساجدهم في كل مداشر و قـــرى المنطقة [4] .

---

[1] – عمار ،هلال :أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1962)،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1995،ص237.

[2] – **عبد الحميد، زوزو : الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي (التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية) 1837–1939، ترجمة مسعود حاج مسعود،ج2 ، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر، 2005، ص41.**

[3] – تقرير حاكم اريس ،المصدر السابق.

[4] – انظر فصلنا التالي عن دور المدارس والمساجد الإصلاحية .

كما ساهمت اللقاءات التي قام بها ناشطي الإصلاح بالأوراس ودروس الوعظ والإرشاد التي نظمتها الحركة الإصلاحية في الأوراس من قبل المبعوثين ، فقد كان حض الأوراس وفيرا من الرجال العاملين التي كانت جمعية العلماء قد وزعتهم على مختلف الأحواز لتقديم دروس الوعظ والإرشاد بالمساجد المختلفة لأحواز الأوراس[1] ،وقد كان شهر رمضان من أحسن الأوقات وأكثر ملائمة وهذا لتلاقي عدة عبادات فيه لها أثرها على النفس وبذلك تسهل نفوذ دعوات الخير إلى القلوب والنفوس ،وقد كانت مضامين الدروس تتمحور حول إصلاح العقيد والنصح وغرس معاني أخلاقية لتزكية المجتمع كالتأكيد على قيمة الشرف والرجولة ومحاربة النكرات والمفاسد كالكذب والغيبة والنميمة والخصام والخلافات ...[2]،وقد عرف على ناشطي الإصلاح حركتهم الحثيثة وتنقلاتهم الدعوية في مختلف أحواز الأوراس ،وأثناءها كانوا يجتمعون مع القاعدة الجماهير ناقلين لهم تعاليمهم الإصلاحية كما كانت تنقلاتهم تستهدف قيادات وأعيان القبائل والجماعات الدينية، وقد ساعدهم انتماءات أغلبهم لعائلات طرقية في النفوذ إلى هذه الأوساط والاستجابة إلى دعوتهم ،فعرف على الشيخ دردور هذه للقاءات التي كان يقيمه في مختلف مناطق الاوراس والتي كان يعتمد في تنقلاته إليها على ظهر حصانه[3] .

كما لعبت صحافة الحركة الإصلاحية أيضا دورا هاما في نقل أفكارها والوصول بها إلى الجماهير الأهلية على مختلف مناطقهم ،وقد اعتمدت الحركة الإصلاحية العديد من الصحف لتبليغ أفكارها والتعريف بنفسها والدعاية لأهدافها ،وقد كانت هذه الصحافة في منطقة الاوراس ذات تأثير بلغ ،لما حضيت به من تعلق الشبيبة بها ، لما رأته فيها من ميزات ثقافية وعلمية ،فكانت تحمل مقالاتها ومضامينها أهدافا تعليمية وفي الآن نفسه تصحيحية دينية ،فمثلت بذلك مدارس متحركة قربت المسافة وحققت التواصل بين قادة الإصلاح والجماهير على مختلف إقاماتهم، وقد ساهمت إلى حد ما في تطوير الأذهان ووعي الجماهير نحو الفكرة الإصلاحية ،وبذلك استطاعت في مدة وجيزة أن تأسس لرأي إصلاحي حتى عند أولئك الذين لم يلتحقوا بمؤسساتها أو لم تصل إلى مناطقهم مؤسسة المدرسة والمسجد والنادي الإصلاحي ،لقد راءت فيها الجماهير الاوراسية أنها صحافتهم الحقيقية التي تعبر عن أفكارهم وأحلامهم ووجدانهم، فقد ملئت فراغا ظل موجودا

[1] – محمد،خير الدين :مذكرات ،ج1،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،بلات،ص266 –267–268. ومحمد خيرالدين ،مذكرات ،ج2،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ،بلات ، ص95–96–97.
[2] – محمد البشير الإبراهيمي : دروس الوعظ في رمضان ،البصائر ،العدد 125، 21ماي 1951.
[3] – المقابلة السابقة مع السيد عبد الباسط دردور.

لفترة طويلة ،فظهرت العديد من الأقلام الاوراسية التي تراسل هذه الصحافة ناقلة لأخبار وأحوال الأوراس كما مثلت لهم منبرا ملائم لأفكارهم وآراءهم ،كما وجدوا فيها ضالتهم فكان كثيرهم حريصا على الالتزام بمطالعتها .

إن الحضور الكثيف للمؤسسات الإصلاحية وانتشارها السريع وفعالية نشاطاتها ذات الطابع التربوي والثقافي والخيري الاجتماعي والإقبال الجماهيري الواسع عليها ليدل على مدى الانتشار الكبير للأفكار الإصلاحية في الأوراس فما هي العوامل التي ساعدت الحركة الإصلاحية على الانتشار في منطقة ريفية تحمل خصائص ثقافية واجتماعية ريفية لا تتوافق غالبا مع الفكر الإصلاحي المديني (نسبة إلى المدينة) ومعروف بهيمنة الاتجاه المرابطي المتعارض مع الفكر الإصلاحي.

- دور زيارات الشيخ ابن باديس في رسم إستراتيجيته الإصلاحية وذلك من خلال زياراته المتكررة والمتباعدة نسبيا في الزمن (1918-1920-1926-1933)، والتي وقف من خلالها على أوضاع وخصوصيات المنطقة من الناحية الاجتماعية والثقافية ومصادر التأثير فيها ،كما وقف على مدى التطورات والتحولات التي حدثت بها من زيارة لأخرى ،فبالإضافة إلى معرفة حاجات الأوراس فقد استطاع أن يحدد خصائص و نوعية قادة و ناشطي الإصلاح الملائمين للمنطقة ،وأيضا استطاع أن يرتبط بصلات المحبة والوفاق مع شخصيات و العائلات ذات التأثير ، والمتمثلة في مشايخ و قادة الزوايا مما طمئنهم وأزال كل المخاوف وهواجس التي كانت تصلهم عنه وعن فكرته .

وبذلك صنعت في زياراته ابن باديس للأوراس صلة عاطفية وروحية بينه وبين جماهيرها التي كانت في ظل غياب زعامة دينية أهلية تتلمس وتبحث عن قيادة من نوعه فكانت بذلك زياراته تأسس لمقامه الروحي الذي سوف يمهد لفكره.

- تعلق الجماهير الاوراسية بالدين الإسلامي لبقاء شعورهم فيه حيا- بغض النظر عن التشويه الذي كان عليه.

– وهذا سبب عدم تعرض المنطقة لعنف المؤسسات الكولونيالية[1]، وذهب الغسيري إلى هذا التفسير في تقريره فيقول: ((... لم يكن أحد يفكر في أن جبال الأوراس ،ستتيقظ من نومها الطويل والعميق في مدة وجيزة لا تتجاوز ثلاثة سنوات هذا التيقظ، ولكن قسما يدين بالإسلام ويعتز

1 - Fanny Colonna: op cit p35.

بالقومية ويفخر بالعربية لغة الوحي المحمدي والدين الإلهي السمح على خلقه لسريع الانقلاب وسريع التأثر بالروح الدينية والحقة والوطنية الصادقة...))[1]، فالشيخ الغسيري يرجع هنا الإقبال السريع على الفكرة الإصلاحية من قبل الأوراسيين إلى بقاء الشعور الديني لديهم خاما ونفحته باقية فكان نداءه فيهم سريع الاستجابة .

– أحسنت الحركة الإصلاحية اختار ممثليها في الأوراس ،هذا الاختيار الذي كان إستراتجية الشيخ ابن باديس الذي قد يكون قصد عمدا التركيز على أبناء العائلات المرابطية التي تتوفر على النفوذ والمكانة الاجتماعية من قادة الناشط الإصلاحي بها ،فالميزات التي حضي بها هؤلاء الناشطين الاصلاحين والمتمثل في المزاوجة من الانتماء الطرقي الذي فرضه نشأتهم وأصلهم العائلي المرابطي من جهة وبين الفكر الإصلاحي بوصفهم ثمرة التعليم الباديسي من جهة أخرى ،هذه الميزة قد أهلت الحركة الإصلاحية أن تجد الإطارات الملائمة والمناسبة لها في بيئة تقليدية و مرابطية كالأوراس ،وبذلك استطاعت هذه الفئة تحقيق التعايش و التثاقف بين فكرتين لطالما كانوا محل صراع وتعارض دائمين.

كما ساهم انحدار ناشطي الإصلاح من عائلات مرابطة صاحبة المكانة الدينية والاجتماعية فمنحتهم احترام والتقدير من قبل المجتمع،وهذا بدوره منحهم ميزة النفوذ والتوغل في الأوساط اجتماعية بحميمية دون إثارة الاعتراض والرفض من أفكارهم أو نشاطاتهم .

– التحولات التي عرفتها الأوراس والتي ساهمت في تطور الأذهان والخروج من قبضة التعاليم المرابطة التقليدية ،ولعل أهم عوامل هذا التحول هو الحراك السياسي الذي شهدته المنطقة من خلال نشاطات الأحزاب ولقاءاتهم وسجلاتهم التي كانت ترافق منافستهم في المناسبات الانتخابية ،فكانت باتنة وهي العاصمة الإدارية للأوراس مركز استقطاب للعديد من الشخصيات الوطنية وفيها كانوا يعرضون وجهات نظرهم وبرامجهم المختلفة المشاريع ،مما ساهمت في الدفع بالوعي الأهلي نحو قضايا الساعة وإدراكهم لحاجاتهم وحقوقهم الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية، وقد أحست هذه الجماهير بقرب الحركة الإصلاحية في تعبيرها عن مطالبهم وحاجاتهم،وبذلك لم تكن هناك منظمة وطنية منافسة للعلماء بسبب الحركات الأخرى كانت بينها وبين الجماهير مسافة كبيرة كما أنهم كانوا عاجزين على التوغل في الجماهير.

[1] – تقرير الشيخ الغسيري على سير الإصلاح ،المصدر السابق .

– كما ساهمت نفسية الأوراسي تجاه الاستعمار إلى التقرب من الحركة الإصلاحية ذلك إن كل عائلة أوراسية بقيت تحفظ صورا وذكريات القمع و الهمجية الاستعمارية عند دخوله و توريثها لأبنائها ،وقد نظرت الجماهير الأوراسية إلى النشاطات الإصلاحية على أنها نوع من المقاومة للاستعمار وبذلك قد حقق لها شيئا في نفسها،وانضمت إليها كنوع من الجهاد ضد المحتل.

–إن الاحتكاكات البسيط بين الثقافتين الأوروبية و الأوراسية قد أحدثت حالة تثاقف[1] ، بينما لم يفقد الأوراسيون لقيمهم وثقافتهم والتي كانت تحرسها بصرامة القبيلة والطريقة ،ورغم حدوث تنازلات ثقافية بفعل قوة الأخر (الفرنسي) ،هذه التنازلات وبفعل تراكمها عبر السنين ،وحتى مجئ العشرينات من القرن 20م أدت إلى ظهور تحولات في أوساط الشباب عن التقاليد المرابطية والتي أصبحت بالنسبة لهم بالية وساذجة، كما نظروا إلى الثقافة الأوروبية نظرة غريبة ،فكانت الفكرة الإصلاحية قد جاءت في لحظتها التاريخية المناسبة، فمثلت لهم البديل المناسب لمشروعها الجديد الذي أخذ بالنسبة لهم الوسطية بين المشروعين، مشروع التغريب ومشروع الجمود ،وبذلك كان التجايل (تدافع الأجيال) يصنع المستقبل لصالح الأفكار الإصلاحية، بحكم ميول الشبيبة إلى التغيير والرغبة في الحصول على معرفة أكثر عقلانية من الأجيال السابقة .

–إن الدخول المتأخر نسبيا للحركة الإصلاحية لمنطقة الأوراس قد جعلها تصل من مرحلة نضوجها ، وبذلك كانت قد تجاوزت الصعوبات الاجتماعية والنفسية للأهالي ،كما كانت الفكرة الإصلاحية قد قوى عودها في الوطن ووصل صداها إلى كل أنحائه ،وبذلك تكون الأوراس قد عرفت تقديمات للفكرة الإصلاحية من قبل نشاطات بسيطة لأنصارها، مما جعلت دخولها سنة 1937 يكون دخول هادي وتدريجي لا يثير المفاجئة والرفض .

– كما أن مختلف التأثيرات الداخلية والخارجية التي عرفها الوضع التعليمي والثقافي في الاوراس جعل من القيادات المرابطية المتبصرة إلى إدراك اتجاه التحولات الثقافية والدينية لذلك سارعت هذه العائلات في إعداد أبنائها لهذا المستقبل ،وخاصة أنها لا تجد حرجا كبيرا مع الأفكار الجديدة لما عرف عليها من أنها لم تكن من أصحاب المصالح والمكاسب ،فهذه الزوايا عرفت التهميش و الإضعاف من قبل الإدارة بسبب مواقفها منها و التي يعتبر امتداد لجهادها ومقاومتها الأولى ،كما أن هذه الزوايا استطاعت أن تحافظ على تراث التدين والخدمة الدينية التي تركها مشائخها فمثلا زاوية صديق بالحاج أو الشيخ الهاشمي الدردور أو مولى القرقور فهذا التروع الديني لهذه الزوايا

[1] - عدي ،الهواري :المرجع السابق ،ص60.

أبقى على غيرها على الدين الذي من خلاله بنت موقفها من الحركة الإصلاحية التي رأها تمثل شكلا من أشكال المقاومة الدينية للاستعمار ،لذلك لا نستغرب أن تبني تحالفات معها .

وصفوة القول إن التحولات التي عرفتها الأوراس وإن كانت بطيئة إلا أنها استطاعت أن تساهم في إحداث تغيرات كبيرة في البناء الثقافي والاجتماعي للأوراس ، فالأوراس المنطقة الريفية التي عرفت بصرامة التزامها بعاداتها وتقاليدها ورفضها لكل جديد وافد والتي حمته بعزلتها الجغرافية بفعل حصانة جبالها ودعمته بصرامة التنظيم القبلي لأنفراد المرابطية بسكانها وانكفائها على أي تواصل مع الاستعمار ،قد لاحت أفق تحولاتها من عقد العشرينات من القرن 20م ببداية دخول الفكر الإصلاحي إليها،هذا الفكر المعروف بوجوده في بيئة مدنية إلا أنه مع منتصف الثلاثينات من القرن 20م انشر الفكر الإصلاحي ونمت مؤسساته وأقبلت عليه الجماهير الأوراسية ومن الغريب في الأمر أن يأطر من قبل أبناء عائلات مرابطية كما وجد الحماية والدعم من قبل الزوايا بالمنطقة وهي المؤسسات والأفراد الذين عادة ما يشكلون الجبهة المناقضة للإصلاحيين لتعارض تعاليمهم ومصالحهم مع الإصلاح .

الفصل الثالث : الدور الثقافي للحركة الإصلاحية في الأوراس

المبحث الأول : دورها في التعليم

المبحث الثاني : دورها في محاربة البدع والخرافات

الفصل الثالث: الدور الثقافي للحركة الإصلاحية في الأوراس

ركزت الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء في المقام الأول على الجانب الثقافي،هادفة من وراء ذلك إلى بعث وإعادة إحياء الثقافة العربية الإسلامية التي تعثرت لفترة طويلة وساء وضعها ،بسبب التخلف الفكري والحضاري ،إضافة إلى عمل الاحتلال الذي دأب طول فترة تواجده على محوها من الوجود وتعويضها بالثقافة الفرنسية وذلك عن طريق مؤسساته التي نشرها.

المبحث الأول :دورها في التعليم :

1-التعليم الإصلاحي:

لقد كان مشروع الحركة الإصلاحية مؤسسا على التربية والتعليم ،كما كانت تعول عليه كوسيلة فعالة من أجل توعية الجماهير وتوجيههم الروحي الصحيح ، ولا نستغرب هذا الإجراء على حركة تعتمد النصوص والتاريخ الإسلاميين مصدر لاستلهام أفكارها ، فالأدبيات والنصوص الرئيسية كالقرآن والسنة كلها تشيد بأهمية العلم والتعليم معتبرة إياه بداية لأي مشروع مجتمع جديد ، فالقرآن الكريم يشير إلى أن الله عز وجل لما خلق آدم قام بتعليمه ،قال تعالى :
◆⬀✏︎♐︎❑▦⇧✍︎☞︎❀♐︎✂︎ ♦⚐︎⌧⑩✂︎◆⬀ ⌘☠︎✵◘♦⬂◆❒
⬁☛︎◘✵♑︎⌧♐︎ ⬀⬄⬉⬁ ▪[1]، و بذلك كانت المعرفة بداية مسيرة الإنسانية في هذا الكون ،كما أن أول كلمات نزول الوحي الإلهي كانت بالأمر بالقراءة قال تعالى :
❽⚐︎♐︎✏︎♐︎✂︎ ⌧⌨︎⚐︎■◘◆❻ ⇗⚐︎⬄♐︎♐︎⚐︎◘ ▫︎🕮︎◆❷⬂♐︎✂︎
⇧♊︎⚐︎✌︎⌘♊︎⏲︎✿❍⬧⬧♐︎✂︎ ♦◘■◘⌧❀ ⬀⬄⬉ ♦◘■◘⌧❀
⌧⌨︎♐︎◘◆❻◆❒ ▫︎🕮︎◆❷⬂♐︎✂︎ ⬀✗⬉ ♐︎◘■◘♦⬉
⌘⚐︎✵◘♦⬂ ❽⚐︎♐︎✏︎♐︎✂︎ ⬀⬉ ⬉⚐︎♦❷⬂☛︎☞︎❀♐︎✂︎
⌘♊︎⏲︎✿❍⬧⬧♐︎✂︎ ⌘⚐︎✵◘♦⬂ ⬀♐︎⬉ ⇗⚐︎■◘⬥◑⬂♒︎♐︎♐︎⚐︎◘
✌︎◆♐︎ ♒︎⬥⚐︎⬄ ③◆➔⬁☹︎⬥☹︎⬁ ⬉⚐︎⬀ ⬁[2] ، كما ترددت في الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية إشارات توجه المسلم إلى أفضلية وأهمية العلم وصاحبه واعتباره أمرا شرعيا،كما يتأكد دور التعليم كأهم وسيلة للمعرفة الدينية الصحيحة من خلال السيرة النبوية في إقامة الرسول (ص) عند بداية دعوته لحلقة تعليم بدار الأرقم.

من هذه الاعتبارات وبناء على الواقع الجزائري راهنت جمعية العلماء على نجاح مشروعها النهضوي باعتمادها التعليم أساسا له .

[1] – سورة البقرة :الآية 116.
[2] – سورة العلق .

كما كان التعليم الإصلاحي يحمل من خلال مضمونه ومناهجه ثورة قومية هدفها التحريـــر الثقافي والوجداني من الاستعمار،ومن ثم تم التركيز على تعليم اللغة العربية وذلك لارتباطها الوثيق بالدين الإسلامي ،فاللغة العربية في نظرهم تتجاوز كونها لغة تواصل بين الناس إلى أنها لغة الدين الذي لا يمكن أن تقام شعائره إلا بها كالصلاة أو قراءة القرآن تلاوة وفهما وتفسيرا وغير ذلك ،فالدين واللغة في أدبيات الجمعية شيئان متلازمان .

من هذه الاعتبارات تأتي القداسة الدينية لهذه اللغة وهذا ما يعبر عنه الشيخ مبارك الميلي بقوله : ((كل من ابتعد عن اللغة العربية يبتعد عن عبادة الله وكل من ابتعد عن عبادة الله فسوف يذوق أشد العذاب والنكال)) [1] ، ومن هذا يأتي الوجوب الشرعي لتعلمها وممارستها حتى أنها تتقـــدم اللغات المحلية للشعوب غير العربية في حبها وتعلمها ودراستها .

كما أن جهل المسلمين للغة العربية أدى بهم إلى جهلهم ما جاء في كتب دينهم وبذلك فـــان نهضتهم الدينية لا تتم إلا بنهضة هذه اللغة.

أما الاعتبار الأخر فهو اعتبارها مكونا أساسيا للشخصية والهوية الجزائرية ومحـــدد لمعالمهـــا الوطنيـــــة وتنمـــــي الـــــروح النضـــــالية ضـــــد مشـــــاريع الإدمـــــاج والفرنســـــة . بالإضافة إلى اعتماد الجمعية كتب خاصة بها للثورة على المفاهيم والسياسة التعليميـــة الفرنســـية المشوهة لحقائق التاريخ والجغرافيا الوطنية الهادفة إلى استعمار عقل وفكـــر ووجـــدان الجزائـــري ،وبذلك بذلت جهود كثيرة هادفة ومنظمة توجت بتأليفات للتاريخ الـــوطني وكانـــت تعتمـــد كمقررات دراسية في مدارسها مثل كتاب الجزائر لأحمد توفيق المدني الذي ظهر ســـنة 1930م ،وكتاب تاريخ الجزائر القديم والحديث للشيخ مبارك الميلي الذي ظهر في جزأين الجزء الأول سنة 1929م والثاني سنة 1932م وتاريخ الجزائر العام لعبد الرحمان الجيلالي[2].

فضلا عن هذا ولان الحركة الإصلاحية كانت ذات جوهر ديني فان نشاطاتها التعليميـــة كانـــت كلها منذورة لقضايا الدين ،فكانت تقدم دروسا أخـــلاقية وشرعية لأحياء الدين في النفوس و تصحيح ما علق به من شوائب، وبالنظر إلى العدد الهائل للمواد الدينية المقررة للدراسة تظهر لنا المكانة الهامة التي أولتـــها الحركـــة لتعزيـــز الثقافـــة الدينيـــة لـــدي الجمـــاهير المســـلمة *.

[1] – مبارك ،الميلي :الشهاب، سبتمبر 1936.

[2] – رابح ، تركي :التعليم القومي والشخصية الجزائرية 1931-1956م(دراسة تربوية للشخصية الجزائرية) ،ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر1981، ص ص 335،334.

* – شملت المواد الدينية على التفسير القرآن وتجويده والحديث النبوي الشريف والفقه والعقيدة والآداب والأخلاق الإسلامية ، رابح، تركي :التعليم القومي والشخصية الوطنية ، مرجع نفسه ،ص ص 331، 332.

كما نظرت الحركة الإصلاحية إلى التعليم كوسيلة للتنوير وهو سلاح فعال لتحقيق أهـــدافها في الإصلاح فكثير من الاعتقادات الفاسدة التي ترسخت في فترة هيمنة المرابطية بسب الساذجات لا تحتاج إلى سجال ونقاشات بقدر ما تحتاج إلى تنوير لعقول الجماهير الذين ســوف يفنـــدونها ببساطة ،وبذلك يكون الرهان في المستقبل في الصراع بين الاعتقادات الطرقيـــة الفاســـدة الـــتي عششت في ظروف سيادة الجهل وسذاجة العقول إلى صالح الاعتقادات الإصلاحية المبنيـــة علـــى العقل المتنور بفضل التعليم .

كما تميز التعليم الإصلاحي بالتنظيم العصري للعملية التعليمية من حيث طرائق التـــدريس وتحديث المضامين و المناهج، وإقامة دورات تكوينية للمعلمين ولجان مراقبة المناهج وتنظيم التفتيش ،كل هذا ضمن استمرار المسعى التعليمي لخدمة حاجات الواقع الجزائري.

فاستطاعت بعد أن كانت تعتمد كليا على كتب ومقررات من بلدان مشرق العربي إلى إصـــدار كتب من إعداد وتأليف كبار علمائها ،كما سايرت مرامي وسياساتها التعليمية الانتقال الثقـــافي للواقع الجزائري، فمن هدف محاربة الجهل ونشر التعليم القاعدي والوصول به إلى كل أبنـــاء الجزائر في البداية ، إلى هدف تنوير العقول و إيقاض الهمم مواصلة إلى تحرير العقل والفكـــر والوجدان من الاستعمار من خلال زرع الأخلاق الإسلامية وإحياء الشعائر الدينية وبعـــث التراث العربي والإسلامي [1]، ثم إلى إرسال البعثات العلمية إلى الجامعات الإسلامية الكبيرة .

ب–التعليم المدرسي :

سبقت النشاطات الإصلاحية المختلفة في الأوراس نشاط التعليم المدرسي ،ذلـــك أن أول مدرسة تأسست في المنطقة كانت عام 1937م ، ولعل هذا يعود إلى الحضور التنظيمي المتـــأخر لجمعية العلماء في المنطقة، إذ تأسست أول شعبة إصلاحية في الأوراس في سنة 1937م، وكمـــا جرت العادة أن تشرف هذه الجمعيات المحلية التابعة للعلماء على الإنشاء المدرسي .

بعد ميلاد الشعبة الأوراسية افتتحت أول مدرسة ببلدية باتنة وكانت فرع من مدرســـة التربيـــة والتعليم بقسنطينة ،كان مقرها دار شرفة بلقاسم الذي عرف بوطنيته ووجدانه العربي الإســـلامي وكان من أشهر أنصار الحركة الإصلاحية الذين عضدوها ماديا ومعنويا[2] ،بينما يـــذهب محمـــد حسن فضلاء أحد المعلمين الأوائل بهذه المدرسة ،إلى أن المدرسة كانت دار مستأجرة تتميـــز

---

[1] - MOSTFA; HADAD: L'emergence de L'algerie moderne lecostontine léste algerien entre les deux guerres 1919-1939 , Tome **I**, 1ere édition, i guerfi, patna, 2001, P207.

[2] – مقابلة شخصية مع السيد علي أوجيت باتنة يوم 26 –08–2009 .

باتساعها وموقعها الذي يشرف على أكبر شارع بالمدينة ويدعى "جينوال فيـديرت" وتظم ثلاث أقسام [1].

أشرف على تسيرها والتعليم فيها عند افتتاحها الأول الشـيخان عمـر دردور ومحمـد الغسيري واستقبلت قرابة مائة (100) تلميذ وفي الموسم المـوالي (1937-1938) ارتفـع عدد المتمدرسين فيها إلى 150 تلميذا، وقد وفد إليها المعلم محمد حسن فضلاء خلفا للشيخ الغسـيري الـذي رجـع إلى الجـامع الأخضـر طلبنـا مـن الشـيخ ابـن بـاديس [2]. شهدت هذه المدرسة تطورا من حيث عدد المتمدرسين من سنة إلى أخرى وقد أشرف عليهـا خلال مسيرتها ألمع معلمي الحركة الإصلاحية [3] ،ومثلت هذه المدرسة بذلك نوات التعلـيم المدرسي بالمنطقة.

وبفعل حماس منشطي الحركة الاصطلاحية بالأوراس انبثقت عن الشعبة الأوراسية جمعيـات محلية في أغلب قرى الأوراس تكفلت بإنشاء وافتتاح المدارس الحرة ، فلقد جاء في أحد التقارير الفرنسية ما يلي ((..خلال بضعة أشهر... تشكلت جمعيات ثقافية وإسلامية تهدف إلى جمـع الأموال لبناء المدارس حيث يتلقى الكبار والصغار المعارف الضرورية.)) [4] ،هذا التقرير يؤكـد دور الجمعيات المحلية في المساهمة في إنشاء المدارس التي تميزت بانتشارها الواسع والسـريع إذ أصبحت لا تكاد قرية أو دشرة في الأوراس تخلو من مدرسة حرة من انجاز جمعية العلماء ، وتم هذا من خلال قيام الجمعيات المحلية بجمع الأموال من اشتراكات أعضائها وتبرعات أنصـار الإصلاح من الميسورين والتجار ، فضلا عن قيام هذه الجمعيات على السهر علـى تنظـيم ومتابعة نشاط هذه المدارس وتعين المعلمين فيها [5].

هذا الانتشار الواسع والسريع لفت أنظار إدارة المنطقة ودفعها إلى محاولة البحث عـن أسبابه وتداعياته ، فقد ورد في نفس تقرير الحاكم الإداري ما يلي: ((ويبدو من الضـروري في هذا النص الإشارة إلى شي ذو معني مختلف سجل لصالح الحركة الإصلاحية وهي الرغبـة في التعليم لدى ((الشاوية)) بالأوراس وإن الجهود المبذولة من طرف ممثلي جمعية العلماء لإنشـاء

[1] – محمد حسن، فضلاء :المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر في الجزائر (القطاع القسنطيني) ، ج1،شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر ،ط1، 1999 ،ص93 .
[2] – المرجع نفسه والصفحة .
[3] –انظر الملحق رقم 9، ص ص203–204.
[4] – تقرير حاكم أريس تحت عنوان :((مرحلة جديدة من التاريخ المضطرب للأوراس 1938)) ،أرشيف اكس اون بروفنس 7617 | G69 .
[5] – أحمد الخطيب :المرجع السابق ، ص199.

المدارس قد تكاثفت ليس فقط لدى أنصارهم ، بل كذلك لدى التقليد ،فهذا أفق تقدم لا يمكن إنكار أهميته ، ويبدو من الأكيد أن تطور التعليم في الأوراس وفي باقي الجزائر يشكل تهديدا حقيقيا للمحافظين البربريين في حالة اعتبار أن هؤلاء مثالا للركود والجهل في غالب الأحيان .))[1] ، يعترف التقرير بالإقبال الهائل للجماهير الأوراسية على المدارس الإصلاحية ويرجع هذا إلى نمو الرغبة لديهم في التعليم العربي الذي حرموا منه طول فترة الاحتلال ، وتعود هذه الرغبة بدورها إلى استفاقة وصحوة هذه الجماهير بأهمية التعليم ووعيهم بحاجة أبنائهم إليه، وأيضا توافق هذه الرغبة مع حماس وطموح الإصلاحيين في إيصال تعليمهم إلى كل أبناء جلدتهم .

كما نضيف أيضا قدرة المنطقة على تجاوز الصعوبات المادية التي عرفتها كثير من مناطق الوطن ومثلت لهم أكبر عائق أمام إنشائهم المدارس ، فاستطاعت اشتراكات أعضاء الجمعيات المحلية وتبرعات المحسنين وعلى رأسهم أنصار الحركة الإصلاحية من تجار المنطقة أن تلبي مصاريف المدارس وأجور المعلمين ،كما أن تجهيزات المدارس كانت غير مكلفة فأغلبها كانت عبارة عن سكن ريفي تحول غرفه إلى حجرات دراسة[2] .

أما الحاجة إلى الإطارات التربوية والمعلمين ،فإن المنطقة استطاعت أن تغطي حاجتها من أبنائها العائدين من قسنطينة ،والذين كان يزداد عددهم عبر السنوات ملبين بذلك الطلب المتزايد عليهم .

والجدير بالذكر فإن هذه المدارس الإصلاحية بالمنطقة كان معظمها يقدم تعليما ابتدائيا كما كان التعليم فيها مختلطا بين الجنسين (البنين والبنات)- على الرغم من الإشكالية الدينية للاختلاط – وقد يعود هذا إلى قلة إمكانيات إنشاء المدارس المتخصصة حسب الجنس وارتفاع تكلفت تسييرها ،إضافة إلى قلة عدد المتمدرسات مما لا يستدعي إنشاء أفواج أو مدرسة مستقلة، بسبب رواسب الثقافة والأعراف الشعبية التي مازالت تقلل من أهمية تعليم المرأة،رغم جهود الدعاية الإصلاحية لتصحيح هذه الأفكار السلبية [3].

[1] – تقرير حاكم اريس ،المصدر السابق .

[2] – مقابلة شخصية مع السيد عمار ملاح باتنة يوم 2008/05/17.

[3] –Amar helal: Le Mouvment Reformiste Algerien (les hommes et l'histoire)1831-1957, office des puplication universitaires Algeria ,2009, p143.

كما يكون قد نظر الإصلاحيون إلى أن سن المتمدرسين في هذه المرحلة مازال لا يطرح بإلحاح إشكالية الاختلاط بين الجنسين ، وقد تكون كل هذه الأسباب مجتمعة لم تشجع الإصلاحيين على إنشاء أفواج أو مدارس مستقلة بين الجنسين في المنطقة .

وكانت هذه المدارس تمنع من استقبال التلاميذ في أوقات عمل المدارس الفرنسية ،مما فرض على جمعية العلماء تنظيم استقبال التلاميذ وفق التوقيت التالي :

من الساعة 06:45 إلى 07:30 للفترة الصباحية

ومن الساعة 17:00 إلى 19:00للفترة المسائية [1].

هذا التوقيت غير المناسب صعب من عملية التحاق التلاميذ بهذه المدارس مما جعل الاستيعاب والتحصيل يتضاءلان ،بالإضافة إلى عدم كفاية ساعات الدراسة لأستفاء المقررات الدراسية حسب المنهاج الذي وضعته جمعية العلماء .

إن النجاحات السريعة للإصلاحيين في المجال التعليمي لم تمر دون مضايقات إدارية، ولعلنا إذ عدنا للنظر في التقرير السابق نلمس التخوف الذي بدا على المراقبين الإداريين ،لذلك بدأت الإدارة المحلية في وضع العراقيل ومتابعة المنشطين الإصلاحيين ، ففي أكتوبر 1937م رفع حاكم أريس " ميسكتللي"* المعروف بنزعته العدائية للأهالي ،شكوى ضد الشيخ عمر دردور –معتمد جمعية العلماء في الأوراس والمعروف بحرقته وإخلاصه للإصلاح – بتهمة التشويش وإثارة التمرد في المنطقة والتي على إثرها أودع السجن [2] مما شكل تحديا حقيقيا للتعليم الإصلاحي الذي مازال يعد فتيا حتى هذه اللحظة في المنطقة .

كما تعرضت أغلب مكاتب الجمعيات المحلية للاضطهاد لثنيها على الاستمرار في تقدمها في نشر التعليم ،مثل ما شهد ذلك مكتب الجمعية بغوفي.

كما استعملت أيضا المراسيم والقرارات التي صدرت على المستوى الوطني ضد التعليم الإصلاحي، كمذكرة ميشال (مارس 1933م) الذي يقضي بمراقبة النشاط الإصلاحي وعلى رأسه التعليم، وقرار شوطان (مارس 1938م) الذي يقضي هو الآخر بغلق المدارس العربية الحرة

---

[1] – المقابلة السابقة مع السيد عمار ملاح .

* - ليون ميسكتللي :الحاكم الإداري لأريس (1933-1939) تميز بنزعته العدائية للأهالي المسلمين وبسياسته القمعية والتفرقة بين العروش ،كما خاض حربا ضد الإصلاح ورجاله .

[2] – انظر خطاب الرئيس في الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، البصائر، العدد 134، السنة الثالثة ،الجمعة 07اكتوبر 1938.

غير المرخصة ومنع المعلمين من مزاولة التعليم إلا برخصة [1]، وكانت هذه الرخص من الصعوبة في شروطها ما يعجز عن تحقيقها .

إن التطبيق الصارم الإداريين المحليين لهذه القرارات أدى إلى تعرض العديد مـــن المـــدارس إلى التهديد بالغلق وتعرض معلميها إلى محاكمات وغرامات مالية وتوقيف عن التعليم فمـــثلا :رفـــع حاكم عين التوتة شكوى ضد المعلم الإصلاحي "لهباري" بتهمة تدريسه بدون رخصـــة وفتحـــه لمدرسة قرآنية غير مرخص لها[2] ،كما تعرض الشيخ وحيد واحدي ورفقاءه وتلاميـــذه بمدرســـة مشونش للمضايقات المستمرة وغلقت مدرسة كيمل وفرضت الإقامة الجبرية على معلمها أحمـــد السرحاني وتعرضت مدرسة بوحمامة لنفس المصير [3].

هذه المضايقات وإن كانت قاسية ولها أثرها السلبي على تقدم التعليم العربي ،إلا أنها لم تـــثني عزيمة ناشطي الإصلاح ، الذين حاولوا التهرب منها وتحديها ، ويظهر هذا في العديد من الحالات كعودة الشيخ عمر دردور إلى النضال الإصلاحي وبنفس الحماس والحرقة بعد خروجه من السجن ،وأيضا صبر الشيخ لهباري على متاعب المحاكمات وإصراره حتى عودة مدرسته للعمل[4] ،وقيـــام أحمد السرحاني بنقل مدرسته من كيمل إلى الولجة بخنشلة .

وأيضا ما يسجل لصالح الحركة الإصلاحية بالمنطقة مساهمتها بالدفع لتوسيع التعليم وتحديثه هذه المرة في جيهات غير تابعة لها ، فقامت زوايا المنطقة بإحياء مدارسها وكتاتيبـــها وتبنـــت في تعليمها المعيار الإصلاحي[5] وهذا ما يؤكده الشيخ الغسيري في تقريره فيقول:((...أما الكتاتيـــب القرآنية ففي غالب القرى موجودة ،وهي اليوم تسعى في تحسينها على النظام العصري ...))[6]،بل وصل الأمر إلى بعضها إلى تبعية مدارسها إلى الحركة الإصلاحية أو توظيف معلمين إصـــلاحيين بها[7].

---

[1] – أبو القاسم ، سعد الله :الحركة الوطنية (1930–1945)، ج3،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ،معهد البحوث والدراسات العربية،ط1،القاهرة مصر ، 1975،ص ص21،20.

[2] – Mostfa Haddad: : op ,cit ,p 206

[3] – مقابلة شخصية مع السيد أحمد شرفي الرفاعي ، قسنطينة الدقسي 2009/08/30.

[4] – Mostfa Haddad: : op ,cit, p 207 .

[5] – علي، مراد :الحركة الإصلاحية مرجع سابق، ص 414.

[6] – تقرير الغسيري حول سير الإصلاح بالأوراس 1938 ،أرشيف ولاية قسنطينة .

[7] – كمال ، فيلا لي : الحراك السوسيوتاريخي للفاعلين وتطور مفهوم النخب في تاريخ الجزائر الحديث ،مجلة الهجرة والرحلة ، جامعة منتوري قسنطينة ،العدد الأول ، أفريل 2005 ، ص14 .

وفي الإطار نفسه برزت مدارس عربية حرة من إنشاء حركة الانتصار والحريات والتي تواصل عملها وانتشاؤها أثناء الثورة[1] ، هذه المدارس لا نستطيع التفريق بينها وبين المدارس الإصلاحية ،لأنها تؤخذ بنفس المنهاج والمضمون والموضوع في المثال التربوي الإصلاحي .

والحق أن نجاحات الحركة الإصلاحية لم تتوقف في التوسع من حيث عدد المدارس بل استطاعت التقدم نحو إنشاء مدارس ذات مستويات تعليمية أعلى ،فاستطاعت إنشاء مدارس للتعليم الإكمالي بالمنطقة ،كمدرسة مشونش وبسكرة ومدرسة النشء الجديد ، هذه الأخيرة جدير التوقف معها لأنها مثلت أنموذجا ناجحا للتعليم الإصلاحي بالمنطقة .

ج- مدرسة النشء الجديد :

كانت فكرة إنشاء هذه المدرسة في عقد الأربعينيات ،وبعد حصول الجمعية المحلية لجمعية العلماء على قطعة أرض ببلدية باتنة وأثناء زيارة الشيخ الإبراهيمي لباتنة سنة 1949 م دعا إلى بنائها [2]، وكما هو معروف على الشيخ الإبراهيمي أنه كان دائم الدعوة إلى أنشاء المدارس بمواد بناء مقاومة واعتماد المعايير الجمالية والوظيفية ذات البعد الإسلامي في هندسة عمارتها[3] ، ومن ثم ثم باشرت الجمعية المحلية مسؤولية التخطيط لإقامة هذه المدرسة بدءا بالحصول على ترخيص البناء من الإدارة إلى جمع الأموال من اشتراكات الأعضاء وسكان المنطقة وتبرعات المحسنين.

انتهت الأشغال بها عام 1954 وكانت تحوي على خمس حجرات ومكتب للإدارة ومكتب للجمعية إضافة إلى ثلاث سكنات للمعلمين[4].

وقد تم افتتاحها يوم 15سبتمبر 1954م حضرت هذا الافتتاح جموع غفيرة من أهالي الأوراس وأيضا آخرين وجهت لهم الدعوة من نواحي أخرى من الوطن . قام بتدشينها وفد من جمعية العلماء المتكون من :الشيخ محمد خير الدين والشيخ أحمد توفيق المدني والشيخ عبد اللطيف سلطاني والشيخ محمد العيد آل خليفة ، إضافة إلى وفد الجمعية المحلية والذين سهروا على تنظيم حفل الافتتاح ومن بينهم الشيخ الطاهر مسعودان الحركاتي إمام مسجد باتنة والشيخ أحمد السعود.

---

[1] – العربي، دحو :المرجع السابق ، ص176.
[2] – مقابلة السابقة مع السيد علي أوجيت ، باتنة يوم 2009/07/26
[3] – انظر كلمة الشيخ الإبراهيمي لسكان بسكرة أثناء دعوته إلى بناء مدرسة التربية والتعليم ببسكرة أرجع إلى محمد حسن فضلاء المرجع السابق ، ص105.
[4] – المرجع نفسه ، ص99.

توالت في حفل الافتتاح كلمات عن الوفود الحاضرة ،فبعد تلاوة آيات من القرآن الكريم ،تقدم الشيخ الطاهر الحركاتي ممثلا عن الجمعية المحلية بإلقاء كلمة مشيدا فيها بالانجاز ،ثم استلم الكلمة عنه الشيخ خير الدين باسم جمعية العلماء مذكرا بأهداف جمعية العلماء في مدارسها ثم تكلم بعده الأستاذ توفيق المدني ،كما ألقى الشيخ محمد العيد آل خليفة قصيدة مطولة بهذه المناسبة جاء فيها :

حثثنا نحو باتنة المطايا وجئناها نزف لها التحايا
وتهدينا تهاني طيبات تنم على عواطفها شذايا
بنيت لنشئك الميمون حصنا يقيه الزاحفات من الدنايا
وكيف يموت شعب عبقري به الفتيان تنبغ مع الفتايا [1]

أطر ودرس بهذه المدرسة ثلة من الإصلاحيين أصحاب مستوى علمي عال انعكس على المستوى العام لتلاميذ المدرسة وأهمهم :أحمد السعودي مديرا (1954 إلى 1956)ثم خلفه أحمد بن ذياب إلى الاستقلال .

المعلمون : قرفي عبد الله – قرفي مبارك – أحمد فروج – علي طيار – سعيد رزقين – محمد بن عيسى – عبد الله بن زعيم – عبد الله حمودة ...

كما درست بها معلمات :سليكة بن الدراجي – زبيدة عبد الصمد – زهرة بوعرعار – ليلى بن ذياب.

يظهر سجل تلاميذ مدرسة النشء الجديد إلى استقبالها في الموسم الأول لافتتاحها (1954-1955) ،575 تلميذ[2]،هذا العدد المرتفع يؤكد تزايد الرغبة في التعليم لدى الأوراسيين وثقتهم وتعلقهم في التعليم الإصلاحي.

وتطور هذا العدد أيضا في الموسم الثاني لها (1955-1956) ليصل عددهم إلى 799 تلميذ[3] ، هذه الوتيرة في زيادة عدد المتمدرسين بها شهدتها أيضا في المواسم التالية .

كما نسجل من خلال قراءتنا لقوائم سجل التلاميذ ،ارتفاع عدد المتمدرسات[4]، ولعل هذا يعود إلى تغير الذهنية الأوراسية بشأن تعليم المرأة، وهذا قد يرجع الفضل فيه إلى نجاح الدعاية

[1] – البصائر ، السنة الثانية ، العدد 286 ، سبتمبر 1954.
[2] – أرشيف سجل تلاميذ مدرسة النشء الجديد الموجود بابتدائية الأمير عبد القادر حاليا باتنة .
[3] – المصدر نفسه .
[4] – انظر المصدر نفسه.

الإصلاحية بالوسط الأوراسي ،وعامل ثقافة التحديث التي فرضتها قوة الواقع والمشاهدة العينيـــة لنماذج نسوية حققن النجاح من خلال المدرسة ولعل خير مثال معلمات هذه المدرسة .

وأيضا نضيف حسب سجل هذه المدرسة استقبالها إلى تلاميذ من مختلف المناطق[1]، مما يدل على أن هذه المدرسة كانت لها سمعة حسنة من حيث مستواها التعليمي الذي كان نتيجـــة مســـتوى معلميها ، كما كانت هذه المدرسة ترسل العديد من طلبتها لاستكمال دراستهم في قسنطينة ، ومنهم من أراد التعمق أكثر بمواصلة الدراسة في الجامعات العربية ضمن البعثات العلمية التي كانت تشرف عليها جمعية العلماء .

تعليم حمودة بن الساعي :

محمد حمودة بن الساعي نشاء في أسرة متدينة تنحدر من زاوية عريقة ومعروفـــة ترجـــع في أصلها إلى النمامشة ، بدأ تعليمه الأول على يد الشيخ زيداني وأبيه اللذان ساهما في حفظه للقرآن وأحسنوا توجيهه ،كما سمحت له إقامته بباتنة المدينة الاستيطانية من الدخول إلى المدرسة الفرنسية التي نمت وصقلت قدراته وخاصة بفضل معلميه الذين حضوه بعناية كبيرة لما قـــدروه فيـــه مـــن مواهب وقدرات خاصة [2]،وبعد إنهاء مرحلتها الدراسية انتقل إلى المدرسة الفرنسية العربية الكتانية بقسنطينة .

وبالمدينة قسنطينة ذات الفضاءات الثقافية المتنوعة استطاع أن ينمـــي ثقافتـــه المزدوجـــة الفرنسية والعربية الإسلامية، الثقافة الفرنسية عن طريق دروس الثانوية ومطالعته العميقة التي كان تأتي من توجيهات أساتذته [3]، وأما الثقافة العربية الإسلامية فإن نشأته العائلية وتوجيهات أبيـــه الدينية قد رسمت ميوله الفكري الذي بقي يستدعي منه مداومة البحث والمطالعة في الشأن الديني الإسلامي وقد توافقت الظروف لمحمود بن الساعي أن تتزامن سنوات دراسته مع ثورة ابن باديس التعليمية بالجامع الأخضر واختراق أفكاره كل المؤسسات التعليمية والثقافية بالمدينة ، وبوصـــولها إلى حمودة بن الساعي وجد فيها ضالته ومن ثم اتصل مباشرة بدروس الشيخ ابن بـــاديس فكـــان كلما فرغ من دروسه بالثانوية الفرنسية قصد الجامع الأخضر للأخذ عن الشيخ[4] ،ثم تطور العلاقة

---

[1]- المصدر نفسه.

[2] – المقابلة السابقة مع السيد علي أوجيت .

[3] – مالك،بن نبي : مذكرات شاهد للقرن ، المرجع السابق ، ص65.

[4] – مقابلة شخصية مع السيد محمد نذير السبع :باتنة يوم 2009/08/24.

بين حمودة بن الساعي والشيخ ابن باديس إلى الزيارات الخاصة بمكتبه بإدارة الشهاب ليسأله عن الدين (الفقه والتفسير والحديث)[1] .

من خلال هذه الدروس عرف حمودة بن الساعي الفكرة الإصلاحية التي توافقت مع توجهاته الرافضة للتقليد ،كما أعجب بالأفكار التي كان يقدمها الشيخ ابن باديس وكيفية علاجه التي توافقت كثيرا مع منهجيته وتوجيهاته الفكرية فراء فيه العالم المسلم الذي يناسب المرحلة التي تعيشها الأمة[2] .

استطاع انتماءه إلى مدرستين مختلفتين أن تنتج حمودة بن الساعي المثقف والمصلح والسلفي العصري ،فكان مزود بقوة عقلية وعمق في التفكير وأدوات منهجية من خلالها يستنبط من الآيات القرآنية أحكاما وأراء ويعالج من خلالها قضايا ومشاكل الوطن والعالم الإسلامي. كان له اهتمام بالعلوم الحديثة ويرى أنه لا تناقض بين صريح المعقول وصريح المنقول، ففي نظره الفكر الإسلامي وتراثه يمكن أن يستوعب العلوم الحديثة، فالمزاوجة بين الفكر الحديث والدين والتوافق بينهما لدى النخبة الإصلاحية التي أطلعت على الفكر والثقافة الفرنسية قد ردت على النظرة العلمانية التي شاعت عند كثير من المتغربين الذين يرون أن هناك تعارض وتناقص بين المحتوى الديني والعلم.

كان يحترم أهل العلم و يعترف بهم مهما كانت وجهتهم الفكرية وتأثر بالكثير من مفكري الغرب وربط صدقات مع آخرين الذين تميزوا بالاعتدال و بنزعتهم الإنسانية أمثال" أناتول فرنس" وهو أديب مشهور ارتبط بصداقة قوية ومتينة مع حمودة بن الساعي، وأيضا كان معجبا بالأديبة "أندري جيد" وأيضا " ازبيل ابرهارد" التي عاشت بوادي سوف وزارت باتنة ،وقام بالكتابة عليها[3].

كما تأثر بالمفكرين والأدباء وشخصيات النهضة العربية الأدبية والفكرية والسياسية مثل محمد رشيد رضا ومحمد عبده ومحمد السعيد العريان وحافظ إبراهيم وأحمد شوقي وزكي مبارك وسعد زغلول ...،الذي كان يطلع على أفكارهم من خلال مؤلفاتهم مثل رسالة التوحيد لمحمد عبده وأم القرى للكواكبي والإفلاس المعنوي للسياسة الغربية في الشرق لأحمد رضا أو المجلات والدوريات التي تصدر بها مقالتهم مثل التزامه بقراءة مجلة وحي الرسالة للزيات ،وتأثر أيضا

[1] – نذير ،طيار :شاهد القرن من سقوط أم الحواضر إلى علم سقوط الحضارات ، كتاب قيد الطبع ، ص 150.
[2] – مقابلة شخصية مع الشيخ عبد الرحمان شيبان ، حسين داي ،الجزائر العاصمة 2008/06/12.
[3] – مقابلة شخصية مع السيد علي بن بلقاسم باتنة 2008/50/3.

بكتابات التراث الإسلامي مثل إحياء علوم الدين للإمام أبوحامد الغزالي[1] والتي كانت موضـــوع رسالته في باريس، كما كانت له زملاء مع جيله مثل تلميذه مالك بن نبي وأخيـــه صـــالح بـــن الساعي والطبيب عبد العزيز خالدي، نال تقدير كثير من الذين عرفوه ســـوء مـــن الغـــربيين أو الجزائريين أو العرب.

عرفت حياته انعطافا كبيرا بعد قيام أستاذه المستشرق " لـــويس ماســـينيون" بإخفـــاء أطروحته الذي كان مشرفا عليه فيها ، فحال دون مناقشتها مما أثرت على نفسيته [2]،ولعل دواعي "ماسينيون" وراء هذا العمل يعود إلى إدراكه خطورة محتواها على الفكر الاستعماري وتعارضها مع أهدافه الإستشراقية، ويؤكد الأستاذ مالك بن نبي في كتابيه " مذكراته شاهد للقرن " وأيضا "العفن" على أن "لويس ماسينيون " كان دائم المضايقة والإزعاج لأصحاب الفكرة الإصـــلاحية والوطنية من الطلبة المسلمين .

إن المعرفة العميقة بلا شك التي كان يمتلكها " لويس ماسينيون" بشأن قـــدرات تلميـــذه محمود بن الساعي وخطورة أفكاره على المصلحة الاستعمارية ،خاصة لما أظهـــره حمـــودة مـــن معارضه له في فكرته الاستشراقية التي تدعوا إلى الطرقية الصوفية، كما أن الدور السياسي الـــذي كان يلعبه ماسينيون من خلال منصبه العلمي ومكانته العلمية وهي توليه منصب مستشار الدوائر الإدارية المتعلقة بالثقافة والإدارة والتي تسهر على توجيه الثقافة في البلاد العربية وصناعة النخـــب الموالية للثقافة الاستعمارية .

وبحكم عناد حمودة بن الساعي وتعارض توجهاته مع الأهداف الاستعمارية وأيضـــا مـــا أظهره من خلال نشاطاته المعادية للاستعمار من خلال محاضراته التي كان يلقيها في باريس، وأيضا تكوينه لجمعية الوحدة العربية وجمعية لمناصرة فلسطين ، هذا التوجه كان يتعارض مـــع أهـــداف مؤسسة ماسينيون التي كانت تهدف إلى إظهار نخب من العلم الإســـلامي لهـــا تـــأثير غـــربي[3] . بعد فشله في استرجاع رسالته عاد مكسور الجناح إلى الوطن مكان إقامته باتنة قام بدور إصلاحي تمثل في التعليم لأنه كان يرى أن الإصلاح لا يتم إلا عن طريق التعليم .

[1] – مقابلة السابقة مع السيد علي أوجيت و مالك ، بن نبي :مذكرات شاهد للقرن ،المصدر السابق ،ص66.
[2] – المقابلة نفسها.
[3] - المقابلتين السابقتين مع كل من السادة محمد نذير السبع وعلي أوجيت وعلي بن بلقاسم .

له دور كبير في التعليم من خلال المحادثات والحوارات على طريقة سقراط ،كانت تــتم جلساته التعليمية مع تلاميذه في المقاهي والحدائق وهامش المدينة [1]،لعله لجاء إلى هذا الأســلوب لشعوره بالإقصاء والتهميش المقصودين من الإدارة والمتابعة الاســتعمارية الــتي لم تســمح لــه بالتدريس، ولعل هذا يدل أيضا على مدى خطــورة أفكــاره علــى الفكــرة الاســتعمارية. لم يعتمد برنامجا محددا لكن اطلاعه الواسع ومنهجيته العلمية التي كان يمتلكها منذ كان طالبــا في الثانوية الفرنسية بقسنطينة مثل ما أكده تلميذه وزميله مالك بن نبي الذي قال عنه :((علمــني الولوج إلى روح القرآن أحسن من أن يفعل شيخ الأزهر ذلك.))[2] ،كما أيضا أظهــر اعتــراف الأستاذ مالك بن نبي بأستاذية حمودة بن الساعي له عند نشره كتــاب الظــاهرة القرآنيــة في الإهداء، الإهداء إلى أستاذي حمودة بن الساعي، ولكن في الطبعة الثانية طلب حمودة بن الســاعي نزعها [3].

كان طلبته ممن تعرفوا عليه في قسنطينة أو من حفظة القرآن الذين وجدوا في دروسه روح ومعاني لم يجدوها في التعليم التقليدي ،ويذهب السيد علي أوجيت إلى أن أغلــب طلبتــه قــد التحقوا بالثورة، مما يدل على نجاحه في غرس الروح الثورية التي كان يمتلكها لدى مســتمعيه ، كما يعود له الفضل في توجيه العديد من الشخصيات الجزائرية التي تعرفت عليه في الجزائر أثنــاء دراسته الثانوية مثل" فضلي" و" قاواو" بالإضافة إلى عدد هائل من الذين عاصروه في قســنطينة وأيضا ممن عرفوه أثناء تنقلاته العديدة بين باتنة وقسنطينة والعاصمة التي كان يقوم بها في إطــار اتصالاته بالشخصيات والقيادات الإصلاحية ونشاطاته من خلال المحاضرات التي كان ينشطها في نواديها مثل تلك التي قدمها في نادي الترقي بعنوان "سراب السياسة والدعوة إلى هداية القــرآن " وأيضا تلك التي كان يقدمها في نوادي قسنطينة والتي عرف من خلالها، أو حتى أثنــاء دراســته بباريس ،ولعل أبرزهم أخيه صالح بن الساعي الذي ساهم في توجيهه نحو الفكرة الإصلاحية رغم تكوينه التقني إذ كان متخصصا في الزراعة الاستوائية إلا أنه دافع خلال رحلاته عــن الإســلام وقضايا العالم الإسلامي [4] .

---

[1] –المقابلة نفسها مع السيد علي أوجيت

[2] – مالك ، بن نبي :العفن ، ترجمة نور الدين خندودي ،دار الأمة ،ط1،الجزائر ،2007،ص98.

[3] – مالك ، بن نبي : مذكرات شاهد للقرن،المصدر السابق ،ص67.

[4] – صادق ،سلام: في ذكرى رحيل مناصر القضية الجزائرية د.صالح بن الساعي ،ترجمة محمد البشير مغلي ،جريدة النور، العدد 24، 1991 ،ص7. وجريدة رسالة الأطلس ،العدد 189، 18الى 24 ماي 2008، ص9.

وعموما كان حمودة يركز في عمله التربوي على التنشئة الإسلامية بروح عصرية للجماهير الأهلية لكي تتعامل وتتفاعل مع قضاياها بوعي أكثر.

د-التعليم المسجدي :

تقدم التعليم المسجدي النشاطات الإصلاحية الأخرى ،فالشيخ ابن باديس كانت بداية حركته التعليمية بالمسجد الأخضر ومسجد سيدي القموش ،وهذا أيضا ما عرف عند بواكير الإصلاحيين في الأوراس ، فكان المسجد بداية للتعليم الإصلاحي الذي كان يقدمه الشيخ بلقاسم الفرحي والشيخ الجموري والشيخ الجموعي مازوزي ...

وللأهمية البالغة للمسجد في الحياة الإسلامية سهرت الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء على إعادة إحياء أدواره التي تقلصت بفعل السياسة الاستعمارية ،كما عملت على إحداث ثورة في نظامه بنقله من الصورة التقليدية إلى صورة عصرية فيها يتم توسيع دوره من مكان للعبادة إلى مركز للتعليم[1] .

وحتى بعد افتتاح المدارس من طرف جمعية العلماء والتي أصبحت تمثل لها عماد حركتها التعليمية إلا أنها لم تغفل عن دور المسجد التعليمي ،لذلك كان الشيخ عبد الحميد بن باديس دائم الدعوة إلى التعليم المسجدي،ومما جاء في إحدى دعواته قوله : ((..إذا كانت المساجد معمورة بدروس العلم فان العامة التي ترتاد المساجد تكون من العلم على حظ وافر وتتكون فيها طبقة مثقفة الفكر صحيحة العقيدة ،بصيرة الدين ،فتتمكن هي في نفوسها ولا تهمل ،وقد عرفت العلم وذاقت حلاوته – تعلم أبناءها – وهكذا ينتشر العلم في الأمة ويكثر طلابه .))[2] ،هذه الدعوات تركت جمعية العلماء وجمعياتها المحلية تتبنى في أهدافها تشييد وبناء المساجد والإشراف على تسييرها على نحو يوجهها لخدمة التعليم للفئات التي تقصدها .

والحق أن الجمعيات المحلية لجمعية العلماء في الأوراس سهرت هي الأخرى على بناء وتشييد المساجد التي أنشأتها من تبرعات وجهود المواطنين ومعونات المحسنين ،كما أحيت المساجد القديمة التي زاد روادها من الكبار والصغار، وقد ساهم امتلاك الجمعية للمساجد في استقلالها عن الإدارة وتحرر رسالتها التي تتعارض مع السياسة الفرنسية[3].

1 – أنظر العربي ،التبسي :مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر ، القسم الثاني ،جمع وتعليق أحمد شرفي الرفاعي ،دار الشهاب للطباعة والنشر ،باتنة ،ط1، 1984 ،ص20 .

2 – ابن باديس : الشهاب ، ج11 ، م 6 ، ديسمبر 1930 ،ص692 .

3 – محفوظ ،قداش و أخرون :المرجع السابق ،ص246 .

والجدير بالذكر أن هذه الفترة قد عرفت بروز عدة مشايخ في منطقة الأوراس يمتلكون تكوينا ثقافيا وعلميا واسعين في العلوم الشرعية واللغوية ،وقد ساهم في مستواهم هذا تعلمهم على يد مشايخ تجاوز التعليم التقليدي، كما تزامنت ظروف تعليمهم مع الصحوة التعليمية والدينية التي عرفها العالم الإسلامي عموما والجزائر خصوصا وإذا كان منهم من درس بجامع الزيتونة وجامع الأزهر الشريف ، فإن أغلبهم كانوا طلبة للشيخ عبد الحميد بن باديس الذي كان بالإضافة إلى عمله على توجيههم العلمي يركز على توجيههم الإصلاحي للدفع بهم إلى جماهيرهم .

وناقلة القول أن أغلب مناطق الأوراس عرفت مساجدها نشاطا تعلمينا حظيي فيه الصغار بالتربية والتعليم واستدرك فيه الكبار المعرفة الدينية اللازمة في حياتهم ،بل إن بعض المساجد وبفضل مشائخها تحولت إلى معاهد صغيرة في منطقتها تشعها بالعلم والمعرفة.

ومن أجل تقريب واقع التعليم المسجدي بالمنطقة فقد وقع اختيارنا على أنموذج يمثل التعليم الإصلاحي قد تشابهت معه المساجد الأخرى بدرجات متفاوتة و المسجد الذي نقصده هو مسجد قرية ورقة الذي علم فيه الشيخ علي بن شكشوك مدور:

الشيخ علي بن لمبارك بن محمد بن بلقاسم ولد بورقة إحدى قرى الأوراس سنة 1890م، حفظ القرآن على يد مشايخ بلدته ثم اتصل بالشيخ بلقاسم الفرحي للأخذ عنه بجمورة الذي عرف بعلمه الغزير وتعليمه الإصلاحي، ثم انتقل إلى زاوية بن حمزة ببني فرح بعين زعطوط وبعدها إلى زاوية بن عزة بالحجاج باريس،ثم أنتقل إلى الجامع الأخضر بقسنطينة للأخذ من الشيخ ابن باديس فقد كان أكبر تلاميذه سنا وأنجبهم [1] .

إن تنقلاته هذه و اختلافه على العديد من مراكز العلم ليدل على شغفه الكبير للعلم ،كما أن تحمله متاعب التعليم والغربة في قسنطينة في سن متقدمة لإشارة على توجيهه الإصلاحي ووعيه بنوعية العلم الذي يجب أن يأخذه ،وهذا ليس غريبا على تلميذ أخذ تعليمه ذا طبيعة إصلاحية على يد شيخه بلقاسم الفرحي الذي يكون وجه تلاميذه قصدا إلى هذه الطبيعة . بعد إتمامه الدراسة بالجامع الخضر عاد إلى مسقط رأسه ورقة أين باشر العمل كإمام بمسجدها ثم انقطع للتدريس بمسجد زاوية بن عباس بمنعة ،إلا أنه عاد إلى المسجد الأول بورقة والذي سوف يقضي أكثر سنوات تدريسه به وبعودته هذه واستقراره بمنطقته لم ينقطع عن المد الإصلاحي الذي كان يصله من خلال جرائد الجمعية (البصائر والشهاب ...) وعبر مراسلاته

[1] – مقابلة شخصية مع السيد لخضر مدور حفيد الشيخ ورقة 2008/5/25 .

الدائمة لشيخه ابن باديس وأيضا زملائه في الجامع الأخضر وأنصار الإصلاح كالشيخ عبد اللطيف سلطاني[1].

أما عمله التعليمي بالمسجد فكان مستمعوه من فئتين : فئة العامة من كبار السن وفئة الطلبة من الشباب و صغار السن ،وكان يخص كل فئة بدروس حسب ما تحتاج إليه وحسب قدرتها ،وإن كان تركيزه على فئة الطلبة من حيث الحجم الساعي الكبير المخصص لها ونوعية الدروس ، وهذا لاعتبارها أكثر التزاما وانتظاما وبذلك أكثر فائدة كان يقدم دروسه في تحفيظ القرآن لفئة الصبية المبتدئين ودروسا في النحو والفقه والعقيدة والميراث وعلم التفسير وعلوم الحديث والمنطق ، وكان يعتمد في تحضير دروسه على المراجع التالية:

- سيدي خليل - سنن الإمام الحافظ - تفسير القران للخازن
- نحو الفئة ابن مالك - فن المنطق للباجوري - شرح الجوهري في التجويد
- شرح الأربعين النووية - المنظومة الفقهية لابن عاشر - الفتوحات [2]

كما تحتوى مكتبته التي ما زالت قائمة إلى اليوم على حوالي 60 كتابا[3].

كما نسجل من خلال استعراضنا للمواد التي كان يقدمها لطلبته على أنها تمتاز بالشمول في العلوم الشرعية ، وهي نفس المواد التي كانت تقدم في الزوايا ذات المستوى الثانوي ،أما المراجع التي يعتمدها وان كانت تقليدية إلا أن مستواها العلمي العالي يدل على الهدف الذي كان يريده الشيخ من طلبته ،وتتأكد هذه الحقيقة – بالاطلاع المذكرات التي كان يصنعها لدروسه[4] – هذه المذكرات التي نلمس فيها بالإضافة إلى قدرة الشيخ العلمية والمعرفية ،نلمس خروجه في صناعة دروسه عن الطريقة التقليدية إلى الطريقة الحديثة التي تمتاز بالتبسيط والنزول إلى الأمثلة الواقعية ومعالجة الإشكاليات اليومية ، وأيضا تدرجه في مواضيع دروسه وبذلك فهو يعتمد برنامجا دراسيا ، هذا ما سيجعل لجهده التعليمي بعد سنوات ثمارا من خرجيه الذين يلتزمون دروسه.

كما امتاز الشيخ بتضلعه في كثير من العلوم وعلى رأسها الفقه والتفسير وإن كانت هذه العلوم كما هو معروف في العلوم الشرعية تحتاج إلى تمكن في علوم أخرى كالنحو واللغة ...،هذا النبوغ أهله إلى الإفتاء فأصبح بذلك مرجعية فقهية لسكان المنطقة ومحل ثقة دينية ،ومن بين فتاويه

[1] – مقابلة شخصية مع السيدان صالح مدور وعلي مدور ورقلة 2009/10/18 .
[2] – المقابلة السابقة مع السيد لخضر مدور .
[3] – اطلعت شخصيا على المكتبة .
[4] – توجد نماذج عديدة في أرشيف مكتبته واطلعنا عليها .

التي تشهد له بهذه الأهلية ، فتوته بتحليل المتردية رغم ما ورد فيها من تحريم بصريح النص القرآني لقولـــــــه عـــــــز وجـــــــل : ❍⬉❷♒▓☝♦⚘♦☜⇕⬊♦⬛⬚⬛⓪⬂▤⬈☠⬉
✁✍⌒✍◎☺▣⑩⬂☝♦◻▸ ◻♦✁✍⌒✍☉⊳⬉ ◻♦▭❍♦⬂☠⬉
✁✍⌒▭⬂③✡❽▓③❷℘ ◻♦☜♦✍⌒✎ ▯⬆♎♉⊳☐ ◑♉⬄♦❷⬀❸♉
✁✍⌒✎★ ⬫♉❍♉⌚ ◻♦✁✍⌒◎☺←☾⬃②▣☾♉☽⬩◻▸
◻♦✁✍⌒◎☺▣◻⬀♙▸◻❶⬩◻⬈
◻♦✁✍⌒◎☺←✋♦❸♦⑩℮♉③♦◻▸ ◻♦✁✍⌒◎☾◻⊃♉⓿⬩▣◻▸
◻♦☜♦✍⌒✎ ▯◻⬚☒⬕• ✁✍⌒◎◯◯⌨←⬈← ☽♉⬩•☜♦✍⌒
❶⬩⬗⬚⬆⑩⬂⬇⬈☹⬃ ◻♦☜♦✍⌒ ❶▸⬚♉☒▣ ⬉♦✍⬛❼
✁✍⌒◎☾❻⌚⬆⬛⇗ ⬀▓⬂ [1]

ويستدل بقوله أن المتردية التي جاءت في النص القرآني ،كانت في بيئة صحراوية أيـــن يقـــل تعرض القطيع إلى السقوط، بينما البيئة الأوراسية ذات الطبيعة الجبلية التي يكثر بها العلو وتســـلق القطيع للمناطق العالية فهي عرضة للتردي ، ومع الوضعية الاقتصادية الفقيرة للعائلات الأوراســـية التي تعتمد على المورد الأساسي للقطيع ،فهذا يؤدي إلى ضياع الكثير من الثروة دون الاســـتفادة منها [2].

من هذه الفتوى وكما وردت عنه فتاوي كثيرة نخلص أن الشيخ علي مدور وصل بعلمه إلى الاجتهاد ويمكن وصفه بالمفتي والمفسر الذي استطاع قراءة النص القرآني وفـــق الواقـــع مراعيـــا الحاجات الاجتماعية و لم يحبس نفسه في النص أو الفتاوى القديمة والتقليدية البعيدة عن الواقـــع . مثل هذا الشيخ بعلمه الغزير سوف يكون لتعليمه الأثر البالغ على تلاميذه من حيث إنارة عقولهم ووعيهم للقضايا الدينية و الحياتية.

والحق أن منطقة الأوراس قد شهدت أمثلة عديدة في أماكن مختلفة أدت رســـالتها التعليميـــة الإصلاحية بالمسجد واستطاعت تعويض المدارس ، مثل ما عرفت باتنة بمسجدها الجديد الذي نظم فيه الشيخ الطاهر مسعودان الحركاتي وساعده كل من الشيخ أعراب والشيخ القنـــدوز والشـــيخ الطاهر أورابحي ، عرفت هذه الثلة بارتباطها الوثيق بقيادات الإصلاح بقسنطينة ، ورسموا كـــل جهودهم التعليمية على الخطة الإصلاحية .

تميز هذا المسجد بدوره غير التقليدي تماشيا مع طابع المدينة لباتنة وسكانها الحضريين وقد أهله لذلك إمامه الشيخ الطاهر الحركاتي الذي تميزت شخصيته من خلال مشواره في طلب العلـــم إلى

[1] – سورة المائدة ، الآية 3 .

[2] – مقابلة شخصية مع السيد محمد مدور ورقلة 2009/06/26 .

التضلع في العديد من العلوم الشرعية وبالأخص (الفقه والأصول وعلم البيان والبديع والصرف والمنطق والنحو والسيرة النبوية والتفسير).

وقد انعكس هذا على دروسه التي تميزت بالإحاطة ومعالجة القضايا الاجتماعية والمعيشية لحياة الأهالي المسلمين من خلال تتزيل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والتاريخ الإسلامي على المشاكل الاجتماعية واستمداد العبر منها .

وكان يخص أصحاب المستويات التعليمية المتقدمة بدروس معمقة ،إن اجتهاده هذا في التعليم وحرصه على تحصيل طلبته ساهم في تكوينه لطلبة ذوي قاعدة علمية متينة ، مكنتهم من الالتحاق بالجامع الأخضر ثم معهد ابن باديس بقسنطينة وتبسة ومنهم إلى جامع الزيتونة . هذا الموقف من الشيخ الطاهر الحركاتي في دعمه لنشر التعليم وتضلعه في عدة فنون من العلوم الدينية أكسبه سمعة واحترام وأصبح بذلك قبلة الطلبة للتعلم عنده .

كما عرفت أنقاوس أيضا نشاطا تعليميا بمسجدها سيدي قاسم أشرف عليه الشيخ عيسى مرزوقي[1] ،وأيضا شهد مسجد خنشلة حركة تعليمية قادها الشيخ محمد الزروق خريج الزيتونة ،كما عرف مسجد بوحمامة دروسا تعليمية نشطها الشيخ أحمد زقادة[2].

ومن المفيد التذكير أن التعليم المسجدي للحركة الإصلاحية تعرض لنفس المضايقات التي تعرض لها التعليم المدرسي ،فالمراسيم والقرارات التي سبق وأن أشرنا إليها كمذكرة ميشال وقرار شوطان كانت تسري على كلاهما ،وحتى تجاوزات الإدارة المحلية كحاكم بلدية أريس و حاكم بلدية بريكة وعين التوتة الذين رفعوا دعاوي إلى المحكمة ضد الأئمة الإصلاحيين بمساجد بلدياتهم مما انتهى إلى سجن العديد منهم أو توقيفهم عن العمل مثل ما شهد ذلك الشيخ عيسى مرزوقي الذي تعرض للمحاكمة والسجن[3] .

ورغم كل أساليب الاضطهاد والمراقبة والتضييق إلا أن الإصلاحيون بقوا أوفياء لنضالهم التعليمي متحدين القرارات الإدارية والمراسيم القانونية الموجهة ضدهم، فكان أغلب المعلمين وناشطي الإصلاحي بعد فراغهم من المدارس أو نشاطاتهم الإصلاحية الأخرى يقومون بالتعليم المسجدي في أماكن أقاماتهم وعملهم .

---

[1] – جريدة الأوراس، عدد 173، من 19 أفريل 1993 إلى 25 أفريل 1993. الإمام الشيخ عيسى مرزوقي رائد الحركة الإصلاحية والعلمية بنقاوس .

[2] – القابلة السابقة مع السيد أحمد شرفي الرفاعي .

[3] – جريدة الأوراس المرجع السابق .

وبذلك استطاع التعليم المسجدي في منطقة الأوراس أن يحقق أهدافه من حيث تكميله للتعليم المدرسي أو قدرة الحركة الإصلاحية في إيصال تعليمها إلى كل الفئات والمناطق مهما كانت نائية وشغلت كل الأوقات مما يدل على الإستراتيجية البالغة التي أولتها الحركة الإصلاحية في تعليمها

المبحث الثاني –دورها في محاربة البدع والخرافات:

1- تصحيح العقائد

ربطت الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء عملية الإحياء الحضاري للأمة الجزائرية التي تحملت مسؤولية القيام بها ، إلى تصحيح وإصلاح العقيدة التي ران عليها الكثير من البدع والخرافات عبر قرون الضعف الطويلة ، فانحرفت بها عن أصلها الأول الذي جاء به القرآن والسنة وكما فهمها وعمل بها السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابع التابعين .

ولأن العقيدة تكتسي أهمية كبيرة في الدين ذلك أنها تعد مصدرا و ركيزة لكل الأعمال و السلوكات الصادرة عن العباد والتي تتوجه لتحقيق العبودية لله عز وجل .

فالأديان والأنبياء كان أول ما يقومون به هو بناء العقائد السليمة بتصحيح التصورات السابقة عن الخالق والكون والمخلوق ومصيره.

والإسلام كدين لم تخرج دعوته عن هذه النواميس، فقد جرى بهذا الترتيب إذ تقدمت دعوته، المحو من العقول وإزالة التصورات الخاطئة التي كان يحملها الإنسان من النفوس وقامت وإبدالها بتصورات جديدة تحقق عبودية الله ووحدانيته ، وقد أظهرت العديد من الآيات القرآنية هذه الغاية كقوله عز وجل :⌧ ❑◆ ☎✃❑⇦⑨⇦⌛⇧⇖☞✃ ☎✃ ✍⅄ ❑◆••
✍➔⌑❸⇧⌘❐✍☎❑✃☎ ✍❍✌✍⊠⓿⬂★ॐ ☞ ☎ ✍✌✌✍⚐ [1] ،وقوله كـــذلك :❑◆♒︎⑨⇧ ✍◆➔◻☪◆☞ ✖✍❼ ➔♏✍
✍❑✌⬆✌❏❏⌨ ❻▪♒︎⇦❑◆⑨ ❏♍⑨ ⇖⇧⌛⇦⑨⇦❑✃☎ ✃☞✍⅄
❑◆✃☞♉︎⇧✌♦♈︎✍⌨⇦❑✃☎ ✃☞✍⅄✌⑨⇔⬀❑☠✿ ☎
✍✌❑◆♦✌☞ :تعـــالى وقولـــه ، [2] ✍✌❑◆☞ ⌘⊠■❐⬂✺➔ ✃☞✍🖳⬂♑︎⬂♊︎❍
❑◆✃☞“✺☼▪” ⑨✍◆⬝ ❍✍◆◆➔⌨⇦⑨⇦❑♌︎✍ ✍✌✍✍ [3] ،ولأن الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء ذات بعد ديني أساسا ،فإن الدين كان محور نشاطها، من حيث

---

[1]–سورة النساء، الآية36.

[2]–سورة النحل، الآية36.

[3]– سورة الذاريات، الاية56.

أن كل نشاطاتها كانت مستمدة منه ومصدر استلهامها ،وفي الآن نفسه سخرت كل جهودها لخدمته وإحيائه،بسبب ما اعتراه من حالات الضعف التي حلت به عبر قرون طويلة أدت إلى ضياع مقاصد عباداته وتشويه شرائعه حتى كادت تمحى ملامحه الحقيقية ، ويظهر في شكل دين جديد لا يبقى فيه إلا الاسم (الإسلام).

ولما كان هذا هو الحال الذي وجدت عليه الحركة الإصلاحية الدين الإسلامي عند الناس، فإنها عمدت أثناء عملية إحيائه إلى تبني المنهج النبوي بالبداية إلى تصحيح العقائد، وفي هذا كتب الطيب العقبي لجريدة "صدى الصحراء": (انتبه اليوم أبناء الإسلام من كل ناحية وفي كل قطر وسرت روح الشعور الحي بين جموعهم فهبوا إلى العمل النافع واعملوا الفكر في اقصر الطرقات واقر بها لديهم ، فما وجد عقلاء المفكرين وحكماء المرشدين مثل فرع باب الإصلاح والرجوع بالأمة ـــ من حيث الدين والعقائد ــ إلى ما كان عليه سلفها ورد على خلاف أو نزاع من كل طوائفها ومذاهبها إلى أصل الدين الذي هو الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح)[1].

كان هذا التقريظ الذي تقدم به الشيخ الطيب العقبي لجريدة "صدى الصحراء"، وكأنه يضع هدفها الأساسي الذي يجب أن تسري عليه الدعوة الإصلاحية والمتمثل في التقدم للإصلاح بتصحيح العقائد والذي نبه أن مرجعية العقيدة الصحيحة هي الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح.

والحق أن الحركة الإصلاحية في بدايتها تفطنت لأهمية الصحافة في تبليغ رسالتها، فقد أسست مجموعة صحف التي كان محور دعايتها هي محاربة البدع مما يدل على أولوية تصحيح العقائد في الترتيب الإصلاحي.

فكان ظهور جريدة النجاح سنة1919م بقسنطينة بإشراف عبد الحفيظ بن الهاشمي وبمساعدة الشيخ ابن باديس تأسيسا وكتابة [2] ،والتي كانت في بدايتها وفية لخط الإصلاح كما تعتبر منبرا إصلاحيا تعالج من خلال قناعتها القضايا الاجتماعية والدينية وفق المنظور الإصلاحي الموجه ضد مفاسد البدع.

كما أصدر الشيخ ابن باديس أول صحيفة له باسم (المنتقد*) والتي شنت حملة واسعة ضد البدع والخرافات والضلالات الطرقية، وبعد توقيفها خلفتها جريدة الشهاب وحملت نفس الرسالة

[1] -الطيب ،العقبي :فكرة حرة ،جريدة صدى الصحراء، العدد03، 1927/12/17.

[2]- رابح، تركي :الشيخ عبد الحميد بن باديس ،المرجع السابق ، ص115.

* جريدة إصلاحية أول ما اصدر الشيخ من الصحف، صدر أول عدد لها في 02 \07\1925 كانت أقلامها سلاح موجه ضد تصرفات الإدارة والبدع والخرفات والأوضاع الطرقية الفاسدة تم توقيفها بعد العدد 18.

التي تمثلت في إظهار البدع والتعريف بها ، فمثلا خصصت عمودا دائما عن (أتباع السلف وبدع الخلف)[1].

ومما ينبغي الإشارة إليه أن مصادر التفكير العقدي للحركة الإصلاحية مثلها عدة أراء لقيادتها التي كان لها تأثيرها في صياغة المشروع العقائدي الإصلاحي في الجزائر، بداية بالشيخ ابن باديس الذي تميز بالتزامه بالوسطية والاعتدال، فكان أن أخذ عن الأشعري كما في الوقت نفسه تعرض إلى نقد بعض مواقفه في تأويل الذي مس فهم العقيدة ،كما كان يعيش حالة الزهد رغم أنه أعاب الغلو في التصوف ، وكان مالكي المذهب رغم ثورته على التقليد الذي تبناه علماء المالكية.

كما لا ننسى تأثير مدرسة محمد عبده والشيخ رشيد رضا، و نظرا لكل هذه الروافد التكوينية للشيخ ابن باديس بالإضافة إلى دعوته العملية التي طبعت دعوته العقائدية بالواقعية والابتعاد عن المثالية النظرية ،كل هذا جعل ابن باديس يجمع بين السلفية الصارمة التي تظهر في كتاباته و مؤلفاته ودروسه لطلبته وبين التعايش والحوار مع مخالفيه من الطرقيين في دعوته الميدانية أثناء زياراته لزواياهم أو لقاءاته العامة معهم ، وبذلك يكون الشيخ ابن باديس قد أسس أو نهج لنفسه مدرسة عقدية جديدة انبعثت عن تأثره بالشروط السابقة.

أما الشخصية الإصلاحية الثانية التي كان لها تأثير بالغ قي قراءة العقيدة الإصلاحية هو الشيخ مبارك الميلي بسبب بحثه في العقيدة الذي ظهر في جريدة البصائر تحت عنوان (الشرك ومظاهره) و ثم صدوره ككتاب.

تميز فكر مبارك الميلي العقدي بخروجه عن العقيدة المالكية إلى الحنفية الجديدة ذات البعد السلفي،رغم أن البيئات الثقافية و الاجتماعية للشيخ لا توفر هذه النهاية، فدراسته في الوسط الزيتوني والذي كان إلى فترة دراسته قليلة التأثر بالإصلاح وبيئته الاجتماعية الجزائرية التي تهيمن عليها المالكية والصوفية إلى حد بعيد، فقد ذهب الأستاذ علي مراد إلى أن تأثير الحنبلية الجديدة لم يتوفر للشيخ مبارك الميلي إلا من خلال مطالعاته وقراءاته لتفسير المنار للشيخ رشيد رضا[2]،والذي يظهر جليا في مراجعه التي اعتمدها في مؤلفه المعني بالذكر .

[1] الشهاب إتباع السلف وبدع الخلف 02\1930الى11\1931 - 02\1932الى 11\1932
05\1933الى04\ 1935الى 11\ 1935 - 03\1936الى 01\1937الى 4 0\1938

[2] – علي، مراد : مرجع السابق، ص325.

أما الشخصية الإصلاحية التالية التي كرست جل نشاطها الإصلاحي في الجانب العقـدي فهي الشيخ الطيب العقبي الذي مثل المدرسة الوهابية قلبا وقالبا في الحركة الإصلاحية الجزائرية ويعود إلى تكوينه وتنشئته في البيئة الحجازية موطن الوهابية.

كما كان للحركة الإصلاحية بعض الشخصيات الفاعلة رغم تأثيرها القليل إلا أن نوعية ثقافتها وتأثيرها النخبوي من خلال كتاباتها وحواراتها،يجعلنا ندرجها ضمن الاتجاهات التي صاغت الفكر العقدي الإصلاحي ، كالأمين العمودي وحمودة بن ساعي الذين كان تعليمهم القرآني في البيئة الأهلية والتعليم الفرنسي والعلمي في مراحلهم الدراسية العالية إلى الأخذ بأسباب العلم الحديث التي لا تتعارض مع الإسلام والابتعاد عن البدع والخرافات.

رغم أن هذه الاختلافات في النظرية العقدية للاتجاهات المكونة للحركة الإصلاحية، إلا أنها أظهرت توافقا في موقفها و أجمعت على الاعتراض على العقائد الشعبية التي أنتجتها الطرق الصوفية والتي تمثلت في أفكار البدع والخرافات التي شوهت العقائد الإسلامية عن أصلها الأول .

والحق إن أراء الشيخ ابن باديس تعد هي المشكل الرئيسي والأساسي لعقيدة الإصلاح في الجزائر[1] ،ولعل هذا يأتي من مكانته العلمية إذ يعد الشيخ ابن باديس من أوفر القيادات علما دينيا والذي أكسبه ثقة الجماهير في تقبل آراءه حتى تلك الجديدة على الوسط الديني والتي غالبا ما تحدث جدلا واعتراضا خاصة من قبل الفئات المحافظة ذات لانتشار الواسع حتى العقود الأولى للدعوة الإصلاحية ، فضلا عن غزارة كتاباته في صحف الإصلاح مما استطاع تبليغ أفكاره لأوسع الفئات ،إضافة إلى لغته وأسلوبه الاقناعي البعيد عن الخصومة و التهجم التي كثيرا ما كانت تظهر في كتابات القيادات الأخرى كالشيخ الطيب العقبي [2].

كما ساهم دوره التعليمي الذي امتد من سنة 1913 م إلى سنة 1940 م إلى المساهمة في التكوين العقدي لطلبته من خلال دروسه التي كان يقدمها لهم، وهم بدورهم ينقلونها إلى طلبتهم والمتلقين عليهم من العامة أثناء دروسهم المسجدية أو الوعظية ، ولذلك استطاع أن يبني قاعدة واسعة من الحاملين لقناعاته العقائدية في المجتمع الجزائري.

ولأن جل ناشطي الحركة الإصلاحية في الأوراس من طلبة الشيخ ابن باديس والذين عملوا على تصحيح العقائد ومحاربة البدع والخرافات التي كانت منتشرة في وسطهم الأهالي ، فان

---

[1] – فهمي، سعد : المرجع السابق، ص67 .

[2] – انظر علي، مراد : المرجع السابق،ص113 وص318.

آراءهم العقدية قد تكونت في فترة دراستهم عند ابن باديس ، ومن المفيد التذكير أن أغلب هؤلاء من عائلات مرابطية وفرت تنشئتهم وتعلمهم الأولي وسطا للاعتقادات المرابطية ومن المـــرجعيتين السابقين والمتعارضين ، فإن الشخصيات الإصلاحية الأوراسية قد شقوا نهجا جديدا حيث التـــزم أغلبهم بالانتماء إلى التنظيم الطرقي دون الإيمان باعتقاداتها الفاسدة بل إنكارهم لها ومحاربتها .

تبنى الشيخ ابن باديس فهم العقيدة على ما جاء في الكتاب والسنة، وفهمها على البساطة التي عرفها بها القرآن الكريم حيث يقول في مجالس التذكير فقال :((... أدلة العقائد مبسوطة كلها في القرآن العظيم بغاية البيان ونهاية التسيير ... فحق على أهل العلم أن يقوموا بتعليم العامة لعقائدها الدينية وأدلة تلك العقائد من القرآن العظيم ... ولن يجد العامي الأدلة لعقائده سهلة قريبـــة إلا في كتاب الله ،فهو الذي يجب على أهل العلم إن يرجعوا في تعليم العقائد للمسلمين إليه .))[1] ،

من خلال النص يتبين أن الشيخ ابن باديس أكد على أن المرجعية الأساسية للعقيدة الإسلامية هي القرآن الكريم التي تم عرضها فيه في غاية الوضوح دون الحاجـــة إلى التأويـــل للوصـــول إلى حقيقتها الباطنية والمخفية كما ظهرت فيه بسيطة واضحة ،لذلك أنكر الشيخ ابن باديس اللجـــوء إلى المتكلمين في فهم العقائد التي انتشرت في المدارس الصوفية وعند المتكلمين ، فقـــد اعتـــبر أن هؤلاء قد حادوا عن الفهم الصحيح وهجروا القرآن فقال:((...إن الإعراض عن أدلـــة القـــرآن والذهاب مع أدلة المتكلمين الصعبة ذات العبارات الإصلاحية، فانه من الهجرة لكتاب الله، ومـــن تصعيب طريقة العلم إلى عباده وهو في أشد الحاجة إليه، وقد كان من نتيجة هذا ما تـــراه اليـــوم عامة المسلمين من الجهل لعقائد الإسلام وحقائقه.))[2]

ففي هذه المرة يحمل ابن باديس المتكلمين وزر هجرهم للقرآن في فهـــم العقائـــد والـــذي انعكس سلبا على تصوراتهم بأن شابها الكثير من التعقيد، مما صعب فهمها على المسلمين وأدى إلى جهلهم في هذا الأمر المهم .

وإلى جانب المصدر الأول في الإسلام القرآن الكريم ، اعتمد الشيخ ابن باديس في اســـتقاء عناصر العقيد على المصدر الثاني وهو السنة النبوية (القولية والفعلية والتقريرية) و التي تعد المصدر الشارح والمفصل لماء جاء في القرآن الكريم ،والتي لا يمكن الاستغناء عنها في فهم القـــرآن فهمـــا سليما ويطبقه تطبيقا صحيحا، فلقد كان كثير الإشادة والدعوة إلى التمسك بالسنة حيث يقول :

---

[1] – عبد الحميد ، بن باديس : مجالس التذكير من كلام الحكيم النذير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ،ط1،الجزائر ،1983،ص142.

[2] – نفس المصدر ، ص142.

((... فأخذنا على أنفسنا الدعوة إلى الناس إلى السنة النبوية الشريفة ، وتخصيبها بالتقدم والأحجية، فكانت دعوتنا ــ علم الله ــ من أول يوم إليها ، والحث على التمسك والرجوع إليها ...وفيها وحدها ما يرفع أخلاقنا من وهدة الانحطاط، ويطهر عقيدتنا من الزيغ والفساد.)) [1].

من النص تظهر مكانة السنة عند ابن باديس كمصدر للوصول للعقائد الصحيحة ،لذا كانت دعوته إلى التمسك بها واعتبارها مقوما أساسيا في الدعوة العقدية للحركة الإصلاحية .

وقد أكدت الحركة الإصلاحية في منهجها العقائدي على التوحيد ،وقد كان من الأهداف السامية لدعوتهم والذي يجب أن يكون وفيا للصورة الأولى لعصر النبوة، يجب أن يأخذ من مصادره الأولى الكتاب والسنة وأيضا محاربة العقيدة المرابطية التي تعتبر مكمن البدع والخرافات[2].

الدعوة إلى التوحيد:

يعد التوحيد في الإسلام أساس الدين ،وبذلك فان محاربة كل مظاهر الشرك المنافية للتوحيد من المهمة الأساسية التي حملتها رسالات الأنبياء والرسل إلى الناس لقوله عز وجل: ⌧ ☎✃❑↗✍⧅❸⇧⌑➔✍••◆❑ ⅄✐✍✃ ☎✃❑←⑨←⧗⇧↖✍✃◆❑ ✐✍♦✌◆❑ ✍☎ ✍ॐ★⍂⓿⊠⅄ ◷⧅❍⧅✍ ولقوله أيضا: ❑◆♦✌✍✐ [3] ⧅⧅⧅⧅✍ ••⧅◑ ✍✌❑←⧅▪❻ ♊⧅✌⧅①⧅⧅⧗•♪ ♊⧅✌✍◆☪▫⧅⧅⧅❻❑🕮 ✍•⧅◑ ♦❍◷•⧅⧅◑ ✋• ⓵←❍✵☼❑🕮 ⧅❍⍂⓿•⧅⧅◑ ✕⧅⧅❑❑←☼ 🕮❑☼♦✍⧅▫•✍✍↖⇧⌨←⑨←❑♌⇗ ⇗⧅⧅⧅ [4] ،ومن الآيات القرآنية السابقة نستخلص إن الله عز وجل خلق الناس لأداء مهمة عبادته والتي يجب أن يختص بها وحده دون سواه ، هذه العبادة التي يبينها في الشريعة من خلال القرآن والسنة النبوية.

والحركة الإصلاحية لجمعية العلماء والتي تتأسى بدعوة الأنبياء والرسل عموما والدعوة المحمدية خصوصا، فإنها لما رأت ما اعترى عقيدة المجتمع الجزائري من مفاسد، فإنها عملت على توجيه كل نشاطاتها لتصحيح هاته العقيدة .

ومن القضايا العقدية التي استهدفتها الحركة الإصلاحية ، وكانت من ضمن القضايا الاستعجالية والتي أولتها اهتماما بالغا ، قضية التوحيد ، بسبب ما ظهر في العقيدة العامة من شرك أفسد دينهم وانعكس على حياتهم الاجتماعية .

---

[1]- عبد الحميد ، ابن باديس :آثار الشيخ ابن باديس، ج5، دار الطباعة للنشر والتوزيع قسنطينة ،الجزائر ،1991، ص94.

[2] - علي ، مراد:المرجع السابق ،ص 311

[3]- سورة الأنبياء، الآية 25 .

[4]- سورة الذاريات ،الآية 56.

وبذلك كانت الحركة الإصلاحية تنظر إلى أن تصحيح التوحيد هو تطهير للعقيدة وإصـــلاح للدين والمجتمع ، فجاء في دروسه العقدية التي كان يمليها الشيخ ابن باديس على طلابه في الجـــامع الأخضر تحت عنوان ((عقائد الإيمان بالله)) قوله.((هو الموجود الذي سبق كل وجوده من كل وجود ، فكان تعالى وحده ولاشيء معه ، ثم خلف ما شاء من مخلوقاته....فهو الغني بذاته عـــن جميع الموجودات ،وهي المفتقرة كلها ابتدءا ودوما إليه)) [1].،فالله سبب كل وجود ومنه تكمـــن عظمته .

وفي هذا الباب إشارة إلى الله وحده بإخلاص الناس الدعاء والعبادة إليه والتخلي عـــن كـــل تعظيم لما سواه كما واصل الشيخ ابن باديس في شرحه للتوحيد لطلبته بهدف تكوينهم العقـــدي العلمي وتقوية علمهم وإيمانهم لنقل دعوته هذه إلى الجماهير والتي سيبثهم فيها .

وقد قسم التوحيد إلى أقسام:

توحيد الربوبية: وهو اعتقاد العبد بأن لهذا الكون خالق وهو الذي أوجده مـــن لاشـــيء وهـــو المتصرف في شؤونه وهو الخالق الرزاق ، الضار والنافع لقوله تعـــالى꠹ : ♎⌧✍⬀ ⬀👌⬁♊⇳ ⌘⌧🕔🖬♒⬀✍ ⬊☒❷⬀❸← ✂✌✍★ ⬀🖾⬁✎ [2] وكـــــــذلك قولـــــــه: ③⬉⑨⌧✍■♒❷⬉ ✂✌❀☞👌⬂❷♦ 👌♒⬀✎ ✂✌⑩○○☺⌧✌✍⬈♒ ⦁♒🖫■❼ ✂✌❀☞❻⬀⬂⬁ ⬀♒⬁ [3].

إن ابن باديس يريد من خلال شرحه لتوحيد الربوبية أن يصل بطلبته إلى الاعتقاد أن الله مصدر كل شيء فيجب محاربة كل شيء آخر غير الله يعتقد الناس في قدرته على النفع والضر أو في المنع والعطاء، ذلك أن قضية توحيد الربوبية عرفت في الأوساط العامة للجماهير المسلمة تشويشا وتزيفا بسبب البدع وتعظيم المخلوقات والاعتقاد في قدرتها على الفعل في أمور يختص بهـــا الله وحـــده ،كظهور في اعتقادهم في قدرة شيخ الطريقة أو الولي أو المرابط على النفع أو الضر لذلك يقصدهم الناس للاستشفاء أو طلب الولد أو الرزق .

إن هذه الاعتقادات التي أفسدت التدين الصحيح لدى الناس كانت لها انعكاساتها السلبية على الفرد والمجتمع في الجزائر ، فعطلت طاقاتهم بأن غرست التواكل من خلال توقيف الأسباب وإهمال

---

[1]– عبد الحميد ،ابن باديس: العقائد الإسلامية ، دار البعث للطباعة والنشر والتوزيع ،قسنطينة ، ص 67 وص70.

[2]– سورة فاطر ، الآية 3.

[3]– سورة السجدة ، الآية 4.

مبدأ السببية وانتظار النتائج دون تقديم لأسبابها فقط من خلال الاعتقاد في شخص فعال له القدرة على المنح والمنع والضر والعطاء و الشفاعة ...

وأيضا ساهم ذلك في فقدان الأفراد الثقة بالنفس و بشعورهم بالقصور الذاتي و قمط المجهود الفردي ، متجاهلين كل النصوص القرآنية والأحاديث النبوية في الإنكار على المخلوق مهما كانت صفته على أن يكون سبب في شيء إلا بإرادة الله لقوله صلى الله عليه وسلم :(لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت و لا ينفع ذو الجد منك الجد.) رواه مسلم وأحمد.

أما الباب الثاني في ا لتوحيد والذي تعرض أيضا للغموض بسبب البدع والمفاهيم الخاطئة فهو باب توحيد الألوهية، وهو قرار العبد بالعبودية لله وبأحقيته وحده لهذه العبودية دون إشراك سواه فيها، يقول الشيخ ابن باديس في هذا الصدد: ((ومن توحيده تعالى توحيده في الألوهية ،وهو العلم بأنه هو المستحق للعبادة وحده دون سواه والقصد من التوجيه والقيام بالعبادة كلها إليه.))[1].

ولضعف الدين عند العامة واختلاط البدع بتشريع الله ، فإنها ظهرت طقوس تعبدية من تأليف الطرق الصوفية والحركات المرابطية خارجة عن الدين كالأذكار غير المأثورة عن النبي أو التسبيح إضافة إلى عبادات أخرى كالطواف على القباب و إقامة المناسبات والمواسم كالحضرة والزورات.

يبدو أن الشيخ ابن باديس يريد من عرضه لتوحيد الألوهية تعميق الفهم والاعتقاد لدى الطلبة لتجنيدهم لمحاربة أنواع البدع التي تفشت في اعتقادات العامة وجانبت صحيح التوحيد حتى غيرت الدين عن أصله الأول وجعلته إسلام أخر مخلوط بالشركيات و الوثنيات،وهذه الأخيرة كانت لها انعكاساتها هي الأخرى على الفرد و المجتمع ،بحيث عطلت عقله وحبست إرادته وجعلته مستسلما للواقع راضخا له على سلبيته ، موقفا كل الأسباب لتغير حاله عن طريق سعيه لأن الاعتقاد في الولي أو المرابط في تحقيق أمانيه عطل فيه كل إمكاناته الذاتية بأن أوكله عن نفسه في كل الأمور.

ثم يأتي الشيخ ابن باديس إلى القسم الثالث من التوحيد والمتمثل في توحيد الحاكمية فيقول: ((...توحيده في شرعه ،فلا حاكم ولا محلل و لا محرم سواه.))[2].

من خلال كلام الشيخ ابن باديس يتضح أن المراد بالحاكمية هو أن الله عز وجل هو المختص وحده بالتشريع لعباده ، فهو الذي يحدد الأوامر والنواهي ويحلل لهم ويحرم عليهم فلا يقبل أن تشرع أو تنشأ عبادات من اختراع العباد مهما كانت وإن لهدف التقرب لله وعبادته ، والآيات

---

[1] – عبد الحميد ،ابن باديس:العقائد الإسلامية،المصدر نفسه ، ص79.

[2] – المصدر نفسه، ص 82 .

القرآنية الدالة على حاكمية الله عز وجل عديدة ،كقوله تعالى: [1] وقوله : [2] وقوله كذلك: [3] ،

كل هذه الآيات تقصد أن الحاكم هو الله ولا حاكم سواه، وإن توحيد الحاكمية يحارب الكثير من البدع التي يرى أصحابها إن القصد من ورائها التقرب إلى الله لا غير ، فيذهب الشيخ العقبي ردا عليهم فيقول : ((وإذا كان أمر لتشريع لله وحده فليس لكائن من كان أن يشرع لنفسه أو يعتبره من الدين ما لم يأذن به الله مهما كانت مقاصده في هذا التشريع ، ومهما ادعى من ابتغاء قربة أو وسيلة إذ لا يكفي في رفع الحرج عمن يتجاوز الحدود و أفتأت في فرض الشرائع على الناس وتقنين العبادة والديانة أن يكون حسن النية سليم القلب و طيب السريرة زاعما أنه بما شرع وابتدع يبتغي الله الوسيلة ويريد التقرب منه))[4].

من خلال ما قاله الشيخ العقبي نرى أنه يريد أن يقطع كل فرصة للابتداع فيما يخص اختراع تشريعات جديدة وعبادات زائدة لم يأتي بها الله مهما كان مقصدها وحسن نيتها في التقـــرب لله لان تحديد العبادات من اختصاص الله وحده .

هذه الدروس العلمية في العقيدة التي كان يتوجه بها الشيخ ابن باديس لطلبته لإعـــدادهم إلى الدعوة الإصلاحية مستقبلا ، كان يريد من ورائها غرس اليقين العقدي والقناعة بدءا، حتى يتسنى لهم القدرة على تصحيح عقائد العامة على بصيرة وفهم صحيحين .

كما أنها أيضا تهدف إلى تنوير الداعية من خلال منحه القدرة على فحص أحوال العقيدة التي هي عليها جماهيره وتبيين المفاسد فيها وتدبير السبل اللائقة لمحاربتها وعلاجها .

---

[1] – سورة الأعراف ،الآية، 54.

[2] – سورة الأنعام، الآية، 57 .

[3] – سورة النحل ،الآية ،116.

[4] – الطيب العقبي : الإسلام دين خالد، جريدة البصائر، العدد 4 ، 24\01\ 1936.

كما أن هؤلاء الطلبة كان أغلبهم يمتلكون معارف عقدية قليلة أو في الكثير من الأحيان ذات طبيعة مرابطية ،لأن حتى عقد الثلاثينات مازال الإصلاح لم يستطيع تقليص الثقافة المرابطية التي كانت مصدر التدين الشعبي لدى غالبية الجزائريين ،فضلا عن أن غالبية هؤلاء الطلبة قد وفدوا للدراسة بالجامع الأخضر من المدارس التعليمية للزوايا التي تعتمد في تدريسها للعقيدة على التأليفات ذات المرجعية المرابطية (الصوفية).

ولعل هذه التوقعات تصدق أيما صدق على أغلب طلبة الأوراس بالجامع الأخضر الذين وفدو من بيئة معروفة بهيمنة الفكر المرابطي ، زد على ذلك أن جلهم ينحدرون من عائلات وأسر مرابطية ، كما أن تعليمهم السابق كان بزوايا طولقة وخنقة سيدي ناجي ذات التعاليم العقدية المرابطية.

كل هذه الأسباب جعلت من الدرس العقائدي للشيخ ابن باديس من الأهمية بما كان لطلبة سوف يتحملون مسؤولية وعبء الإصلاح الديني والذي يأتي في مقدمته الإصلاح العقائدي.

محاربة مظاهر الشرك:

إن محاربة الشرك ومظاهره ملازمة ومحققة لدعوة التوحيد ، ولأن المظاهر الشركية قد انتشرت في السلوكات الإعتقادية والتعبدية في المجتمع الجزائري بسبب البدع والخرافات والتي ساهم في انتشارها سذاجة الناس وجهلهم.

ومن أجل تخليص الناس من براثن الشرك جندت الحركة الإصلاحية كل نشاطها من أقلام دعايتها ودروسها المدرسية و المسجدية والوعظية من أجل توضيح الشرك وتتبع مظاهره في الحياة الدينية والاجتماعية في المجتمع ،فظهرت كتابات غزيرة لأغلب رجالات الإصلاح تعالج هذه القضية في المجتمع وتبين مضارها على الدين وعلى نهضة المجتمع ، منها كتابات الشيخ مبارك الميلي الذي خصص ركنا قارا في جريدة البصائر بعنوان :((رسالة الشرك ومظاهره)) [1] ،هذه المقالات التي لاقت تجاوبا وتفاعل من القراء، مما جعل جمعية العلماء تأذن بإصدارها في كتاب لتعتمده فيما بعد كمصدر يعبر عن المرجعية العقدية للحركة الإصلاحية في الجزائر، وقد تعرض مضمون هذا المؤلف للممارسات الشعبية التي تخل بالتوحيد وتحمل بشكل كبير إمارات الشرك ك:(تعليق

[1]- انظر البصائر: الأعداد 5-6-9-10-11-12-13-15-16-20-22-25 من السنة الأولى 1935.

التمائم أو قيام الحضرات و زورات القباب والوعدات والتسبيح بأذكار غير واردة في السنة النبوية من إنتاج مؤسسي الطرق ......الخ)[1].

وإلى جانب الميلي نجد أيضا الشيخ العقبي كأحد الشخصيات الإصلاحية التي أعلنت حربها بضراوة ضد الشرك وتوابعه ، وقد تخصصت دعوته في الإصلاح على تصحيح العقيدة والدعوة إلى التوحيد ومهاجمة كل ما من شأنه أن يفسر هذه القضية (التوحيد) ،فكانت كل نشاطاته في نادي الترقي بالعاصمة كالمحاضرات وكتاباته وأشعاره التي كان ينشرها في العديد من صحافة الحركة الإصلاحية تصب في مقاومة الشرك وأهله .

أما الشيخ ابن باديس فقد جند هو الأخر كل نشاطاته لمعالجة هذه القضية ببعديها الديني أو الاجتماعي ،إذ أنه رأى أن المظاهر الشركية التي انتشرت عند السواد الأعظم من الجزائريين قد أبعدتهم عن عقيدة الإسلام الأولى وجانبتهم التوحيد إلى حد الوصول إلى اعتقادات مخرجة من الملة ،وأيضا لخطورة الشرك عند الله وعظم خطيئته وعدم غفرانه والتي تتأكد في قول تعالى:
☒🖰◆❸⇧⌑🡸④ ♌❒🕮 ⇖❷♑▦⬂⬄◆③ •• ⅄✐☝☝ ❑♌♒⌛
☙①♑♑⏲◆❶ ☙♍❒🡸⑩ ☝◆☝ ⇖❷♑▦⬂⬄◆③◆❒ ⏲♑❍♒☝
⬁🖰♒❸⇧⌑🡸④ ♊◆☝◆❒ 🗐🡻🡽✐☝◆⌖❑④ ♊⌺☺♑♑
✄⯐⑨⓿♑➔◆☝ ☹☒⏲■🗔✽➢ ❑⍓✽➢ ⇧⑨◆⌛◆▫★✐☝☝♒☝
⬙➢➢♑⬀ [2]، فإن هذا حمل الشيخ مسؤولية إنقاذ هذه الأمة من الزلل الديني الذي يعد أقصى الذنوب التي لا يغفرها الله لعباده ،أضف إلى ذلك الآثار السلبية للشرك على المستوى الاجتماعي، لاعتبار أن الكثير من الشركيات لها انعكاسات اجتماعية ساهمت في الوضعية الثقافية والاجتماعية السيئة والمحبطة للجماهير المسلمة في الجزائر ومنها كان يرى أن نهضة هذه الجماهير لا تتم إلا بتصحيح عقيدتها.

وقد كانت جهود الشيخ ابن باديس عظيمة في هذه القضية من خلال دروسه الموجهة لطلبته، كالدروس العقدية * أو في دروس التفسير أو دروس الحديث أو في مقالاته التي كانت تصدر في جرائد الجمعية.

تميزت دروسه وكتاباته بتتبع مظاهر الشرك المتفشية في المجتمع ففي إحدى كتاباته تعرض إلى إمكانية وقوع المسلمين في الشرك والوثنية فكتب تحت عنوان: ((اللحوق بالمشركين)) :

1- علي مراد : الحركة الإصلاحية، مرجع سابق ،ص ص324،323.
2- سورة النساء ، الآية116.
*- هذه الدروس جمعها تلاميذه أمثال محمد الصالح رمضان و محمد حسن فضلاء في كتاب العقائد الإسلامية.

((... من اعتقد مثل عقيدتهم أو فعل مثل أفعالهم أو قال مثل أقوالهم فقد لحق بهم ، وقد يكـــون اللحوق تاما مخرجا عن أصل الإسلام وقد يكون دون ذلك.

فأصل عقيدة الشرك عند عرب الجاهلية أنهم يعلمون أن الله هو خالقهم وهو يـــرزقهم وهـــو المالك لجميع مخلوقاته، ولكنهم كانوا يجعلون توجههم وتقربهم وتضرعهم لإلهتهم على اعتقاد أنها تقربهم إلى الله.

وفي الناس اليوم طوائف كثيرة تتوجه لبعض الأموات وتتضرع لهم وتقف أمام قبورهم بخضـــوع وخشوع تامين ،ويتضرع وتناديهم على اعتقاد أنهم يقربونها إلى الله ويتوسطون لها إليه ويعتقدون أنهم يتصرفون لها بقضاء الحوائج وجلب الرغائب ودفع المصائب.

ومن أعمال المشركين في الجاهلية أنهم يسوقون الأنعام لطواغيتهم فينحرونها عندها طالبين رضاها ومعونتها .

وفي الناس اليوم طوائف كثيرة تسوق الأنعام للأضرحة والمقامات تنحرها عندها إرضاء لها وطلبـــا لمعونتها أو جزاء على تصرفها وما جلبت من نفع أو دفع من ضر.

ومن أقوال المشركين في الجاهلية حلفهم بطواغيتهم تعظيما لها ومن الناس اليوم طوائـــف كـــثيرة يحلفون بالله فيكذبون ويحلفون بمن يعظمونه من الأحياء والأموات فلا يكذبون، فهذه الطوائـــف الكثيرة كلها قد لحقت بالمشركين وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في قولـــه: (لا تقـــوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين .) رواه أبو داوود والترمذي))[1].

لقد عرض الشيخ ابن باديس في هذا النص جملة من مظاهر الشرك المتفشية في المجتمع الجزائري عامة والمجتمع الأوراسي واحد منه ولا يختلف في شيء من هذه المظاهر مقارنا بين مظاهر الشـــرك التي كان عليها أهل الجاهلية وممارسات الناس اليوم، ليخلص أن فئات من المسلمين بتصرفاتهم هذه قد لحقوا بالمشركين ،وقد كان يهدف من هذا العرض إلى التحذير من حالات الشرك التي تمارس من طرف مسلمين يعتقدون أنها تقربهم من الله وتقوي إيمانهم وتعزز إسلامهم إلا أنهـــا لجهلـــهم بأثرها فهي تلحق بهم إلى الشرك ولذلك فان المسلم إذا لم يتحر في عبادته الابتعاد عـــن مظـــاهر الشرك فقد ينظم إلى فئة المشركين ومن هذه المظاهر:

[1] – عبد الحميد، ابن باديس : مجالس التذكير من كلام البشير النذير،، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ،ط1،الجزائر ،1983،ص ص96-97.

اتخاذ الوسطاء بداعي أنهم يقربونهم من الله: كمظاهر اللجوء إلى الواسطة بين العبد وربه كانت منتشرة حيث كان الناس يعتقدون في أشخاص مثل شيوخ الطرق والزوايا والمرابطين والأولياء في أنهم شخصيات مترهة ميزهم الله عن العامة ومنحهم ميزات لا يطالها الناس العاديون مما يجعلهم في حاجة إليهم، وبفضل هذا الاعتقاد استطاع الفكر المرابطي أن يجعل من أصحابه المستفيدين منه أن يكونوا وسطاء لدى العامة مع الله، فكانوا يتوجهون إليهم بالدعاء وطلب الشفاعة عند وقوعهم في ذنب أو اقترافهم للسيئة، ولا يتوجهون مباشرة إلى الله لطلب المغفرة اعتقادا منهم أن طلب الوسيط أضمن في الاستجابة من طلبهم، وقد انتشرت هذه الظاهرة فكان كل طالب لحاجة أو مستغيث يتوجه إلى من يعتقد أن فيه الصلاح والبركة و لم يقتصر التوجه للطلب على الإحياء فقط من مشايخ الطرق والمرابطين بل أيضا شمل الأموات من الأولياء، فكثيرا ما كان طلب الولد والنسل والرزق أو الشفاء من المرض يتوجهون به إلى أشخاص قد يكون في أمس الحاجة هم فيما يطلب منهم.

كما كانت أغلب النساء الأوراسيات يتعلقن بالإيمان بالأولياء والأضرحة فيتوسلن بالدعاء طلبا للولد أو الدعاء لإنجاب الذكر أو الشفاء من الأمراض سواء العضوية أو النفسية أو العقلية، ويقيمون الأيام في القباب التي كانت منتشرة في كل أنحاء الأوراس ويشرف عليها أفراد من عائلات الولي وهم اللذين يستفيدون من الهبات والعطايا التي يقدمها الزوار تزلفا كالمبالغ المالية والماعز والتمر ....الخ [1].

كما كان الذبح عند المقامات إرضاء لصاحب المقام أو طلبا لمساعدته، فكان الناس يقدمون النذور ويسقون الماشية لتقديمها إلى الأضرحة حتى تستجاب دعواتهم وطلباتهم، وقد شجعت الإدارة الاستعمارية هذه الحركات للإبقاء على سذاجة عقول العامة وبذلك إبقائها تابعة للزوايا المنحرفة التابعة لها والتي تخدم سياساتها المتمثلة في تسهيل انقياد الجماهير لها وعدم الثورة عليها فأقامت القباب والمقامات، ففي منطقة الأوراس ساهمت الإدارة في بناء العديد من المقامات والمزارات، فحاكم عين التوتة أقدم على إحياء وبناء قبة سيدي يحي والتي أقام بمناسبة تدشينها سنة 1895م حفلا سهل وفود الناس من مختلف المناطق وأصبح هذا المقام مزارا وحج سنوي يفد إليه الناس من مختلف المناطق حاملين معهم نذورهم وذبائحهم متقربين إليه لتحقيق طلباتهم وأمانيهم.

[1] Mathea, Gaudry: op ,cit, p 220.-

كما أحييت أيضا قبة سيدي بلخير وهو الجد المشترك لأولاد عبدي و أولاد داود كما ساهمت في ترميم مساجد سبعة رقود وسيدي قاسم الموجودين في أنقاوس وكانت اعتقادات النساء الأوراسيات كبيرة في الزيارات للأضرحة والقباب، فكان قبر سيدي بلخير مزارا مشهورا يشعلن فيه الشموع ويرسلن صلواقمن فيه كما كانوا يتوسلن للأضرحة والأولياء ويصنعن القرابين التي يحضروها معهم ،وكانت اغلبها من المأكولات كالقلية والتمر والتي كانت تأكل من طرف المساكين بعد ذهابهم [1].

وأيضا تفشى الحلف بمن يعظمونه من الشيوخ والأولياء وأصحاب المقامات ،وكان الإقسام بالأشخاص كثيرة التداول ومقبولة ومألوفة فعبارة حق سيدي فلان كانت قسما أكثر صدق من الحلف بالله، فقد يقسم الحالف بالله فيكذب بينما إذا قسم بفلان فانه يتحرى الصدق في كلامه كما أن المحلوف له لا يطمئن عند حلف القاسم له بالله بينما يحل فيه الاطمئنان إذا قسم حالفه بسيدي فلان.

كما ظهرت عادات اجتماعية اشتهرت لدى النساء الأوراسيات بشكل كبير تمثلت في اللجوء إلى الشعوذة وهي من العادات المناقضة للعقيدة الإسلامية ، وفيها يعودون إلى منجم أو منجمة واغلبهم من النساء اللواتي يستخدمن الجن ويعرفن باسم القزانات ،يدعين قدرتهن على الاطلاع على الغيب والتنبؤ بالمستقبل [2]،فكان الكثير من الناس يلجئون إلى المنجمين لمعرفة ما سوف تكون عليه أحوالهم أو بهدف السحر أو حتى طلبا لتغير حال معينة.

هذه المعرفة أو النبوءة التي يأتي بها المشعوذ لا يشكك فيها زبائنه حتى في حالة عدم حصولها كما يلجأ إليهم للتداوي وهو نوع من الطب الخرافي الذي يستعمل فيه الشعوذة وإن كان اغلب من يستعمله القزنات من النساء ،فإنه وجد أيضا الرجال من الأئمة (الطلبة) وشيوخ الزوايا الذين يدعون حصولهم على الحكمة ،فيقصدهم المرضى سواء من أصحاب الأمراض والعلل البدنية أو العقلية أو النفسية.

وقد كان الناس مهوسين بالسحر فيرجعون كل مكروه إلى عمل السحر، لذلك كثر عددهم بسبب كثر عدد زبائنهم [3].

---

[1] - Mathea, Gaudry: ibid, p 221.
[2] - Mathea, Gaudry: ibid , p 222 .
[3] – Mathea, Gaudry: ibid, p 222 .

ورغم انتشار الطب العلمي الحديث إلا أنه لم يمتلك المصداقية والثقة لدى عامة الأوراسيين التي حملها الطب الخرافي.

وكانت طريقة العلاج فيه يتم بقراءة تعويذات غير مفهومة على المريض أو إعطاءه أعشاب أو مواد مختلفة قد تكون مضرة أو يطلب منه الإقامة في قبة ولي لأيام

وقد كانت هذه المهنة مصدر لابتزاز العامة التي يسيطر عليهم الجهل والإيمان بالخرافة . هذه الأعمال التي تدرج ضمن المخالفات العقدية للدين ، كما أنها ترهن الفرد وتحبس إرادته في اتخاذ الأسباب لتحقيق أمانيه بالعمل والتوكل على الله ، كما طغت الأفكار الغيبية وتجنب التفسير العقلي والعلمي مما أبقى سيطرة الخرافة والأساطير والخيالات ، وهذه الأوضاع كلها لا تسمح بالمجتمع إلى النهضة والدفع به إلى التقدم لذلك كان من أهم دعوات الإصلاحيين بالأوراس توعية جماهيرهم وتحذيرهم من هذه الأنواع من الممارسات المخالفة للدين وأصل العقيدة والمناقضة للعلم والعمل الذي يعد أساس الحياة العصرية .

إن الانتشار الواسع لهذه الأنواع الشركية في أوساط الجماهير الأوراسية استدعى من ناشطي الإصلاح بالمنطقة إلى بذل كل جهودهم من أجل محاربتها والتحذير منها لإدراكهم مدى مفاسدها على الدين وأيضا آثارها الاجتماعية والنفسية التي تحول دون النهضة التي يصبون إليها، فكانت الدروس المسجدية والدروس الوعظية،كما المحاضرات في النوادي الثقافية وأيضا الدروس المدرسية التي احتوتها مناهجها ومواد العقيدة التي تبين للناشئة حقيقة التوحيد والمخالفات الشركية . فكانت دروس الشيخ الطاهر مسعودان ومعاونيه من رجال الإصلاح بالمسجد الجديد تصب أغلبها في تصحيح مفاهيم العقيدة ومحاربة الشرك[1].

وكما قام الشيخ عيسى مرزوقي بأنقاوس بتجنيد نفسه لمحاربة المفاهيم الخاطئة التي ألصقت بالعقيدة والدين وكان منكرا لكل الممارسات الخرافية والشعوذة وكان يعتمد في دعوته على ما تعلمه من شيخه ابن باديس (الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة)[2]،وكانت دعوته هذه تلقى استجابة كبيرة بفضل ثقتهم فيه وحسن تدبيره لعلاج هذه الظواهر.

محاربة الطرق والزوايا الفاسدة:

[1] – مقابلة السابقة مع السيد نورالدين مسعودان .

[2] –المقابلة السابقة مع السيد عبد المالك بورزام .

تعرضنا في فصل سابق للطرق الصوفية ووقفنا على حقيقة أن اغلب الطرق الصوفية والزوايا التي عرفتها المنطقة ،كانت لها مواقف وطنية مشرفة اتجاه الغزو الاستعماري للمنطقة في بداية الاحتلال، فأغلب الزوايا وشيوخها حملت راية الجهاد والمقاومة لسنين طويلة ،كما ساهمت في الجانب الثقافي كتاتيبهم ولو بشكل متواضع في الحفاظ على تحفيظ القرآن الكريم واللغة العربية وأيضا الإبقاء على الشعور الديني لدى الناس حتى على فساد فهمه رغم الأخطار التي تعرض من قبل رجال الدين المسيحيين وبمساعدة الإدارة، فاستطاعت بعض الزوايا إحباط والوقوف في وجه النشاطات التنصيرية التي قادها مجموعة من الآباء البيض وبعض الفرق المسيحية في المنطقة.

كل هذه الأدوار الإيجابية التي تحلت بها طرق و زوايا منطقة الأوراس في بداية الاحتلال ونظرا لهيمنة الاستعمار على المنطقة و فرضه للأمر الواقع بقوة الاحتلال جعلها تتحول لخدمته،هذا التحول تماشى مع رغبة إدارة الاحتلال،التي كانت تعمل على فرض سلطتها على الجماهير المسلمة و لما رأته من مكانة و سلطة دينية و اجتماعية لهذه الزوايا على هذه الجماهير ،فكان من تدابيرها أن تسخرها لخدمتها لتساعدها في توفير واستتباب الأمن لها بضمان خضوع الجماهير المسلمة.

و فعلا مع حلول القرن التاسع عشر (19 م)حتى استطاعت إدارة الاحتلال تدجين أغلب الزوايا و تم لها ولائها وولاء أتباعها التي ساهمت في إخضاعهم، و لم تتوقف عند هذه السلبيات اتجاه الأهالي بل ساهمت في تجميد إرادقم الحرة و تعطل فكرهم و عقولهم عن طريق ممارساقا الفكرية و الاعتقادية و ما احتوته من بدع و خرافات خاطئة نسبتها إلى أصل الدين كالاعتقاد في أن الاستعمار قدر من الله و محاربته هي عدم الرضي على هذا القدر.

و هكذا و لمدة طويلة هيمنت الطرقية على الحياة الدينية و الاجتماعية للمجتمع الأهلي فلم يكن من وجه للدين الإسلامي إلا الوجه الطرقي[1] ، رغم ظهور شخصيات إصلاحية من حين لأخر إلا أن أصواقم كانت خافتة أمام هذه الهيمنة.

إلا أن التحولات التي شهدقا الجزائر عقب الحرب العالمية الأولى، و التي كان جزءا منها في صالح المجتمع الأهلي من حيث زيادة وسائل الوعي فيه، بامتلاكه الصحافة وعودة علمائه من جامعات الشرق "الزيتونة"و "الأزهر" حاملين أفكار الإصلاح الجديدة [2]، بالإضافة إلى الجو العام

[1] – علي ،مراد المرجع السابق ،ص66 نقلا عن الشهاب مارس 1935 ص6.

الذي تميز بتحسن مستوى الحريات في الوسط الأهلي من قبل الإدارة ،و انفتاح الجزائر على بلاد المشرق مما ساهم في تسرب نهضته الدينية و القومية داخلها.

كل هده العوامل دفعت إلى تشكيل جبهة إصلاحية في الجزائر كانت موادها البشرية تتكون بتراكم أصحاب الثقافة المشرقية و اكتشافهم لبعضهم البعض.و بدخول سنة 1925م حتى تشكلت الصورة الكاملة لهذه الجبهة التي تبلورت رؤيتها جيدا و حددت مشروعها الإصلاحي (أولوياته وأهدافه) .

بهذا الظهور تكون قد برزت في الساحة الأهلية قوتان دينيتان متعارضتان إلى حد وجود الواحدة يلغي الأخرى،فالحركة الإصلاحية التي تسعى إلى النهضة والتقدم والإحياء الديني للجماهير والعمل على انعتاقها من أغلال الخرافة والبدع وكل أسباب التخلف من جهة، والجماعات الطرقية التي تعمل على بقاء الوضع الراهن لهذه الجماهير الذي يضمن لها استمرار هيمنتها وابتزازها والذي لا يتوفر إلا بالجمود الفكري والتجهيل و تسفيه العقول عن طريق ما تنشره من بدع وخرافات من جهة أخرى .

ورغم هذا التعارض الذي أدى من البداية إلى الصراع بين الطرفين، إلا أن التأسيس الأول للحركة الإصلاحية لجمعية العلماء سنة 1931م قد ضم إلى جانب الإصلاحيين بعض الشخصيات الطرقية في محاولة للتقارب.

إلا أن عدم القدرة على التوفيق وتوحيد الأفكار والمبادئ والأهداف للجمعية سبب الاختلافات الجوهرية بينهما،جعل من السنة الموالية سنة 1932م ،تاريخ انفصالهم عن بعضهما البعض وعن هذه القضية يقول الشيخ ابن باديس: ((...ما أكملوا السنة الأولى حتى فروا من الجمعية وناصبوها العداء واستعانوا عليها بالظلمة ورموها بالعظائم...ذلك لأنهم وجدوا كثيرا من الآفات الاجتماعية التي تحاربها الجمعية هم مصدرها وهي مصدر عيشهم ،ووجدوا قسما منها مما يغضب محاربة سادتهم وموالتهم))[1] .

يتبين من كلام الشيخ ابن باديس التعارض الكبير بين القوتين الذي يفضي إلى الصراع وبذلك كانت سنة 1932 م قد حددت طرفي المواجهة جليا وأثبتت استحالة التقارب بينهما.

وبالرجوع إلى مبادئ كل طرف يتأكد لنا هذا التعارض ويظهر:

[1] – عبد الحميد ،ابن باديس :أثار الإمام ابن باديس ،ج4 ، دار الطباعة للنشر والتوزيع قسنطينة ،الجزائر ،1991 ، ص198 .

فجاء في مبادئ الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء في هذا الخصوص ما يلي:-

تنص المادة 03 :على أن القرآن هو كتاب الله

والمادة 04: السنة القولية والفعلية الصحيحة هي تفسير وبيان للقرآن الكريم

والمادة 05: سلوك السلف الصالح- الصحابة والأتباع وأتباع التابعين – تطبيق صحح لهدى الإسلام ،ثم فهم أئمة السلف الصالح أصدق الفهم لحقائق الإسلام ونصوص الكتاب والسنة.[1]

بهذه المرجعية السلفية لفهم الإسلام تكون الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين قد حسمت الخلاف مع الجماعات الطرقية في المنهج ورؤيتها لمشروع المجتمع الذي تريد إنشاؤه على أنقاض التدين الطرقي .

بينما جاء في مبادئ الجمعية الطرقية الذي يظهر في المادة 03 من قانون ((جمعية السنة)) ((إحياء السنة الدينية ونشر الفضائل والكمال الأخلاقي وفق الكتاب والسنة وتعاليم المدارس الأربع ومبادئ الفقه والنصوص و الدين))[2].

إن اعتبار الجمعية الطرقية التصوف مصدرا للدين معناه اعتباره أحد مصادر التشريع، وهذا ما اعترض عليه الإصلاحيون وكان نقطة الخلاف والتعارض بينهم، فالإصلاحيون ينكرون التصوف كمصدر ديني في الإسلام،بل يرون أن التصوف كما يفهمه ويمارسه الطرقيون هو مصدر كل الاعتقادات الفاسدة التي كانت مصدر لتراجع الدين والدنيا لدى الجماهير المسلمة .

يقول الشيخ البشير الإبراهيمي :((...إن هذه الطرق المبتدعة في الإسلام هي سبب تفرق المسلمين وأنها السبب الأكبر في ظلالهم في الدين و الدنيا ...ونعلم أننا حين نقاومها نقاوم كل شر وأننا حين نقضي عليها إن شاء الله نقضي على كل باطل ومنكر وظلال ...)) [3]،من خلال ما ورد في قول الشيخ البشير الإبراهيمي نخلص أن الإصلاحيون يحملون الطرق الصوفية المنحرف مسؤولية ما آلت إليه أحوال الجماهير المسلمة من فرقة وتباغض بين إفرادها وانتشار للمنكرات والضلالات والباطل فيها ، وبذلك فان محاربتها من الأمور التي يجب أن تتقدم الاهتمامات والأعمال الإصلاحية.

في حين يذهب الشيخ الطيب العقبي ممثل المدرسة الوهابية في الحركة الإصلاحية في الجزائر إلى أبعد من ذلك ، إذ ينكر اتجاهه الطرقية لذاتها كتنظيم لأن الإسلام على حد تعبيره لم يعرفها ،كما ينكر

[1] – عبد الحميد ،ابن باديس : أثار الإمام ابن باديس ،ج5،المصدر السابق ، ص184 .
[2] – علي، مراد: المرجع السابق، ص174 .
[3] -

التصوف كعقيدة أو مصدرا للأخلاق في الإسلام فالأوضاع الطرقية بدعة لم تعرفها حياة السلف[1].

كما إن التراتبية الدينية التي وضعتها الطرقية في تنظيمها انجرت عنها طبقية دينية واجتماعية واقتصادية لا تبت للإسلام بصلة، وقد ضيعت فيه أهم دعوة له وهي ((العدالة والمساواة)) ، وقد استطاع الفكر الطرقي أن يصور الشخصيات الطرقية و المرابطية من قبيل الشيوخ والمرابطين وأعضاء أسرهم على أنهم شخصيات منزهة اصطفاها الله وخصهم عن العامة بما منحهم من ميزات لا يمكن أن يطالها الآخرين من البشر العاديين[2].

إن مقامهم الروحي العالي ،هذا المقام الديني في نظر الناس انعكس على الوضع الاجتماعي، فأصبحوا طبقة اجتماعية ترتفع على ما في الطبقات ، يمارسون الاستعلاء من كل مظاهرهم الاجتماعية والذي يظهر من ممارسات العامة من مظاهر تقبيل اليدين في إذلال والجلوس عند الرجلين وخدمة الشيخ وأولاد الشيخ دون مقابل...

أما الناحية الاقتصادية فإن الأسر المرابطية (الطرقية)كونت قوة اقتصادية بفعل الهبات والوعدات والزيارات التي كانت تصلهم من الأتباع ، والاستغلال المفرط للأتباع في أملاكهم وأيضا ما يمنحه الحكام من أراضي وأموال وأملاك لقاء خدماتها والتي استمرت حتى في عهدة الإدارة الاستعمارية.

هذه الأوضاع الطرقية كانت أوضاع مستهجنة من قبل الحركة الإصلاحية فجاء في المادة 16 من قانونها بشأنها ما يلي :((الأوضاع الطرقية بدعة لم يعرفها السلف ومبناها كلها على الغلو في الشيخ والتحيز لإتباع الشيخ وخدمة دار الشيخ وأولاد الشيخ إلى ما هنالك من استغلال وإذلال وإعانة لأهل الإذلال والاستغلال))[3].

إن هذه الأوضاع الاستغلالية لأصحاب الطرق الصوفية للعامة على الفاقة الاقتصادية التي كانوا عليها ،كانت بسبب سذاجتهم الدينية واعتقادهم أنها واجب ديني، لذلك قامت الحركة الإصلاحية بمعالجة هذه القضية من خلال توعية الجماهير وفضح هذه الممارسات بوصف هذه الأحوال حتى تصبح في متناول العقل للتأمل فيها وحصول إمكانية تجنبها .

---

[1] – فهمي ، سعد :حركة عبد الحميد بن باديس ودورها في نهضة الجزائر ، دار الرحاب للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ، لبنان ، ط 1983،1، ص63.

[2] – علي، مراد: المرجع السابق ، ص330.

[3] – أثار ابن باديس ،ج4 ،المرجع السابق ،ص184.

كما أنكر الإصلاحيون على رجال الطرق والزوايا مــواقفهم المتخاذلــة وخدمتــهم الإدارة الاستعمارية ،معتبرين الطرقية حليف للاستعمار و مصدرا للتخاذل والجمود والاستســلام تجــاه الوضع البائس للأهالي ،هذا الوضع الذي كان يجلب لها الكثير من المكاسب ،وبهذا الصدد يقــول الشيخ خير الدين : ((...أصبح برهان على ضرر الطرقية وأثرها الفعال في موت الشعوب ،إنها ما انتشرت في بلد إلا كان عنوان الجمود والتأخر والانحطاط ،وكان أكلة سائغة للأكلين ،وما قلت في بلد إلا كانت أقرب إلى النهوض والسعادة ...))[1]، من هذا القول نستنتج أن الإصلاحيون رأوا التخلف والضعف الذي يعرفه المجتمع يعود أساسا إلى الطرقية من خلال إفشاءها للجهل والبــدع والشعوذة التي تجعل من أفراد المجتمع متروعي الإرادة بسبب سذاجتهم وانعدام الــوعي لــديهم لإدراك الحقائق المزيفة التي بنتها الطرقية وتعتاش بها على حسابهم ،لذلك وضعوها في خانة واحدة مع الاستعمار من حيث خطورتها على نهضة المجتمع .

إن التقدم التدريجي والطردي للفكرة الإصلاحية الذي عرفته بمضــمونها الفكــري والثقــافي ومشروعها الاجتماعي في الأوساط الأهلية التي تحقق لها من خلال الكثافة الكــبير ة لنشــاطاتها ونضالات أصحابها ،قد رأت فيه الجماعات الطرقية تهديدا مباشرا لمزاياهــا ونفوذهــا، لــذلك استنفرت نفسها للحفاظ على وجودها الذي يستدعي الوقوف في وجه المد الإصلاحي.

من هذه الاعتبارات أقدمت الجماعات الطرقية على اتخاذ إجراءات عبرت من خلالهــا علــى مدى استيعابها إلى حد ما لوسائل المعركة الحالية في حسم الرهان بينها وبين الإصلاحيين، فأقدمت على إحياء مدارسها وأدخلت عليها تحديثات بهدف جلب أعداد معتبرة من التلاميذ لاستدراك ما يمكن إنقاذه مما سوف تفقده من الشباب ، كما أدركت أهمية الصحافة كوسيلة للدعاية والسجال الجديد مع خصومها فأنشاءت صحافة لهذا الغرض، بالإضافة إلى الإقدام على العديد من المحاولات لتنظيم نفسها ورص صفوفها في وجه نديتها الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء ،فبعد"جمعية السنة " سنة 1932م، أقدمت الجماعة الرحمانية على عقد مؤتمر لزواياها انبثقت عنه"جمعية الإخــوان" في نوفمبر 1936م ،التي كان من بين أهدافها المحافظة على الزوايا وأواصر الأخــوة المشــهورة، وكذا الرفع من صيتهم وشهرتهم[2] .

[1]– محمد ،خير الدين :للحقيقة والتاريخ في الزوايا ، البصائر ،العدد124 ، 29جويلية 1938ص2.

[2] - Mostfa Haddad : op ,cit ,p 166.167

كما بنت الجماعات الطرقية تحالفات إستراتجية مع الأطراف الأخرى التي تتفق معها في معارضة حركة العلماء،فكان تحالفها مع التيار الإدماجي وعلى رأسه بن جلول[1]، فضلا عن الإدارة الاستعمارية التي توافقت إلى حد بعيد نظرتهم اتجاه العلماء في السعي للقضاء عليها وإضعافها، وكانت تعتبر الإدارة الجماعات الطرقية مشروعها الذي يمكن أن تقف به ضد الإصلاحيين فدعمتها بكل وسائل السلطة والقانون ،إلا أن الصراع بين الطرفين الإصلاحيون من جهة والجماعات الطرقية والمرابطة من جهة أخرى كان يتجه إلى صالح الأول ولعل الظروف والتطورات التي شهدتها الأوساط الأهلية كانت وراء ذلك:

توسع مظاهر التحديث و العصرنة في الأوساط الأهلية بفعل دخول الوسائل المدنية والحديثة حياتهم اليومية ،والتي كان أثرها على تطور وتغير الأفكار والسلوكات والعلاقات الاجتماعية التقليدية كما أيضا ساعد التعليم الفرنسي القائم على العقلانية والعلمانية وهي سمات الفكر الغربي الحديث، وهو الفكر الذي جاء على أنقاض الفكر اللاهوتي المسيحي القرواسطي والذي يحمل نفس الخصائص المرابطية في ظهور تيار داخل المجتمع يتصدي بالنقد للمظاهر الدينية خاصة منها غير العقلانية ذات المصدر المرابطي [2].

كما بدأت كذلك نضالات الحركة الإصلاحية تأتي أكلها من خلال نشاطاتها التعليمية المدرسية الموجهة للناشئة والمبني على نظرة التنوير القائم على بناء العقل وذو المضامين والمواد الدينية ذات البعد السلفي حتى تحسم المستقبل لصالح أفكارها .

كما استدركت أيضا فئة الكبار من خلال التعليم المسجدي ودروس الوعظ والإرشاد مستهدفة تصحيح عقائدهم الخاطئة التي تنشاؤا عليها في فترة هيمنة المرابطية[3]، كما سخرت كذلك الحركة الإصلاحية وسيلة الصحافة لدعايتها ضد الطرقية وقد أسست العديد من الصحف حتى قبل التأسيس التنظيمي لجمعية العلماء[4]، وقد كانت ذات تأثير بالغ في تغير الأذهان والوعي بسبب ميزتها الثقافية و مضامين مقالاتها.

---

[1]- Mostfa ,Haddad Ibid, P 167 .et Robert montagne: la fermentation des partis Politique en Algérie, politique étrangère, Bulletin ("Puis Revue") puplier … par centre d'études de politique étrangère imprimé en France 1993/04 typographie firmir didantetcie paris 1937 P31.

[2] – فاني ، كولونا :المرجع السابق ، ص289.

[3] – محمد البشير الإبراهيمي :دروس الوعظ في رمضان ،البصائر ،العدد 125، 21ماي 1951.

[4] – انظر الملحق رقم 12،ص208.

كما لعبت مؤسسات الأندية الإصلاحية دور كبير في انتشار وتعميق الأفكار الإصلاحية عند الشباب من خلال المحاضرات والنشاطات الأخرى التي كانت تستهدف ترقية أذهـــان الشـــباب. هذا المشهد الصراعي بين الطرفين الذي عرف في الوطن وخاصة في شرقه أين عاصمة الإصـــلاح قسنطينة ،لم يظهر بالشدة في منطقة الأوراس و لم تظهر معارضة من الزوايا للحركة الإصلاحية في المنطقة إلا تلك المحاولة التي قادها الأمين حفيظي بخنشلة[1] والتي لم تعمر طويلا ،ولعل هذا يعود إلى خصوصية الحركة الإصلاحية في الأوراس فالناشطين الإصلاحيين لم يظهر عداء ا للطرق الصوفية والزوايا ولا نستغرب هذا الموقف فأغلب ناشطي الإصلاح بالأوراس أصحاب انتماء طرقي ومـــن عائلات مرابطية بفضلهم تحقق التعايش ،وقد سهل هذا الأمر أيضا أن أغلب الزوايـــا في الأوراس تميزت بعدم ميلها إلى الميتافيزيقا والغيبيات الخرافية بالشكل الذي عهد عند الطـــرق والزوايـــا في النواحي الأخرى من الوطن[2]، كما ساهمت الفكرة الإصلاحية في هذا التعايش من خـــلال أنهـــا كانت امتداد للتعايش الذي أسسته الحالات الإصلاحية الأولى في المنطقة ،أين أظهرت المرابطيـــة عدم تخوفها أو أي نوع من الكراهية بل سخرت لها عقاراتها وعملت تحت غطاءها ورعايتها ،كما أيضا ساهم موقف العديد من الزوايا من الاستعمار الذي ضرب مكانتها وهمشها إلى بقائها علـــى موقفها من حيث عدائها إليه وعدم مولاته سوءا من الوجهة الدينية باعتباره سلطة كافرة في ديار الإسلام تحرم طاعتها والخضوع لها ،أو من جهة ممارسات الإدارة ضدها والتي نزعتها كل امتيازاتها وأضعفتها لحساب الزوايا الأخرى التي سارت في خدمتها ، من هذا الموقف والوضعية لهذه الزوايا نظرت إلى الحركة الإصلاحية كحركة مقاومة للاستعمار وحليف لها لخدمة الكثير من الأهـــداف ،لهذا لم يكن من الغريب انتماء الزوايا إلى الحركة الإصلاحية ومشاركتها في تحقيق أهدافها .

وصفوة القول أن الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء قد راهنت في نشاطاتها الثقافية علـــى دور التعليم والذي تضعه من أول أولوياتها للمراهنة عليه في إيقاظ جماهيرها ونهضتها وقد برز ذلك جليا في منطقة الأوراس التي ركز فيها ناشطي الإصلاح بها في نشاطاتهم على النشـــاط التعليمـــي فسهرت جمعياتهم المحلية على تشيد المدارس والتي عرفت توسعا كـــبيرا وســـريعا فاجـــاء الإدارة الاستعمارية بها ورغم العوائق التي وضعتها هذه الإدارة ضدها إلا أن عزيمة الإصلاحيون كانـــت

[1] -زوزو، عبد الحميد: الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي (التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية) 1837-1939، ترجمة مسعود حاج مسعود، ج2، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر، 2005،ص55.

[2] – مصطفى ، حداد :التاريخ الاجتماعي للأوراس ، محاضرة غير منشورة ألقيت على طلبة دفعة الماجستير تاريخ الأوراس الحديث والمعاصر ،جامعة باتنة 2006-2006.

أقوى فتوصل افتتاح المدارس حتى وصلت خدمة التعليم المدرسي إلى كل أبناء الأوراس حتى في المداشر الصغير، كما سخرت المساجد لأداء وظيفة التعليم وقد أشتهر العديد من المشايخ بدورهم التعليمي فحولوا مساجدهم إلى معاهد صغير أنارت الظلمة التي كانت تعم مناطقهم وقد لقت النشاطات التعليمية الإصلاحية إقبالا جماهيريا والذي يعود إلى شغف هذه الجماهير بالتعليم الذي انقطعوا عليه لمدة طويلة بسبب الاحتلال وأيضا نوعية التعليم الذي وفر ميزات تجمع بين اعتماده على الطرق والوسائل الحديثة والمضمون العربي الإسلامي الذي تحقق من خلالها أهدافها النهضوية كتعليم اللغة العربية التي تعدها ضرورة من ضرورات الإصلاح باعتبارها مكون أساسي للشعور القومي والاستقلال الوطني ووسيلة من وسائل مكافحة الاستعمار فيها ،تنمي الذات الجزائرية التي تميزها عن المجتمع الفرنسي ،كما نظر الإصلاحيون إلى اللغة نظرة دينية باعتبارها لغة عبادة ولغة القرآن والتي لا يمكن الوصول إلى الدين أو القيام به إلا من خلالها.

كما تميز النشاط الثقافي للحركة الإصلاحية في محاربة البدع والخرافات التي تفشت في المجتمع الأهلي وغيرت محتوى الدين الإسلامي بشكل أصبح ممارسات واعتقادات غبية لا تساعد على النهضة والتطور كما أبعدت الدين عن تعاليمه وعقائده عن أصلها الأولى ولأن الحركة الإصلاحية في الجزائر ذات البعد السلفي في دعوتها فإنها وضعت من أولى أولوياتها تصحيح العقائد كما جاءت في الكتاب والسنة فركز الشيخ ابن باديس في دروسه لطلبته على العقائد بالمفهوم السلفي ولأن اغلب ناشطي الإصلاح بالاوراس كانوا طلبته ومن أوساط مرابطية فإنه استطاع من خلال دروسه هته أن ينجح في زرع مفاهيمه العقدية السلفية فيهم ليتم من خلالها معالجة أوضاع العقائد لمنطقتهم التي كانت تتفشي فيها مظاهر البدع والخرفات بشكل مس جميع مستويات حياتهم وأصبحت في كل عوائدهم اليومية.

هذه الدعوة إلى تصحيح العقائد ومحاربة الشرك جعلت المشروع الإصلاحي يصطدم مع الطرقية لذلك ركزت الحركة الإصلاحية في دعايتها من الوهلة الأولى على مهاجمة الطرق الصوفية وممارساتها التي كان يرى فيها الإصلاحيون أنها بالاضافة إلى تشويهها وتزيفها لحقائق الدين فإنها تقف حجرة عثرة أمام تقدم المجتمع ونهضته من خلال تجهيله وإفقاده لوعيه وفرملة مسيرة تطوره لكي يتسنى لها استغلاله.

من هذه الخلفية جندت الحركة الإصلاحية أقلامها عبر صحافتها لكشف وفضح الألاعيب الطرقية ،إلا أن هذا الخلاف الذي تطور إلى صراع بين الطرفين لم تشهده منطقة الاوراس بل

تحقق بينها التعايش والتعاون ولعل هذا نوعزه إلى خصوصيات زوايا المنطقة بالاضافة إلى خصوصية الإصلاح بها من خلال ما تميز به ناشطوه بالمزاوجة بين الانتماء الطرقي والإصلاحي في أن واحد ، فحققوا بذلك أهداف الإصلاح الكبرى من نشر للتعليم ذو البعد الإصلاحي و محاربة البدع والخرفات وتصحيح العقائد .

الفصل الرابع : الدور الاجتماعي للحركة الإصلاحية في الأوراس

المبحث الأول :الفكر الاجتماعي للحركة الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين

المبحث الثاني :الدعوة إلى التكافل الاجتماعي

المبحث الثالث :الدعوة إلى العمل

الفصل الرابع : الدور الاجتماعي للحركة الإصلاحية في الأوراس

بالإضافة إلى الدور التربوي والديني الذي عرفت به الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء والمتمثل في نشر التعليم وتصحيح العقائد ،فإنها كذلك لم تغفل عن دورها الاجتماعي باعتبار أن نهضة الأمة يجب أن تمس كل جوانب الحياة،فلذلك كانت دعوتها كبيرة للتكافل والتآخي وجمع الصفوف ووحدة الأمة لمجابهة الاستعمار والتخلف الحضاري ،كما دعت أيضا للعمل باعتباره مقوما أساسيا للنهضة المادية والمعنوية للأمة.

المبحث الأول: الفكر الاجتماعي للحركة الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين

حظيت الطبقة الاجتماعية الأهلية باهتمام كبير في فكر ونشاط العمل الإصلاحي لجمعية العلماء ،ذلك أن أفراد جمعية العلماء خرجوا من هذه الطبقة فكانوا أقرب للشعور بقضاياها ومشاكلها فجعلوا نهضتها وإصلاحها من أسمى أهدافها،وعليه نجد أن هده الطبقة قد استأثرت بحصة الأسد في حيز اهتمام الجمعية ،من هذا الاعتبار فرضت عليهم قضاياها الاجتماعية التي تعد جلها مشاكل تنوء بها.

إن التخلف الحضاري الذي يمتد من القرن 16 ميلادي إلى طوال الفترة الكولونيالية ،يعد أحد الأوجه المسببة لهذه المشاكل ، والذي ساهم في القضاء على الكثير من المظاهر الايجابية التي حفلت بها الشعوب الإسلامية في فترة ازدهار حضارتها التي جاء بها الإسلام ،وأولى قيمها بالغ الأهمية لبعدها في تحقيق الكثير من المقاصد.

فالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية من خلال تشريعها كانت تضع القوانين والأخلاق الاجتماعية المحمودة التي ترتبط بعضها بالعقائد وأخرى بالفضائل ، كما كانت تنهى عن المفاسد ، كل هذا كان ليصل إلى بناء المجتمع المسلم المنشود.

إن الدعاية الاجتماعية للفريق الإصلاحي كثيرا ما استحضرت سيرة الحياة الأولى للسلف ،مظهرة تلك الأخلاق التي كانوا عليها ويعيشون بها فيما بينهم ، وكيف ساهمت في بناء أنموذجا اجتماعيا لمجتمع مثالي ، مستند في موارده على العمل بما جاء في القرآن والسنة ، فمثلا خصصت جريدتهم الشهاب منذ جانفي 1934م ركنا بعنوان :<<***رجال السلف ونساؤهم***>> مبرزين من خلاله العديد من الفضائل التي تميزوا بها ك: (التضحية و الصدق و الإخلاص و الاستقامة و التفاني) ، وقد أبانت الجريدة عن أهداف هذه الدعاية فجاء في تصديرها لهذا الركن ما يلي :

((...هذا الركن ندشنه في الشهاب وغايتنا من وراء ذلك أن نظهر لقرائنا وجه بعض رجالنا ونسائنا من بين خيرة السلف ، وان تبرز خصالهم السامية التي هم مدينون بها للإسلام، وكذا أعمالهم الجليلة التي أقاموها لخدمته، وهذا ما يثلج صدر المسلمين ويسهم في ترقيتهم الأخلاقية ويدفعهم إلى أن يحذو ا حذوهم ، وأن يبعث فيهم الحياة من جديد فلا حياة للأجيال الجديدة دون الاقتداء بالسلف الصالح ...))[1].

كل هذه الدعاية الإصلاحية كما نستشف من التصدير ،كانت في جزئها الكبير هي تشويق للجماهير المسلمة لحملها على إحياء الأخلاق والشعائر الدينية ،والالتزام بها وفق المثال السلفي الأول ،والذي يرى فيه الإصلاحيون أنه الملاذ والخلاص لكل مشاكلهم ،لأنه كما أمن الحياة المنشودة في بدايات الإسلام، فهو جدير أيضا بتأمينها عبر كل الأزمنة ،وللإيمان و الثقة الكبيرة بهذه الفكرة كان كثيرا ما يتردد في أحاديثهم ما أثر عن الإمام مالك رضي الله عنه : (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها)[*] .

إن هذه النظرية الإصلاحية في معالجتها للقضايا الاجتماعية للجماهير المسلمة ، كانت حذرة إلى درجة النفور من استعمال أدوات تحليلية للنظريات الحديثة للعلوم الاجتماعية لهذه القضايا التي أصبحت تنبع من المجتمع ،الذي أصبح هو الآخر جزءا من هذا العالم الحديث الذي عقد كثيرا من مشكلته بسبب الاستعمار ، هذا الأخير الذي يعد وجها آخر في أسباب هذه المشاكل .

فرداءة الظروف الاجتماعية التي كانت تتفاقم على هذه الجماهير بسبب القوانين الليبرالية الجديدة التي استقدمها الاستعمار- من الملكية الفردية وتوزيعها ومصادرتها إلى التنظيمات والقوانين الإدارية – كلها أدت إلى تحلل وتهدم البنية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التقليدية ، التي كانت تحقق من خلال هذه الجماهير توازناتها وحاجياتها في مختلف الميادين السابقة،ولم تعوضها الإدارة الاستعمارية ببناء أو نظام جديد ،مما جعل الوسط الأهلي مولدا للمشاكل الاجتماعية ويواجه تحديا كبيرا في علاجها.

كما أن التحولات التي طرأت عليه ــ بسبب القوانين الجديدة ــ جعلته من جهة يعيش غير بعيد في تطوره عن الحياة القروسطية ،ومن جهة أخرى يعاني في الآن نفسه التحديات

[1]-الشهاب ، جانفي 1934 ،ص 14.

[*]- هذا القول المأثور ثبت قوله للإمام مالك بن انس.

الاجتماعية للعالم الحديث ،وقد كان هذا الوضع يتزايد أكثر بتزايد الترابط والتواصل بين الجزائر و المتروبول من خلال شبكة من أساليب الاستغلال التجاري والإداري والسياسي ،كما أن دخـــول الآلة والتقنية إلى وسطه أصبح لا يقبل بالعامل الأهلي الذي لم تتوفر له فرص التكوين ، مما جعـــل أعدادا كبيرة منهم كبطالين ،وأضاف عجز بيئتهم على تلبية حاجياتهم الاقتصادية مما دفع بهم إلى الهجرة ،والتي عرفت توسعا بعد الحرب العالمية الأولى سواء باتجاه فرنسا أو الحواضـــر الكـــبرى بالنسبة للريفيين،مما سمح بالاحتكاك المباشرة مع الأشياء الحديثة ،الأمر أسهم بشكل لافت في التغير العام للأذهان ،والذي ظهر جليا في تبنيهم لطرائق جديدة في السلوكات الاجتماعيـــة وأســـلوب العيش والتفكير، أبرزها ظهور الروح الفردية والتحرر مما ترتب عنها علاقات جديدة قللت مـــن هيمنة القوانين الاجتماعية الموروثة والتي كانت تصونها القبيلة وأهمها التضامن والتكافل .

هذه التحولات الكبرى كانت تتوسع وتتسارع بشكل ملفـــت إلى أن غـــيرت الصـــورة النمطية للمجتمع ورمته في أتون النظام الاجتماعي الحديث.

من الاعتبارات السابقة نخلص أن التناول الإصلاحي للقضايا الاجتماعية للجماهير المسلمة ، والتي يعتمد فيها على العودة إلى المثال السلفي البحت ، قد بالغ في تبسيط الأمـــور ممـــا جعـــل المعطيات الاجتماعية الأهلية الحديثة وأدوات ووسائل تناولها والنظر فيها قديمة ،مما يضـــع الفكـــر الإصلاحي في تحد مع الواقع .

صحيح أن مصطلحات الاجتماع والاقتصاد قد دخلت استعمالات الإصلاحيين ،ولكنها لم تتعد أن تكون كلمات بسيطة في خطاباتهم ، و لم تظهر استخداماتها في معالجة أوضاع المجتمـــع ،وقد يكون مرد هذا مثل ما ذهب الأستاذ علي مراد إلى : إن الإصلاحيين لم يكونوا مجهـــزين فكريا وعلميا بشكل كاف للخوض في القضايا النظرية والتقنية، وهذا بسبب تكوينهم التقليـــدي وأحادية لغتهم العربية مما يمنع وصولهم للوثائق والمصادر الأجنبية للاطلاع على النظريات الحديثـــة ،وبذلك فإن معظم أفكارهم عن الشيوعية والرأسمالية واللبرالية هي مجرد أفكار مقتضبة وعامة[1].

أضف إلى ذلك أن الخلفية السلفية والصارمة للإصلاحيين قد حملت قـــراءاتهم إلى اعتبـــار النظريات الاجتماعية والاقتصادية الحديثة من قبيل الشيوعية والرأسمالية على أنها قـــوانين وضـــعية مخالفة للتشريع الإسلامي ، وبذلك فهي في تعارض مع العقيدة التي طالما سخروا كل جهـــودهم

[1]- – Mérad, Ali: Le réformisme musulman en Algerie (de 1925-1940), Mouton, Paris 1967.P299.

لحمايتها وصيانتها،وهذا ما يتأكد في أحد أقوال الشيخ ابن باديس في هجومه على الشيوعية فيقول:(الشيوعية الملعونة ، كعقيدة مخالفة الإسلام)[1].

والحق أن الإعراض أو العجز من قبل الإصلاحيين في الأخذ بالنظريات الاجتماعية الحديثة لمعالجة المسائل الاجتماعية المتعلقة بالجماهير الأهلية ،والتزامهم الصارم بالأفكار الدينية السلفية ، لم يجعل منهم زاهدين في النظر إلى المستقبل ومعرضين على العصرنة ، بل كثيرا ما دعوا إلى التجديد الذي يعني الثورة على التقليد المفضي إلى الجمود وناشدوا التعلق بالعصر والتفاعل معه فيدعوا ابن باديس قائلا: (كن ابن وقتك تسير مع العصر الذي أنت فيه ،بما يناسبه من أسباب الحياة، وطرق المعاشرة والتعامل ،كن عصريا في فكرك وفي عملك وفي تجارتك وفي صناعتك وفي تمدنك وفي رقيك)[2]،ومما سبق نستخلص أن ابن باديس نشد هوية عصرية لجماهيره والتي يبدو أنها تحقق من خلال التوليف بين عناصر الثابتة الجذور في الماضي ومتطلبات العصر.

المبحث الثاني :الدعوة إلى التكافل الاجتماعي :

تعد الدعوة إلى التكافل والتعاون من أهم الدعوات الاجتماعية التي حملتها وركزت عليها الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء من خلال نشاطاتها الاجتماعية في الوسط الأهلي وقد كان وراء فرض هذه الدعوة، الواقع الذي كانت تعيشه الجماهير الأهلية الذي تميز بانتشار المظاهر السلبية التي أدت إلى اختفاء الكثير من صور الأخوة والرحمة والوحدة والتماسك ...، والتي كانت كثيرا ما يضمنها التكافل، وحلت محلها صور الإهمال واللامبالاة والضعف ، والتي أدت إلى تفشي مظاهر الانقسام التي كانت جلية بين مكونات المجتمع، بين العائلات في القبيلة الواحدة وبين القبائل في المنطقة الواحدة وبين المناطق في الوطن.

إن هذا الاختلاف والانقسام شجعته إدارة الاحتلال من خلال إثارة النعرات والفرقة بين أفراد المجتمع، كما كانت دائمة البحث عن نقاط الاختلاف بينهم وخلق أخرى، وتطور الأمر بها إلى محاولة الفصل بين المجموعات المكونة للأمة الجزائرية من خلال إحياء النزعة البربرية لفصم الالتحام بين المجموعة العربية والمجموعة الأمازيغية التي صهرت في تاريخ وثقافة واحدة من فترة دخول الإسلام إلى بلاد المغرب إلى الدخول الاستعماري، وبهذه النزعة التي تبنتها الإدارة ضد

[1] - Mérad, Ali: : ibid ,p301،نقلا عن الشهاب ،أوت 1930،ص443.

[2] - الشهاب ،العدد 49،سنة الثانية ،23 أوت 1926.

وحدة الشعب الجزائري تعمقت الاختلافات بين القبائل وأحيت النعرات ونمت المشاحنات بينهم وأذكت كل صراع ووفرت أسبابه.

فضلا عن أن دخول الانتخابات للمجموعة الأهلية أفضـــى إلى آثـــار ســـلبية أدت إلى اختلاف سكان المنطقة الانتخابية ،فكانت أغلب مناطق الجزائر تشهد صـــراعات وانقســـامات عقبت كل عملية انتخابية.

كما استطاعت الإدارة أن تنفذ إلى عمق الخلافات بين الطرق الصوفية وحتى الزوايـــا في الطريقة الواحدة والتي كانت تتنافس فيما بينها لاستقطاب على أكبر عدد من الأتباع والمريـــدين ،وبذلك بتقوية واحدة على الأخرى و تسليط بعضهم على بعض.

كما ساهمت اعتقادات الطرق من جهة أخرى في احتكار الدين الإسلامي علـــى ذاتهـــا، وتكفير من كان خارجها مما أدى بالناس إلى سباب وتكفير بعضهم بعضا، ممـــا زرع الشـــحناء ووسع الفرقة والهوة بين الناس .

أضف إلى ذلك كله ضعف التأثير الديني عند الناس ،ذلك أنه كان يعتبر سببا رئيسيا في الحفاظ على لحمة المجتمع ومن خلاله كانوا يشعرون بالاتحاد ويقول تعالى: ◑♑♌□
☐♎◑⌘□◆□⧄⬅▫ ☺♋⌘□ ☐♎⬅☞⬆📖 ⬀☠⬈▤⬅☞□✌⬆📖 ☐◆❍⬆✌□□ ◑♑☉◑ ○♑⑨⧄□☐☾
□◆□📖☼◆❻ ⚐◆☼□📖◆□ ⑥◆⛂☁⧗⬀☠⬈▤⬅⑨⬅⌨⇳⬉♈♈⬩▫ ♍□⬅⑨ ⬀⚡⬁ ⬘⌀✂⬀
[1] ويقول أيضا: ◑♑☼✱☺⧄♈ ✂♈⏎⏎⬂☺⬅⬩⬀✌♑♑☾⬉□♌◆
◑♑⌘⬃□◆□⊲ ⬩▫♙□⏰⇳◼♑⬩⬅□✂☎ ◆✓⬃✗◆
□◆✂♈✍□◑⬅□✂☎📖□⌘⧄□◆③⬃▤⬈◪⬀ ✂♈✎⅄
♏⬩⬅⧄◼✦▤⬈◪⬃ ✍⬅❷⬀□⊠♗⬅□♌◆ ⬀⬁⬀⬘ [2] ،كما جاء في الحديث النبوي الشريف : ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .))متفق عليه

كما حملت الكثير من تعاليمه ما يبعث إلى إنماء الوحدة عند المسلمين كاللغة وأداء نفس العبادات والشعائر والتي تحمل البعد التضامني والمساواة كالصلاة والزكاة والحج ... و جاءت آيات أخرى للحث على التعاون ورعاية المصلحة العامة باعتبارها مصدرا للقوة، قال الله عز و جل : ○ □◆✍⬩⬅⧄♈□◆☼⬅□✂☎ ⬉◆✍◼❼ ✂♈♏⬂♏⬀❸♒♑
□◆✂♈♏✍☝✸◑⬂□◆❽▤ ☎ □◆⬩⬩ ✍⬩⬅⧄♈□◆☼⬅□✂☎
⬉◆✍◼❼ ✂♈“☼⚐⬂⚐⬀ □◆✂♈♏⬂⬅⬉⑨⇳□◆⏰♌⬀ 🗐

[1] – سورة الأنبياء ،الآية 92.

[2] – سورة الحجرات ،الآية 10.

⅄✐☝✂ □♌♐◑ ☎ ⅄✐☝✂ ☎✂❑➔◑□✍☝✂◆❒
⅄⊠⑨⓷♋⑨➔ ✂☝⑲⊔➔♋◑⬧☝⊕✐ ✐♓✂[1] . وقد زاد في هذا الضعف تراجع العلماء في أداء رسالتهم وتراخيهم عن واجب الدعوة والوعظ والإرشاد .

وما إن تأسست الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء حتى قامت بإحياء مظاهر الأخوة والتضامن والتكافل والوحدة، باعتبار أن أي نهضة اجتماعية وحضارية لهذه الأمة لا تقوم إلا بالاتحاد، فكان تأسيس جمعية العلماء إحدى صور هذا الاتحاد الذي يدعو إليه الإسلام، فقد استمد الشيخ ابن باديس ومعاونيه فكرة اجتماع جهودهم في جمعية العلماء لنهضة هذه الأمة من التعاليم القرآنية وتعاليم الرسول (ص) ،فكثير من أدبيات القرآن تصور المؤمنين حزبا واحدا وكالبناء والجسد الواحد ، فهذه التعابير و الإيحاءات الدينية كانت تمد الوعي الإسلامي بنزعة الاجتماع في كل الأعمال التي من شانها خدمة المصلحة العامة [2].

وقد آمن الإصلاحيون بأهمية التكافل وارتباطه الكبير بالإيمان وأصل العقيدة، مستمدين هذا الفهم من الآية القرآنية في قوله تعالى: 🕮❒❻◆⬈◆③⬀💣✿ ✂☝✐⅄🕭♋❽
⬃①♋♑⊕⊠⓿⬧▫ ✐♓✂ ✐▫⇦♋♏☝✐☝☝♐✍ ⊃⊕✐ℯ⓿⬧≣⬉③
⬧⬧◆❒ ✐♓✂ ⌘⚐⑩♋☺◆⑩⊔♑☝✂ ❻⬋←⑨◆③ ❾♋🕭⅄✐☝✂
✐✗✓⇦≣⬄○♋☺⊔♑☝✂ ♋✈☝⮹➔⬧☪ ▤❼■✍◆⬉ ❺⮙⬅◆⬧⑥
✐♓✂ [3]،في هذه الآية يرتبط بعض مظاهر التكافل التي تحول إلى واجب ويرتبط أداؤها بالتصديق بالدين و يتدعم هذا التفسير والفهم بالحديث النبوي الشريف في قوله صلى الله عليه وسلم : ((ما آمن بالله واليوم الأخر من بات شبعان وجاره جائع)) ،وهنا توكيد على ارتباط التكافل بأصل العقيدة، ولأن الحركة الإصلاحية مثل ما أسلفا سابقا تعتمد الإسلام كمصدر لأفكارها ومنطلق لعلاج المشاكل الاجتماعية التي سهرت على القضاء عليها ،وبذلك نظرت إلى التكافل من وجهة الدين الإسلامي ،والتي لا تختلف كثيرا مع الفلسفات الإنسانية ،فالإسلام عنى في كتابه وسنته بالمجتمع الإنساني وعلاج مشاكله ،والإسلام ينظر دائما للإنسان في مجتمع لا يستطيع أن ينفك عنه ، فهو يتفاعل معه في الأخذ والعطاء ،فالإنسان اجتماعي بالفطرة لذلك حمل الجميع مسؤولية حاجة الأفراد، فجاءت دعوته إلى الإحسان والرفق باليتامى والمساكين وابن السبيل وفي الرقاب ،وهذه الحالات هي حالات الضعف التي تحتاج إلى المساعدة والتكافل معها .

---

[1] – سورة المائدة ،الآية 2.
[2] –علي ، مراد:المرجع السابق ،ص145.
[3] –سورة الماعون،الآية 3.

والمجتمع الجزائري تحت الاستعمار كان كله يعاني ضعفا عاما في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من تفشي للفقر ،وضعف للموارد وشيوع للجهل وانتشار للخصومات ،كل هذه المشاكل جعلت الحركة الإصلاحية حريصة كل الحرص على نشر التكافل بين أفراده ،وقد عالجت ذلك من خلال إحياء مظاهر التكافل الدينية و الحث على أداء الزكاة وتفعيلها ،وتعد الزكاة موردا أساسيا من الموارد المالية وكانت تجسد مظهر التضامن بين الأغنياء والفقراء [1] ، فكانت الجمعية تدعوا من خلال مبعوثيها أو رسائلها إلى الأغنياء لتقديم زكاتهم لصرفها في الأعمال الخيرية التي تعود على المصلحة العامة ،كإنشاء المدارس أو المساجد أو إطعام الفقراء أو كسوة العائلات الفقيرة وشراء لوازم وأدوات الدراسة للتلاميذ المحتاجين.

ومنطقة الأوراس كأحد المناطق التي تنشطت بها الحركة الإصلاحية فقد أظهر كثير من أغنيائها وميسوريها سلوك التكافل مع الأمة ،وقد اعتمد الشيخ ابن باديس على شيخ زاوية مولى القرقور في إعانته ، لدعم الأعمال الخيرية التي تقوم بها الجمعية [2] .

كما ساهم بأنصار الإصلاح من التجار في أغلب الأعمال الخيرية للحركة الإصلاحية ،كتسديد حقوق كراء عقارات مؤسسات الحركة الإصلاحية كالمدارس وتسديد أجور المعلمين أو شراء الملابس وأدوات للتلاميذ المعوزين وقد عرف كل من التاجر برغوث وحريبط وبلقاسم شرفة بمساهماتهم الفعالة في تدعيم أعمال النشاطات الإصلاحية ماديا [3] .

كما نظرت الحركة الإصلاحية أن التكافل يتم من خلال أعداد الأفراد في المجتمع من أجل تلبـــية كل حاجاته ،كأن تعد المدرسة من خلال مناهجـــها الناشئة بغرس الأخـــلاق الاجتماعية و تحبيب التعاون والتكـــافل إليهم والتعريف بواجباتهم اتجاه الآخرين ،ولأن الفرد كائن اجتماعي لا يقدر على تحقيق حاجاته بمفرده سواء منها المادية أو المعنوية ،فإنه مناط بأداء واجبات وأعمال من خلالها يحقق ما عليه للأفراد الباقين في المجتمع ،كما يحصل على ما يحتاج.

وبذلك فإن المجتمع في أداء أفراده للعمـــل يحققون اكتفاء حاجاتهم ،فالمزارع يحتاج إلى عمل الصناعي والصناعي يحتاج إلى عمل المعـــلم وهكذا، فإن كل قطاع يمد القطاع الآخر لمـــا يحتاج.

---

[1] – مولود قاسم ، نايت بلقاسم :مفهوم العدالة الاجتماعية في الإسلام ،مجلة الأصالة ،العدد32،السنة الخامسة ،افريل 1976وزارة الشؤون الدينية الجزائر ،ص9.

[2] – مراسلة الشيخ ابن باديس إلى سي محمد بن سيدي مولى القرقور المؤرخة في 15 ذي العقدة الحرام 1350هـ،أرشيف زاوية مولى القرقور سريانة باتنة.

[3] – المقابلة السابقة مع السيد علي أوجيت .

كما ساهمت الحركة الإصلاحية في الأوراس بتفعيل مظاهر التكافل الموجودة في المجتمع كالتويزة ،والتي تعد من أهم النشاطات الاجتماعية في المجتمع الأوراسي ،وهي مظهر من مظاهر التعاون التلقائي بين أفراده لتحقيق منفعة عامة ، فينهض أغلب سكان القرية بالاشتراك في انجاز مشروع يعود على المنطقة بالمنفعة ،كحفر الآبار للسقي والشرب أو شق الطرقات أو بناء معابر أو التداول في العمل في الحقول بالانتقال من حقل إلى آخر ،في فصل الحرث والحصاد أو أيضا بناء المنازل .

وقد رأينا كيف أن الشيخ سي الهاشمي دردور قد أدرك أهميتها ودورها في تمتين الروابط وإنماء روح المحبة والوحدة وتعميق التضامن وتيسير الصعاب للمحتاجين ،فدعا إليها ونظمها ،وقد ساهمت دعوته في إحيائها بالمجتمع ،حتى جاء ناشطو الإصلاح فجددوا الدعوة إليها لما رأوه فيها من مقاصد تكافلية شريفة تخدم أهداف حركتهم ،فأقبل الناس على التعاون في تأسيس المساجد والمدارس مالا وجهدا من خلال المساهمة في البناء ،مما ساهم في انتشار المرافق والمؤسسات الثقافية الإصلاحية في كل أنحاء الأوراس، كما ساهم ناشطو الإصلاح بالمنطقة بجهودهم التعليمية في نشر العلم والإصلاح شعورا منهم بواجبهم هذا اتجاه أهاليهم وسكان إقاماتهم ، فاستطاعوا بذلك التغلب على قرون طويلة من الركود وأكثر من قرن على السياسة المقصودة للتجهيل التي قادها الاستعمار.

كما ساهمت الحركة الإصلاحية في إحياء الهوية الوطنية التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الأفراد الذين ينتمون إليه ،إن هذه الصفات المشتركة كالتاريخ واللغة والدين هي حوافز للتعاون والتعاضد[1] ،وفعلا استطاعت دعوة الإصلاح إلى نقل انتماء الأوراسيين من حدود القبيلة إلى حدود الوطن ، بفعل جهود الحركة الإصلاحية ونجاح دعوتها في مد أواصر بين كامل مكونات الشعب الجزائري ،وتنمية مشاعر الانتماء والتكافل بين الأوراسيين والشعب مما كان له الأثر الطيب عشية اندلاع ثورة نوفمبر.

كما كان لمحاربتها النزعة البربرية السلبية التي كان الاستعمار يدعو إليها ليحقق من ورائها إثارة الانقسام والاختلاف والنعرة العرقية، بين مكونات الأمة الجزائرية ذات الأصول البربرية والعربية ،والتي امتزجت مع بعضها البعض على مر القرون ،ولأن المجتمع الأوراسي الذي يمثل

[1] – عبد الكريم ،بوصفصاف : عبد الحميد بن باديس ومغاربية الفكر والثقافة والهوية ، مجلة الحوار الفكري ، مجلة فكرية دورية تصدر عن مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية ،العدد 02،ديسمبر ص ص 82،83.

غالبيته الأصل البربري، فقد عمدت الإدارة الفرنسية إلى إيصال هذه الدعوة إليه ،إلا أن تجذر الإصلاح ودعوته فيها حال دون ظهورها بالشكل الذي برزت فيه عند إخوانهم البربر القبائل.

وقد سهر ناشطو الإصلاح على الوحدة والتعاون والتضامن في المجتمع والدفع به نحو الاتحاد وغرس الأخلاق المساهمة في تنميته .

فالشيخ علي مدور اشتغل بإصلاح ذات البين بين المتنازعين والمتخاصمين وأيضا إصلاح الأزواج في حالة حدوث خصومة بينهم ،كما كان الناس من أهل بلدته يلجأون إليه لتوريث تركات الأموات والإشراف على عقود الزواج، والتدخل لحل الخلافات خاصة حول الأراضي وحلها بشكل مرضي للطرفين ،كما كان يسوي وضع القتل[1].

كما قام الشيخ علي مدور بتشكيل جماعة من الأعيان لمشورتهم بشأن قضايا المنطقة ،وقد اعتمد الشيخ في تنفيذه لهذه الأعمال طريقة إدارية عصرية خاصة في تنفيذ العقود والتوريث وحل الخصومات على مختلف قضاياها وقد كان يدون في كراسته عقوده تأخذ هذا الشكل[2].

وقد أهلته مكانته الفقهية والعلمية وأيضا نفوذه الديني في نجاح مهامه في وحدة الصف وإبراز خلق التكافل ، كما لا يمكن أن نتجاهل أن تكون دروسه الوعظية ونصائحه وخطب الجمعة التي كان يقيمها تحمل الكثير من دعوات التضامن والأخوة مستلهما هذا من قدوته الشيخ ابن باديس أثناء دراسته عليه أول ما كان يصله من مقالات من جرائد الحركة الإصلاحية أو حتى مطالعاته للكتب الدينية[3] التي كثيرها كان يتوقف عند التعاون والوحدة والتكافل ومقاصدهم في الإسلام وأثرها في حياة المجتمع الإسلامي .

كما عنى الشيخ عيسي مرزوقي أيضا بالدعوة إلى الاتحاد والتعاون وكان يري أن بالتعاون والاتحاد يستقيم أمر الناس في دنياهم وأخراهم ، وأن الأعمال الصالحة لا تحي إلا بالتعاون والاتحاد والمساندة ، وأن التعاون الصالح نتاج المحبة والمودة بين عناصر و أفراد المجتمع، وأن الخير الذي تنجزه الجماعة أنفع وأعظم مما ينتجه الأفراد متفرقون، وأن الجماعة المجتمعة خير من الجماعة المفككة ،وقد كانت أغلب مواضيع خطبه تحث على التضامن وأثره على المجتمع مبينا فضائله[4] .

---

[1] – المقابلة السابقة مع السيدين صالح وعلي مدور .
[2] – الكراسة موجودة بمكتبة الشيخ بورقة مدون عليها مداولات لقضايا على نموذج العصري
[3] – تحتوي مكتبته على كتب تحمل في مضامينها مايخدم دروسه في التكافل فتكون بذلك سهلة في توجيهه إلى هذا الموضوع والذي كثيرا ما يكون الواقع دافع له .
[4] – المقابلة السابقة مع السيد عبد المالك بورزام

كما حارب كل أسباب الاختلاف ،مدركا حاجة الوطن في هذه الظروف إلى التماسك والتساند أمام المشاكل الاقتصادية والتي ظهرت مضاعفاتها الاجتماعية بسبب الاستعمار والجهل . كما كانت لدعوة الشيخ مسعودان الحركاتي أهمية بالغة للتكافل الاجتماعي والتعاون بين أفراد المجتمع ،حيث كان يرى أن أي نهضة وإقلاع حضاري لا يمكن أن يتأتى لأي جماعة إلا بالتعاون عليه ،فكانت كثير من دروسه الفقهية والتفسيرية التي كان يقيمها بالمسجد الجديد يركز من خلالها على أبعاده ومحاسنه ،فيستظهر من خلال الآيات القرآنية دعوة الإسلام إلى التكافل ويرى أنه لازمة دينية وعصرية، وأن لا تقدم نحو القضاء على مشاكل الأهالي من فقر وتخلف وجهل إلا بالتعاون عليها[1].

كما كانت دروسه في الأخلاق والعقيدة والعبادات التي تحقق حكمها التكافل فيظهر حكمتها التعاونية والتضامنية ، فمثلا عبادة الصوم وحكمتها التضامنية الموجودة الأمة وأيضا يذهب مع العبادات والشعائر الدنية الأخرى ويترل حكمتها التي تحقق الاتحاد.

كما كان ينصح الناس على العمل الجماعي من خلال إبراز مسؤولية الفرد نحو الجماعة بتوجيه جهده وطاقاته لخدمة المجتمع والأمة ،وخدمة الجماعة للفرد لتهيئة له كل الأسباب التي تساعد على تطوره ليصبح صالحا فيها وخادما لمسعاها في النهضة[2].

أما حمودة بن الساعي فإنه لم تفته أهمية الأخوة والتكافل والتعاون لاستعادة الأمة لمجدها ومكانتها ونهضتها ،فجاء في مقال له في جريدة النجاح تحت عنوان: ((سراب السياسة والدعوة إلى هداية القرآن))[3] فحذر من أثر الاستعمال السيئ للسياسة من قبل الأهالي فيقول: ((...وكيف لا أخاف من تيارها الجارف وأنا أود لمواطني وإخواني في الدين التعاون على البر والتقوى ،وأحلم بالتحقيق الواقعي لقوله الجليل (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) .))[4]،فحمودة بن الساعي لما رآه من الآثار السيئة للانتخابات والتي تركت آثار الخلاف والتراع بين الناس ،وهزت الأخوة التي دعا إليها الدين وأصبحت مطلبا وطنيا للوقوف في وجه التحديات قد تمددت بفعل السياسة ..

---

[1] – المقابلة السابقة مع السيد نور الدين مسعودان

[2] – نفس المقابلة

[3] – حمودة، بن الساعي :سراب السياسة والدعوة إلى هداية القرآن ،ترجمة مترجم النجاح ،جريدة النجاح ،العدد740 ، يوم 20ماي 1929.

[4] – المصدر نفسه وانظر الملحق رقم21، ص ص224-228.

– المبحث الثالث :الدعوة إلى العمل :

كانت الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء تسعى دائما إلى غاية بيان الأسباب التي تفيد الجماهير الأهلية في نهضتها ،مستلهمة ذلك من المصادر الأصيلة للدين كالقرآن الكريم والأحاديث النبوية وحياة وتراث السلف الصالح .

ولأن العمل مقوم أساسي لأي نهضة إنسانية وبشرية سواء المستوى المعنوي أو المادي ،فإن الإسلام حث المؤمنين عليه ،وجعله سبب في التفاضل بين أفراده في الدنيا والآخرة ،وقد كثرت الإشارات إليه من خلال العديد من الآيات القرآنية والتي وصلت إلى 360 آية[1] ،مما يدل على الأهمية البالغة التي يوليها الإسلام للعمل .

ومن هذه الدعوة القوية للعمل من قبل الإسلام والتي ظهرت في نصوصه الأساسية ،جاءت دعوة الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء للعمل ،والتي رأت فيه الحاجة الملحة لنهضة الأمة والمجتمع الأهلي في الجزائر ،فهذا المجتمع -كما أسلفنا في أكثر من مكان – قد عرف خلال مرحلة طويلة من تاريخه ركودا حضاريا وفكريا وتخلفا اجتماعيا واقتصاديا ،وقد تكرست هذه الوضعيات بدخول الاستعمار ،الذي عمد من خلال سياساته الممنهجة إلى الإبقاء على حالة التخلف.

إن هذه الوضعية استدعت من الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء في إطار مساعيها وأهدافها في نهضة الامة الجزائرية حمل مسؤولية تغير هذا الوضع غير المرضى، والذي رأته أنه لا يتوافق مع ما جاء في التراث الإسلامي ((نحن خير أمة أخرجت للناس)) ، والذي كان واقعها لا يشهد هذه الشهادة .

من هذه المعطيات كان العمل لازمة ضرورية لإحداث رغبة التغير التي تسعى إليه حركة الإصلاحية لجمعية العلماء ،ومن هذا الاعتبار كانت دعوتها للعمل والحث عليه مطلبا في جميع نشاطاتها ،وقد ترسخت لديها هذه الدعوة أيضا باعتبار الدعوة إلى العمل دعوة دينية وأخلاقية يجب إحياؤها لدى أفراد المجتمع مثل الأعمال والأخلاق التي عرفت التشويه والضمور في مرحلة الضعف الديني للأمة

الدعوة إلى إحياء فريضة العمل كواجب ديني

دعت الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء إلى العمل من بعده الديني باعتبارها ذات جوهر سلفي تسعى إلى إحياء الواجبات والفرائض الدينية وتصحح الفاسد منها، وقد شهدت فكرة

[1] – مولود قاسم ، نايت بلقاسم :المرجع السابق ،ص10.

العمل خلال فترة الركود الحضاري والفكري إلى ضمورا كبيرا مما استدعي إلى التذكير به والحث عليه كواجب ديني وفضيلة أمر الدين الإسلامي الناس بها ،فالإسلام كانت دعوته إلى العمل واضحة وجلية في كثير من النصوص والآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

وقد جاء العمل كتكليف للإنسان لتحقق اختيار الله في تعمير الأرض، ومحققا غاية استخلافه فقال الله عز و جل: [illegible] [1] ،هذه الخلافة تقتضي أن يتاح للإنسان أسباب فرض سيادته وسموه وكرامته في الأرض لذلك قال الله تعالى: [illegible] [2] ،وبهذه أودع الله عز وجل في الأرض والكون موارد الثروة ومنح الإنسان الطاقة لاستغلالها ،فطلب العمل منه باعتباره الواسطة والوسيلة لاستغلال الإنسان وسيادته على الكون ،فيقول الله عز و جل آمرا بعمل وفي الآن نفسه لافتا نظر الإنسان إلى ما أودعه في الأرض من خيرات وثروات لاستغلالها فقال تعالى: [illegible] [3] ،كما نبه الله الإنسان إلى طاقاته الذاتية التي أودعها فيه لمنحه القدرة على استغلال الكون والسيادة عليه فقال تعالى: [illegible]

---

[1] – سورة البقرة ،الآية 30.
[2] – سورة الإسراء ،الآية 70.
[3] – سورة فاطر الآية 27 و28.

[illegible] [1]

وبهذا كان العمل أساس استخلاف الله في الأرض والذي بواسطته يتم تعميرها و إتاحة سيادته وكرامته وتفضيله على باقي المخلوقات.

كما كانت دعوة العمل في الإسلام لأنها أهم وسائل الارتزاق وأساس الاقتصاد والدعامة الأساسية للإنتاج ،كما يعد عبادة وتقوم به جمع العبادات ،كالصلاة أو الحج أو الصوم ... ،كما أن أي عمل دنيوي شريف غير مخالف للتشريع يعد عبادة فتعاطي الزراعة أو الصناعة أو التجارة أو أي اشتغال ،لذلك نجد أن العمل قد قرن بالإيمان والعبادة فيقول الله عز وجل :

[illegible] [2] ،ويقول تعالى ايضا :

[illegible] [3] فالقرآن الكريم ينبه الناس للعمل لأخذ ثمرة عملهم ،والسعي والبذل هو الوسيلة الوحيدة للكسب ،كما جاءت الأحاديث الكثيرة التي ترغب في العمل وتأمر به فقال الرسول صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه:((خير الكسب كسب يد العامل إذا نصح)) وقوله أيضا: ((ما أكل أحد طعاما قط خير من أن يأكل من عمل يده وأن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده)).

- **دعوة الشباب إلى العمل:**

اهتمت الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء اهتماما بالغا بفئة الشباب من حيث التكوين، لاعتبار الآمال الكبيرة التي كانت تعلقها عليهم في النهضة، وكانت ترى أن مستقبل الأمة مربوط ومرهون بمدى قدرة الشباب ،فهم سواعد الأمة التي تبنى عليهم لذلك كانت خطاباتهم ونداءاتهم موجهة أساسا لهذه الفئة عندما تحض على العمل و التغيير ،كما جاء في كلام الشيخ البشير الإبراهيمي قوله:((...إن شباب الأمة الدم الجديد في حياتها...))[4]،من هذه الأهمية للشباب كطاقة

---

[1] – سورة الذريات ،الآية 21.
[2] – سورة الجمعة ،الآية 10.
[3] – سورة الملك ،الآية 15.
[4] – محمد البشير ،الإبراهيمي :عيون البصائر ،المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع ،ط1،القاهرة مصر ،2007،ص94.

عمل توجه الإصلاحيون لنداء هذه الفئة إلى واجب تصحيح أحوال الأمة من خلال استغلال طاقاتهم العقلية والجسمية والإرادة التي تكمن فيهم، وفي هذا الصدد يقول الشيخ الغسيري :((...أحسب أنه من هنا كثر في أوساطنا المعاتيه والمجانين والكسالى و المتسولين ، يمكن لهذه الأمة عبر شبابها البررة يستطيع أن يخفف عنها بعض هذه الماسي الخلقية المؤلمة ؟.))[1] .

و الشيخ الغسيري هنا يصف الحال الذي آلت إليه الأمة من كثر العاهات من أفرادها الأمر الذي لا يساعد على نهضتها إلا أنه يستدرك بالتعلق بأمل فئة الشباب التي يعول عليها في نجاة الأمة من غرق التخلف والضعف، وحملها إلى شاطئ الأمان و النهضة و الاستقلال.

لذلك كانت أغلب نشاطات الحركة الإصلاحية موجهة للناشئة والشباب، هـــــــادفة إلى تسليحهم بالثقافة الصحيحة العصرية وتكوينهم لأداء مهامهم التي سوف تلقى على عاتـــقهم في المستقبل بأن تخلصهم من كل حالات ومظاهر الإفلاس التي سادت في أوساطهم وقد تطرق الشيخ ابن باديس إلى هذه المعضلة التي كان عليها الشباب فيقول وصف حالتهم التي كانوا عليها فيقول :((...و لم يكن من شباب إلا شباب ...وإلا شباب جاهل أكلته الحانات والمقاهي والشـــــوارع ...))[2]،وقد تأكدت هذه المشاهدة للوضعية السيئة للشباب من العجز والمرض أيضا عند واحد من ناشطي الإصلاح بالأوراس، مما يدل على شمولها كل مناطق الوطن بما فيها منطقة الأوراس فـــجاء في أحد كتابات الشيخ الغسيري : ((...يلقي المفكر نظرة خاطفة على هذا الملأ الأكبر من ســـواد الأمة الجزائرية فيلقيه عبارة عن كائن فاقد لكل وسائل الصحة ،يرى حتما جسما نحيلا هـــــزيلا دقت عضلاته، واحدودب ظهره وتفرطحت رجلاه ،واعوجت رقبته ويداه وساقاه ،وتقوس رأسه وغارت عيناه...))[3] .

لذلك جاءت دعوات قادة حركة الإصلاح تدعو إلى تصحيح أوضاع الشباب وهذا بالتوجيه إلى ملأ أوقات الفراغ بالعمل النافع ،وخدمة الأمة التي هم عمادها فباستقامتهم تستقيم الأمة وباعوجاجهم وانحرافهم تنحرف الأمة عن مسارها الصحيح، نحو التقدم والنهضة فجاء في إحدى نداءات الشيخ الإبراهيمي للشباب واعظا إياه بالتحلي بالخصال الحميدة والتخلي عن المفاسد بما يلي:((..أتمثله حلف عمل لا حليف بطالة وحلس معمل لا حليس مقهى وبطل عمل لا ماضغ أقوال ...وأتمثله مقبلا على العلم والمعرفة ليعمل الخير والنفع ، إقبال النحل على الأزهار و الثمار

---

1 – محمد، الغسيري :العقل السليم في الجسم السليم ،من وثائق الغسيري ،أرشيف ولاية قسنطينة

2 – ابن باديس ،الشهاب ،ج1،المجلد 14،مارس سنة 1936 .

3 – محمد ،الغسيري : العقل السليم ،المصدر السابق .

لتصنع الشهد والشمع، مقبلا على الارتزاق أمثال النمل تجد لتجد وتدخر لتفتخر ولا تبالي مادامت دائبة ...))[1] فالشيخ الإبراهيمي هنا يعظ الشباب الجزائري ويحثه على العمل والجد و المثابرة ويبين ما يجب أن يحذره من منافع وما أن لا يكون عليه من مفاسد وبهذا تكون أوضاع الأمة مرآة عاكسة لأوضاع شبابها.

وهكذا اهتمت الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء بالشباب ووجهت أنظارها نحوهم ونادت فيهم الأخلاق المفضية للعمل الصالح و النافع للأمة ،باعتبارهم سواعدها التي تقوم عليهم أعباء نهضتها المعنوية والمادية ، فراحت تعمل كل ما في وسعها لحمايتهم من عـــــوارض الآفات و الأمراض الاجتماعية والأخلاقية التي تذهب وتبدد فاعليتهم متحولين من عامل بناء إلى عامل هدم لها فالأمم تقاس بشبابها ،فمن كان شبابها صالحا صلحت ومن أفلس شبابها أفلست ودب التخلف والهوان فيها .

-الدعوة إلى العمل كأساس للنهضة :

اقتضت الأحوال التي وجدت عليها الحركة الإصلاحية الجماهير الأهلية في الجزائر إلى تصحيحها وإقامة نهضة فيها ،تعود من خلالها إلى مجدها ،وقد استدعى منها ذلك تهذيب الأخلاق وزرع الفضيلة وإحياء الدين وتصحيح ماشوه فيه، ونشر التعليم والتربية وكل وسائل التثقيف التي من شأنها إحياء هذه الأمة ،وإعادتها إلى حاضرة التاريخ الذي حادت عنه بفقدانها لكل سبب في النهضة .

إن هذا المسعى للحركة الإصلاحية يبين لنا أنها كانت تضع تصورا لهذا المجتمع التي تناشد فيه المجتمع الإسلامي الأول، ومن أجل بلوغ هذا الهدف ،عمل قادتها أولا على تحليل الأوضاع والأمراض والعلل التي كان يعاني منها المجتمع ،وبهذا الصدد يقول الشيخ البشير الإبراهيمي :

((من أراد أن يخدم هذه الأمة – الجزائر- فليقرأها كما يقرأ الكتاب وليدرسها كما يدرس الحقائق العلمية ،فإذا استقام له ذلك ،استقام له العمل ،وأمن الخطأ فيه وضمن النجاح والتمام له ،فإن تصدى لأي عمل يمس الأمة من غير درس لاتجاهها ولا معرفة بدرجة استعدادها كان حظه الفشل))[2]، من خلال النص يبين أحد قادة الإصلاح وأحد واضعي مشروعها أن الحركة الإصلاحية كانت تبني عملها لنهضة المجتمع، على معرفته معرفة جيدة ،من حيث معرفة نفسيته

[1] - محمد البشير ،الإبراهيمي : عيون البصائر ،المصدر السابق ،ص558.

[2]– نقلا عن رابح، تركي : في الذكرى الثالثة لفقيد العروبة والإسلام الشيخ محمد البشير الابراهيمي ،مجلة منبر الإسلام ،العدد 3السنة 62،ربيع الأول 1388،القاهرة ،مصر ،ض223.

وعقليته ، وأيضا فحص أحواله وتحديد أمراضه، بهدف وضع خطة تكفل لهم التخلص من عوائق النهوض به وقد أبانت الحركة الإصلاحية في أثناء عرضها لقوانينها الأساسية أو حتى من خلال مقالات وتصريحات قادتها أنها فحصت هذا المجتمع ووقفت على الكثير من العلل والأمراض التي كانت تمثل عائقا له أمام نهضته، ولعل أهمها الانتشار الكبير للآفات الاجتماعية التي عطلت طاقته وقتلت روح العمل فيه، لذلك نجدها قد وجهت كل اهتماماتها للقضاء عليها. وقد أبان الفصل الرابع من قانونها الأساسي هذا الهدف فجاء فيه: ((القصد من هذه الجمعية هي محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر والميسر والبطالة والجهل وكل ما يحرمه الشرع وينكره العقل وتحجزه القوانين الجاري العمل بها .))[1] ،من خلال هذا القانون نخلص أن أهم مقاصد الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء هي علاج أوضاع المجتمع والقضاء على أمراضه التي جعلت منه مجتمعا عاجزا فاقد لكل مقومات الحياة ،هذا لأن هذه الآفات كما يبين جزءا منها هذا القانون قد عطلته عن العمل الذي هو سبب كل نهضة ورقي وتطور فانتشار آفة الخمر ستجعل الفرد معطلا لكل طاقاته العقلية التي يذهبها تأثيره ،وبذهاب العقل يفقد السيطرة على طاقته الجسمية ،فيسيء إلى نفسه ومجتمعه بأن يفقد عنصر النفع له ولأمته ،بل إنه قد تصدر عنه تصرفات وسلوكات فاسدة يكون لها الوقع السيئ على الأمة مما يسهم في تأخر ها وتدهورها ،هذا بالإضافة إلى أنها تؤثر على نفسيته فتجعله إنسانا مهملا غير مبال ولا يتحلى بأي مسؤولية، كما تغرس فيه اليأس والقنوط من الحياة .

إن هذه التأثيرات التي لا تساعد الفرد أن يكون فاعلا وعامل بناء في الأمة ،إذا ما انتشرت في أغلب أفرادها سوف تجعل منه مجتمع يائسا من أي نهضة ،لذلك نجد أن الحركة الإصلاحية قد جندت كل وسائلها ودعايتها ونشاطاتها لمحاربة هذه الظاهرة التي كانت تتوسع في أوساط الشباب خاصة والذين يعدون روحها وطاقتها ،وقد أدركت الحركة الإصلاحية أن انتشار هذه الظاهرة يعود إلى نوايا الاستعمار لقتل أي روح وحياة في الشباب حتى تتمكن من الاطمئنان على استمرار بقاءها واستغلاله.

كما حاربت أيضا الميسر وكل الألعاب الملهية للناس عن العمل والمهدرة لوقته فكانت توعي الناس وتحذرهم من الاشتغال بكل ما هو غير نافع ،فيقول الشيخ ابن باديس في أهمية استثمار واستغلال الوقت: ((عمر الإنسان أنفس كنز يملكه ،ولحظاته محسوبة عليه ،ولكل لحظة تمر

[1]– محمد البشير، الابراهيمي : سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،دار الكتاب ،الجزائر ،ص73.

معمورة بعمل مفيد فقد أعد حظه منها وربحها ،وكل لحظة تمر فارغة فقد غبن حظه منها وخسرها ...فالرشيد هو من أحسن استعمال ذلك الكتر الثمين ....فعمر وقته بالأعمال ،والسفيه من أساء التصرف فيه فأحلى وقته من العمل ..))[1] ،إن الشيخ ابن باديس هنا يدعو إلى الاهتمام بالوقت لدى الأفراد فهو يرى أن عمر الأمم يقاس بمجموع أعمار أفرادها وطاقة عمل الأمة بمجموع أعمال أفرادها وبذلك فإن أوقات عمل أفرادها هي وقت عمل الأمة، والأمة العاملة هي الأمة التي يقضي أفرادها أغلب أوقاتهم في العمل ،والوقت في نظر الشيخ ابن باديس يختزن العمل وقد وقف الشيخ كثيرا عند أهمية الوقت في حياة ونهضة الأمم، مستلهما هذه الأهمية من مرجعيته الدينية ،فالإسلام نظر إلى قيمة الوقت في كثير من أوامره ونواهيه ، فعند ما جعل الإعراض عن اللغو من معالم الإيمان وكأنه يريد بالمسلم أن يستثمر وقته في العمل النافع والصالح الذي يعود عليه وعلى جماعته بالفائدة ،لأن قتل الوقت باللهو واللغو والكسل والقعود هو هلاك للفرد والجماعة ، فعمر الأمم يقاس بعمر أفرادها وما نهضة الأمم وتطورها إلا بمدى احترامها للوقت بالاستفادة منه من خلال استغلال أفرادها لأوقاتهم في العمل والجد[2] .

وقد أدركت الحركة الإصلاحية الهوة الكبيرة بين الأمم المتطورة وجماهيرها وقد أرجعتها إلى فارق الزمن ،فجماهيرها قد توقفت عن السير بفعل التخلف الحضاري الذي أصابها إضافة إلى ما قام به الاستعمار ،ومن أجل الدفع بها للانطلاقة الحضارية واللحاق بركب العصر ،كانت ترى أنه على هذه الجماهير استثمار الزمن الفاصل بينها وبين الأمم المتطورة من خلال تنمية أفرادها وتهيئتهم ماديا ومعنويا وتنشئتهم على احترام الوقت ، وكانت ترى أن تركة التخلف جعلت أن الواجبات المنوطة بأفرادها أكثر من أوقاتهم ،فكانت دائمة الدعوة لاستثمار أي لحظة في عمر أبنائها معتبرة الوقت رأس للإنسان.

ومن أجل صلاح الشباب لأداء واجبهم العملي نبه الشيح ابن باديس إلى عنايتهم بقدراتهم ،وطاقتهم وتأهيلها لتوفيرها لحاجة العمل .

ولأن العمل نوعان ،عمل ناتج عن جهد فكري مصدره العقل وهو ضرورة من ضرورات العصر الذي أصبحت المعرفة والعلم أساس ومقوم تقدم وتطور الأمم و به تنمى الحياة المعنوية للمجتمع وتوعى العقول وتكشف أسرار الكون[3] و به تكمن مواكبة تطور التقنية والتكنولوجية ، فتطور

---

[1] – الشهاب ، ج2 ،المجلد 7،مارس 1931

[2] – عبد الكريم ، بوصفصاف :الفكر العربي الحديث والمعاصر ،ص ص،435،436

[3] -– عبد الكريم ، بوصفصاف : المرجع نفسه ،ص ص 433 ،434

الآلة ودخولها الكبير في العمل عوض الكثير من الجهود البدنية ،وحتى لا تبقى الأمة خارج التطور الذي عرفه العصر في استعمال التقنية والآلة وجب على أبنائها تعليمها والتكوين فيها.

والحق أن الحركة الإصلاحية لما أدركت هذه الحقيقة فإنها ألزمت تلاميذها وطلبتها بتعلم الحرف وقد وضعت في مقرراتها المدرسية هذا النوع من التكوين وكانت لا تسمح بمنح الشهادة لأي متخرج من مدارسها دون إجادته لحرفة معينة [1].

وعمل آخر ناتج عن العمل العضلي وهو الجهد البدني الذي مصدره الجسم والعضلات وهو الآخر ضروري ،فالحياة الأهلية التي مازالت لم تستوعب وتملك التقنية ووسائلها ،مازالت أعمالها تتم بجهد أهلها العضلي، ولا يتم توفير حاجاتها إلا بالكد والجد، فهذا من الدواعي التي تحتم على أهلها بالاهتمام بقوتهم الجسمية وتنميتها عن طريق النظافة والتغذية والرعاية الكاملة [2].

كما حاربت الحركة الإصلاحية الكسل والخمول واليأس ودعت الناس إلى الاعتماد على النفس وتحصيل الحاجات بأعمالهم لا طلبها تسولا أو معونة من الآخرين ،وفي هذا الصدد يدعو الشيخ الغسيري إلى أهمية الكفاح والعمل في الحياة فيقول: ((الحياة كفاح ،وكفاح الرجال من أجل الحياة هو عين الحياة المثلى ،والأمم الإسلامية منذ تركت الكفاح من أجل الحياة ،بل منذ أخلد علماؤها إلى الدعة والخمول))[3] ،فالشيخ الغسيري هنا يعظ أبناء الأمة بالكفاح فهو السبيل إلى النهضة والتطور ،بينما ترك العمل والكد والخلود إلى الكسل والخمول فهو يورث الانحطاط والتخلف وبذلك ،فهو يضع العمل سبب النهضات والتقدم وعلى نفس المنوال يذهب الشيخ ابن باديس فيقول ((...كل من عرف تاريخ النهضات في بدايتها ،وتمرس بأحوالها وكان نافذ الصبر يعيد النظر أدرك أن تلك النهضات وليدة جهود الشعوب الفردية والاجتماعية ...))[4] .

إن هذه الدعوة التي باشرتها حركة الإصلاح عبر كل وسائلها وأنشطتها ،استطاعت أن تبعث في الأجيال الحياة والروح في عروقها ،فراحت تثابر في أداء أعمالها في إطار النشاطات الإصلاحية ،فظهرت ثلة من طلبة الشيخ الذين رباهم وأودع فيهم رسالة العمل ،فكانوا مثالا للمثابرة والتحدي والاستماتة في عملهم الإصلاحي ، ولاشك أنه بالإضافة إلى أثر دروسه وعظاته لهم

[1] – المرجع نفسه ،ص246 .ورابح ،تركي :الشيخ عبد الحميد بن باديس ، مرجع سابق ،ص ص 354 ،355.
[2] – عبد الكريم ، بوصفصاف : المرجع نفسه ،ص ص 433 ،434

[3] – محمد ،الغسيري :الشيخ عبد الحميد بن باديس والكفاح الاجتماعي ،جريدة البصائر ،العدد78،السنة ،2،الاثنين 2ماي 1942.
[4] – ابن باديس :ما نجم عن نشر التعليم الحر و ما ينشأ عن إهماله بعد خمسين سنة ،الشهاب فيفري 1930،ص33

والهادفة إلى توعيتهم بأهمية العمل، كان الشيخ يمثل قدوة ومثالا من خلال أعماله التي كان ينجزها على مرأى منهم ،إذ كان لا يتوقف عن عمله التعليمي من طلوع الفجر إلى العشاء، وكان يستهدف من خلاله جميع الفئات والمستويات بالإضافة إلى عمله الصحفي و رحلاته وزيارته عبر الوطن لبذر نواة الإصلاح فيه ويكون خلاياه[1] ،كل هذا غرس في ذهن طلبته ومنهم الطلبة الأوراسيين ،أن النشاط الإصلاحي يحتاج إلى مثابرة وعمل وأن معركته تحتاج إلى جهد وصبر كبيرين واستعداد للمكاره والضغوط وكل أنواع المتاعب التي تصادف هذا النوع من العمل خاصة من قبل الإدارة الاستعمارية ،إن هذه الدروس توافقت مع الطاقة المختزنة لهؤلاء الشباب والتي هي الأخرى توافقت مع ثورة الطاقات الأهلية التي كانت محبوسة الإرادة ومكبلة الحرية لعهود طويلة.

بهذا تبدلت أحوال الناس من السكون والخمول إلى فورة ونشاط، مستقبلين مشاريع الإصلاح بتعطش ،وقد برز البذل والعمل المستميت عند ناشطي الإصلاح في الأوراس من خلال نشاطاتهم المختلفة التي أحدثت الانقلاب الكبير الذي عرفته المنطقة ،فمثلت جهودهم التعليمية والتربوية التي قاموا بها أقصى نشاط عملي يحسب للحركة الإصلاحية في الأوراس من خلال المنافع التي قدموها لأبناء وأهالي الأوراس ، فقد انتشر معلموها في مختلف الأحواز والدشرات الأوراسية ،يقدمون تعليما لأبناء جلدتهم متحدين كل الظروف الصعبة ،من المادية إلى ضغوطات وتعسفات الإدارة الاستعمارية، سواء تلك الإجراءات المتعلقة بغلق المدارس أو الاعتقال أو متاعب المحاكمات مثل ما عرفته ثلة كبيرة منهم كالشيخ عمر دردور والشيخ أحمد السرحاني والشيخ الغسيري وميهوب الدراجي ....الخ .

إلا أن صدقهم في عملهم لتحقيق فكرتهم لم يثن من عزيمتهم والتي نشأوا عليها تأسيا بقدوتهم الشيخ ابن باديس.

كما لاقت دعوتهم إلى تصحيح الأوضاع الدينية ومحاربة البدع والخرافات وتحدي بعض التقاليد البالية والمتكلسة والذهنيات الطرقية التي تمسكت بالطقوس الخاطئة نصيبها من عملهم وجهودهم ، فكانت محاربتها للاعتقادات المرابطية وخاصة تلك الاعتقادات المتعلقة بالتوسل للأولياء والصالحين فإنما تحارب التواكل ،تواكل الناس أثناء دعواتهم لطلب ما يتمنون ،فكانت عقيدتهم في قدرة الولي على تحقيقها أكثر من يقينهم في أن التسبب بالعمل والجهد ،بل إن كثيرا ما يعتقد أن الأمان والخير والشر والمنع والعطاء إنما يحدث ويحصل برضاء أو غضب الولي،فهذه الخرافات

[1] – رابح ،تركي :عبد الحميد بن باديس ،مرجع سابق ،ص357.

والسذاجة العقلية التي انتشرت كانت تكرس عادات الكسل والخمول وتجعل من الفرد متواكلا منتظر حدوث العجائب وحصول الأماني دون حركة وعمل ،لذلك كانت دعوة الحركة الإصلاحية في تصحيحها مثل هذه العقائد ،إنما كانت تعمل على تصحيح الكثير من المفاهيم المعطلة للإرادة والعمل ، وتحارب كل مظاهر التواكل وتقدم مفهوم التوكل على الله كما حث عليه الإسلام و عمل به السلف الصالح[1] .

كما كان لانتشار السحر والشعوذة دور في انتشار ذهنية التواكل في الحصول على الأماني والمطامح ،فقد عرفت منطقة الأوراس زيادة الكثير من الناس السحرة و المشعوذين والقزنات والذين كثيرا مايقصدهم العامة ،طلبا لتغير أحوالهم وحصولهم على أمانيهم ،هذه الظاهرة ساهمت في تخاذل الناس في الحصول على مرادهم عن طريق التسبب ،مما أدى إلى مساهمتها هي الأخرى في تكريس الخمول والتقاعس عن العمل والكد والمعاناة في الكسب أو تحقيق الأماني .

وقد قام ناشطو الإصلاح بإنكار هذه الأخلاق والسلوكات على الناس وتصحيحها بوجه يحي قيمة العمل والمثابرة والسعي كسبب في حصول ما يرغب فيه الإنسان .

فاستطاعت هذه الدعوة إلى أن تنتهي بالناس إلى تحرير فكرهم من الوثنية والخرافة وإطلاق إرادتهم واتساع أفقهم ،كما حررت حياته من العجز والكسل والاستغلال التي كانت التعاليم المرابطة تكرسها فيهم من خلال اعتقاداتها ،فكان صلاح العقيدة قد أهلهم إلى تحرير السلوك والفعل من كل الضغوط وانطلقت طاقاتهم العقلية والبدنية لتعمير الحياة.

كما كانت لهم جهود كثيرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رغم المخاطر التي كانت تكتسيها هذه الدعوة والتي جلبت للعديد منهم الكثير من المضايقات والسجون.

فكانوا يحاربون الكثير من مظاهر البدع والخرافات التي كانت في الأسواق والاحتفالات كالحضرة ،والأعياد الموسمية لبعض القبائل التي كانت تحمل بعض المظاهر الوثنية ،وقد اشتهر العمل الإصلاحي بالأوراس بانجازه في هذا المجال بإبطال العيد الموسمي الذي كان يقيمه المصامدة بتازولت، وكان هذا العيد تقع فيه الكثير من المناكر والمفاسد كاختلاط الرجال والنساء ،فرتب ناشطو الإصلاح بقيادة الشيخ عمر دردور ومحمد الصالح زموري والشيخ الغسيري في أوت

[1] – Fanny Colonna: les débuts de L'islahe: op cit, p 281.

1937م،لإبطاله فعند قدوم موعده دعوا الناس لمشاركتهم في إفشاله ،وأوقفوا الحافلات القادمة من قسنطينة وخنشلة التي كانت تقيل النساء والرقصات[1] .

وضع هذا العمل نهاية لمثل هذه الاحتفالات حتى في السنوات القادمة، رغم تعرض ناشطي الإصلاح إلى السجن وأعمال السخرة .

كما قام أيضا ناشطو الإصلاح بالمنطقة إلى تصحيح الكثير من المناكر والمخالفات الدينية التي كانت تقام في احتفالات الأعراس [2].

كما عنيت الحركة الإصلاحية بالأوراس بالدعوة للعمل في الوسط النسوي مثل ما اعتنت به في أغلب أنحاء الوطن ،ولعل اهتمام الإصلاحيين بالدعوة لإعدادها والحث على إدخالها إلى مدارسهم وأخذها التنشئة الإصلاحية ،كانوا يرمون من ورائها إلى تهيئتها مستقبلا وهي سيدة البيت إلى التربية الصالحة للأبناء، ومحاربة الجهل فيها وكل عواقبه التي تنعكس على المجتمع انطلاقا من مكانتها فيه ، ولم يتوقف اهتمامهم بالمرأة فقط لإعدادها لتربية الأبناء في البيت، بل قدرت الحركة الإصلاحية حجمها في المجتمع فرأت أنها نصفه الثاني فبتهميشها وتعطيلها فإنه يتعطل نصف هذا المجتمع ،لذلك أدخلت المرأة في المساهمة في العمل الإصلاحي وقد أدت أدوار طيبة فيه في منطقة الأوراس،تمثل أغلبها في الأدوار التعليمية في المدرسة، فظهرت أسماء كمعلمات في مدرسة النشء الجديد كمليكة بن دراجي وزبيدة عبد الصمد وزهرة بوعرعار وليلى ذياب ...[3]

كما دعا الشيخ عمر دردور النساء لإحياء بعض الحرف والصناعات التي كانت معروفة لدى سكان المنطقة وتراجعت بفعل الأوضاع السيئة التي أدت إلى ذهاب الكثير من الأعمال الايجابية ،مثل الصناعات النسيجية كالقشابية والبرنوس والأفرشة والأغطية ... ،ولقد وجدت دعوته هذه استجابة وتجاوبا من قبل نساء المنطقة خاصة في منطقة تازولت والتي مازلت حية عندهم إلى اليوم [4].

كما وصلت دعوة المرأة للعمل حتى في أعمال البستنة ودبغ الجلود وصناعة الصوف والوبر والشعر، وأيضا صناعة الخيام والأواني المترلية التي يدخل في صناعتها مواد أولية بسيط متوفر في المنطقة كالطين والخشب ، وبذلك أصبحت المرأة الأوراسية تشارك الرجل في تذليل لقمة العيش

[1] –المقابلة السابقة مع السيد عبد الباسط دردور
[2] – Fanny Colonna: les débuts de L'islahe : op cit, p279
[3] – محمد حسن ،فضلاء :المرجع السابق ص 101 .
[4] – المقابلة السابقة مع السيد عبد الباسط دردور .

التي عرفت خلال الفترة الاستعمارية ضيقا كبيرا ،وأدىت هذه الدعوة إلى استغلال المرأة لوقتها في ما ينفع وتربيتها على الاعتماد على النفس والتوكل وهي التي كانت كثيرا ما تلجأ إلى المشعوذين والقزنات طلبا للزرق .

وصفوة القول إن الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء قد أدت أدوارا معتبرة في الميدان الاجتماعي في منطقة الأوراس من خلال دعوتها إلى التكافل الاجتماعي وتفعيل وإحياء مظاهره كالتعاون والاتحاد والأخوة ... ، بل استطاعت أن تحول الكثير من المظاهر السلبية التي كان يعشيها كالنزعات وضيق الولاءات إلى التوافق والاتحاد والتوجه نحو العمل المشترك الذي يحقق المصلحة العامة ويعود على الجميع بالخير والنفع، ومن ذلك انتشرت المؤسسات التي تعمل على نشر العلم ومحاربة الجهل وإحياء الثقافة وتوعية الناس وتنشئة الشباب وفق متطلبات العصر ومحاولة تفعيلهم ليساير أقرانهم في جيهات أخرى كانت أوضاعهم الثقافية والاجتماعية أيسر،وفعلا ظهرت ناشئة من صنع المدارس والمساجد والنوادي التي ساهم كل المجتمع الأوراسي في التأسيس لها ، كل حسب قدرته واختصاصه ،صاحب المال بماله وصاحب الجهد بعمله التطوعي لانجاز المرافق والمعلم والإمام بعلمهم .

والحق أن إنماء مظاهر التكافل مع تزايد الوعي في الوسط الأوراسي أدى إلى تراجع الولاءات الضيقة التي كان يعيش فيها، وظهرت فيه ولاءات جديدة كانت من نتاج الثورة الإصلاحية فيه فانتقاله من الولاء للقبيلة إلى الولاء للوطن قد وسع دائرة أفقه كما أن انتقاله من الولاء إلى الزاوية والطريقة إلى الولاء إلى الدين(الإسلام) بدون دوائره الضيقة قد منحه هذا مفهوم الوطنية التي سوف يتلاحم مع غيره في تحريره .

كما ساهمت دعوتهم إلى العمل في بعث الحياة في مجتمع ساد فيه الخمول والجمود وكل أنواع الكسل لعقود طويلة ،ووجهت طاقاته إلى أعمال عادت عليه بالنهضة الايجابية ،فتأسست المدارس والمؤسسات الثقافية الأخرى ،فتحرك التعليم ،وبعثت في الناس من جديد روح العمل فعاد النشاط إلى المزارع وتفعل دور المرأة في العمل المنزلي لإحياء بعض الصناعات التي عرفت تراجعا خلال فترة الاحتلال ، وشاركت منهن في النشاط التعليمي ،وهجرت الجماهير الأوراسية الكثير من المفاسد والعادات السيئة التي كانت من شأنها تعطيل إرادتهم وحبس طموحهم والتضييق على أمالهم.هتان الدعوتان اللتان كانت الدعوة فيهم في الواحدة تخدم الأخرى بالإضافة إلى مساهمتهم في إحداث تحولات وانقلاب في المجتمع الأوراسي ،فتحول من مجتمع راكد يحاكي القديم والتقليد

في جميع مستويات الحياة إلى مجتمع تواق للحياة متطلع للحرية ساعيا لها بكل جد واجتهاد ،وما إن وعى شبابه حقوقهم وجور السياسة الاستعمارية ،بفعل العمل التثقيفي الذي استفاد منه حتى قاد أو لدعوات الاستقلال ومحاولات الثورة .

الخاتــــــــمة :

إن الظروف الاقتصادية لسكان الأوراس قد تأثرت بالقوانين الجديـــدة الـــتي اســـتقدمها الاستعمار ،فمع ضعف مواد الأرض التي كانت تعرفها منطقة الأوراس بسبب قلة الأراضي الخصبة والسهول وصعوبة المناخ وقلة مساحته الرطبة ،إلا أن تجربة الإنسان الأوراسي مـــع بيئتـــه هـــذه الشحيحة استطاع أن يتكيف معها ويخلق توازن بينه وبين موارد أرضها و هذا من خلال نظـــام استغلاله لها، إلا أن القوانين الاستعمارية الجديدة التي أدخلت الملكية الفردية وصادرت الأراضـــي الزراعية الخصبة وحددت أراضي الرعي، أدت إلى ضرب البنية الاقتصادية للأهالي الأوراســـيين، وبذلك ضرب التوازن الذي كانت تكفله لهم الأرض من خلال نظامهم في استغلالهم لها .

كما أدت الوسائل الجديدة مثل وسائل النقل ودخول البضائع الصناعية وفرض استعمال النقد في المعاملات التجارية إلى اهتزاز النظام التجاري للأهالي الذي أصبح غير قادر على المنافسة ،ومع كل هذه الوضعية التي ساهمت في تدهور الوضع الاقتصادي والمادي للسكان الأوراسيين إلا أنها لم تظهر من جانبهم ردات فعل أو إجراءات للتكيف مع الواقع الجديد، إذا بقي الأوراســـي يستغل بيئته كما ورثها عن أجداده من العصور القديمة رغم أن ثروته بهذا الاستعمال التقليـــدي كانت تذهب من يده شيئا فشيئا وتزداد ظروفـــه الاقتصـــادية والماديـــة بؤســـا عـــن بـــؤس.

إن التحولات الجديدة هذه لم تمس الوضع الاقتصادي لوحدة بل أيضا استهدف الاستعمار الوضع الاجتماعي من خلال التنظيمات الإدارية والاجتماعية وأيضا الأثر الـــذي تركتـــه التحـــولات الاقتصادية على الواقع الاجتماعي لارتباطهما الكبير مع بعضـــهما الـــبعض واســـتغلال الأرض فمثلا أول ما استهدف في التحولات الاجتماعية الجديدة ما كان نواة ووحدة المجتمع الأهلـــي ألا وهي القبيلة فقد أدت التنظيمات الإدارية والاقتصادية إلى إضعاف القبيلة التي كانـــت الســـلطة الاجتماعية والسياسية ولعل هذا ما كان يصبو إليه الاستعمار فلقد تحول المجتمـــع مـــن وضـــع اجتماعي تحت نظام القبيلة يتساوى فيه كل أفرادها ويشتركون في استغلالها وانجـــاز أعمالهـــا إلى مجتمع يظهر فيه التمايز جليا بين غني فاحش وفقير مدقع، فتحول سكان الأوراس إلى جيش مـــن الفقراء وطالعتنا تقارير الإدارة المحلية الفرنسية لمنطقة الاوراس عن إحصائيات تظهر فئـــة الفقـــراء أوسع الفئات الاجتماعية والتي كانت تضم جموع المساكين والخماسين والعمال الموسميين والرعاة والمستخدمين المؤقتين فشكلوا فئة كادحة مرهقة ينتظرون ما تجود به الجمعيات وصناديق المعونات أو تبرعات المحسنين التي كانت لا تقدر على توصيل كل معوناتها لهذا العدد الهائـــل ،كمـــا أدى

انكفاء الإنسان الاوراسي على بيئته ورفضه لأي نوع من الاحتكاك مع الغازي الجديد إضافة إلى منعة جبله لدخول أي جديد، إلى بقائه يحاكي خبرات الحياة والتجارب الماضية لأجـــداده مـــن العصور القديمة إن على مستوى سكنه الذي بقي يراعي فيه بعد مقاومـــة الطبيعـــة -كـــالحرارة والبرودة أو السيول - والعدوان الخارجي ، أو التزامه الخيمة التي وفرت له مزية ســـهولة الطـــي والنقل في حياة تعرف الحل و الترحال أغلب شهور السنة، و لم يظهر أي تطور في نمط ســـكنهم يحاكي السكن العصري رغم المحاولات المحتشمة للاستعمار التي أبداها في نقل بعض الســـكان إلى ساكنات عصرية جديدة (كقرية الزنوج) هذا المظهر للإنسان الاوراسي أيضا لـــوحظ عليـــه في التطبيب فلقد كان لجوؤهم إلى الطب الخرافي والسحري واسعا واعتقادهم فيه راسخا وعلى الرغم من دخول الطب الحديث من خلال المستشفيات التي أقيمت في بعض دوائـــر الاوراس وظهـــور أطباء من الأهالي إلا أنه حتى عقد الثلاثينات من القرن العشرين م (20م) مازالت الثقة في الطلبة والقازنات أقوى من الطب الحديث ولعل هذا يعود بدوره إلى الوضع الثقافي الذي هو الآخر بقي يحاكي الثقافة القرواسطية التي تهيمن فيها الثقافة المرابطية الصوفية وقد تعززت بـــانفراد الزوايـــا بالسكان في حوزات الأوراس وقلت التأثيرات الثقافية من الوسط الخارجي.

فبقى التعليم تعليما دينيا بحتا وبسيطا وقد تراجع انتشاره الذي كان يحققه قبل الاحـــتلال بفعل ضرب هذا الأخير لمؤسساته كالمساجد والزوايا والكتاتيب والمدارس بحجة أن مضمونه يدعو إلى العنف والكراهية كما أدت المقاومات إلى موت العديد من العلماء أو تعرضهم للنفي أو الهجرة فضلا عن أن التعليم قد تراجع لحساب انشغال الناس بتوفير الرزق أولا وتوجيه العائلات أبناءها للمشاركة في تذليل الرزق وأبعدوا بذلك عن المدارس مما أدى إلى تفشي الجهل وقلة التعلـــيم في الوسط الأوراسي.

أما التعليم الفرنسي الذي كانت تعتمده الإدارة في تحقيق الغزو المعنوي فإنه رغم المحاولات الفرنسية في مرحلة الحكم العسكري لتحقق من خلال الإدماج والحضارة الأوروبية ،إلا أن إرادة المستوطنين كانت أقوى في توقيفه لأنه في نظرهم يساهم في تحسين أوضاع المســـلمين وتطـــوير وضعهم وهذا هدد مصالحهم ومستقبلهم في الجزائر ، كما كان لربط السكان التعليم الفرنســـي بالتنصير وراء فشل هذه المحاولات إذ لم يتحقق أي توسع في التحاق أبنـــاء الأهـــالي بالمدرســـة الفرنسية رغم كل الإجـــراءات الردعيـــة والترغيبيـــة للأوليـــاء مـــن قبـــل إدارة الاحـــتلال. أمام هذا الوضع الثقافي البائس وتقوقع الأوراسيين على أنفسهم وانعزالهم عن العـــالم الخـــارجي

كاستراتجية لمقاومة الآخر، إلا أن هذا لم يمنع بعض الحالات من تحقيق الاستثناء في اختراق هـــذه العزلة من خلال شخصيات محدودة هاجرة لطلب العلم بجامعات الشرق فاستطاعت أن تسمح لها الظروف في هذه البيئات المنفتحة والتي كانت تعيش بوادر نهضة إصلاحية أن يطلعوا على الأفكار الجديدة ويأخذوا منها العلم وبعد عودهم إلى مناطق إقامتهم أدوا أدوارا تعليميـــة واجتماعيـــة ضمنتها رؤيتها الإصلاحية ،إلا أن هذه الحالات مثلت أقبسا في بحور من الظلمة المرابطية فلم يعم نورها كل المنطقة ولكنها استطاعت أن تسمح لبعض تلاميذها أن يتلمسوا الدرب إلى أن وصلوا فجر الإصلاح الذي جاء مع الشيخ ابن باديس ويساهموا في ربط المنطقة بالمشروع الإصـــلاحي الوطني .

لم تكن منطقة الأوراس حتى بداية ثلاثينات القرن العشرين (20م) رغم بداية التحولات التي حصلت فيها تنبئ أن إمكانياها الثقافية وبناءها الاجتماعي له القدرة علـــى تـــبني الفكـــر الإصلاحي لجمعية العلماء ذو الطابع الديني المديني (نسبة إلى المدينة) الذي يتناقض مـــع الـــدين الريفي الذي يمثله الفكر المرابطي المهيمن والحاكم لقبضته على اغلب الجماهير الاوراسية والـــذي من سماته تفشى الجهل في أوساطها والاعتقادات الخرافيـــة علـــى كـــل مســـتويات حياهـــا . إلا أن عمق الاوراس كان يخبئ إمكانيات احتضانه وتعايشه مع الفكرة الإصلاحية ،ولعل معرفـــة الإنسان الاوراسي بوضعه المتخلف ووعيه بالتحولات التي حدثت خارج محيطه وإيمانه بضـــرورة اللحاق بركب الحياة التي أصبحت تعيشها باقي مناطق الوطن، وكان التعليم أحـــد أهـــم هـــذه الحاجات التي وعاها، فظهرت بذلك موجة من الطلبة الأوراسيين الذين غيروا مسارات ووجهـــة تعليمهم من المسار التقليدي الذي ارتبطت به الأوراس نحو زوايا الجنوب- (طولقة وخنقة سيدي ناجي) أو غربا نحو الزاوية الحملاوية بتلاغمة أين كان يشدهم التأثير الروحي للرحمانيـــة – إلى الشمال أين دروس الشيخ ابن باديس بالجامع الأخضر بقسنطينة ذات الطابع الإصلاحي، ومـــا يلفت الانتباه أن نوعية الطلبة هذه كانت اغلبها أبناء لعائلات مرابطية فقـــد شـــدنا الســـؤال في دراستنا إلى كيف ترضى عائلات مرابطية بالتعليم الإصلاحي لأبنائها وهو التعليم المعروف بترعته العدائية والمناقضة للتعاليم والمصالح المرابطية ،إلا أن وقوفنا وتتبعنا للأحداث سوف يفسر لنا ويبرر لنا هذا السلوك والمفارقة التي كادت تستثني بها منطقة الاوراس من حيث حجمها وعدد أفرادها ولعل أهمها مايلي :

1_ نجاح الشيخ ابن باديس في زرع الثقة بينه وبين هذه العائلات أثناء زياراته لمنطقـــة الأوراس خلال العقد العشرين مما أدى إلى اطمئنان هذه العائلات وزوال كل المخاوف والهـــواجس الـــتي كانت تصل ضده أو ضد فكرته.

2_ نجاح الحالات الإصلاحية السابقة في الأوراس في بناء التعايش بينها وبين الفكر المرابطي وقد رأينا في دراستنا كيف وظفت الشخصيات الإصلاحية العقارات المرابطية في أداء مهامهم التعليمية ذات الطابع الإصلاحي بهذا مهدت إلى التقارب الإصلاحي المرابطي في المنطقة

3_ رغبة اغلب الزوايا التي أرسلت أبناءها أن تعيد مجدها ومكانتها من خلال إعـــادة أدوارهـــا التعليمية والاجتماعية والتي رأتها أنها أصبحت لا تتأتى مثل السابق بالوراثة العائليـــة فقـــط، بـــل بالمكانة العلمية ورأت أن وجهة العلم أصبحت في التعليم الحديث الذي يكفله اليـــوم التعليمـــي الإصلاحي عند الشيخ ابن باديس .

هؤلاء الطلبة الذين كانوا يزدادون طرديا وبشكل مستمر بعد عودتهم مثلوا الجسر الذي انتقل عبره الفكر الإصلاحي إلى أعماق المجتمع الأوراسي ،ولأن هؤلاء الطلبة يمتلكون أصول اجتماعية ذات مكانة مرموقة عند السكان والتي استعملوها في النفوذ في الأوساط الشعبية فساعدتهم علـــى سهولة تقبل أفكارهم الجديدة ،كما أن المؤسسات الإصلاحية العصـــرية كالمـــدارس والنـــوادي والجمعيات ...التي نقلوها إلى المنطقة وفعلوا أدوارها ،كما كانت لها الأثر البالغ في توسيع انتشار الفكرة الإصلاحية،فالنوادي مست فئة الشباب والمدارس استهدفت الناشئة والمساجد توجهت إلى الكبار ،بهذا الحضور الإصلاحي بمنطقة الأوراس راحت إلى تفعيله لتحقيق أهـــدافها خاصـــة في المجالين الثقافي والاجتماعي.

فعلى الصعيد الثقافي تميزت الحركة الإصلاحية بهيمنة النشاط التربوي والتعليمـــي ،فعرفـــت مدارسها انتشارها الواسع أين وصلت إلى كل أبناء الأوراس فلم تخلوا دشرة أو دوار أو قريـــة في أحواز الأوراس من مدرسة إصلاحية واحدة على الأقل،وقد يعود الفضل في هذا الانتشار الواسع في المقام الأول إلى استماتة ناشطي الإصلاح بالمنطقة وإيمانهم العميق والصادق بمهمتهم هذه ،كما توافقت أيضا هذه الميزة مع الرغبة الكبيرة التي كانت تسيطر على الأوراسيين في الحصول علـــى التعليم الذي انقطع عنهم لمدة طويلة .

كما تدعمت المدارس بدور المساجد التربوي والتعليمي ،فظهر عدة مشايخ بالمنطقة كانت لهم أدوار تعليمية من خلال حلقات الدروس المسجدية التي كانوا ينتصبون لها ،والتي بفضلها حولـــوا مناطقهم إلى منارات أضاءت الظلمات التي حلت بها لفترة طويلة بفعل سيادة الجهل والتجهيل.
وقد مثلت هذه المدارس والمساجد مؤسسات فاعلة استطاعت بفضلها تحقيق الحركة الإصـــلاحية لأهدافها في نشر وإحياء الثقافة العربية الإسلامية واللغة العربية في الوسط الشاوي وتعميق البعـــد العروبي فيه وإن على حساب – على الأقل – اللغة الشاوية التي تراجعت في كثير من مناطقـــه إلى حساب اللغة العربية .

كما ساهمت نشاطات الإصلاحيين من نضالات ناشطيهم في المنطقة إلى محاربـــة البـــدع والخرافات وكل المظاهر المرابطية المخالفة للعقيدة والدين الإسلامي والتي تمثلت في مظاهر الشرك وانتشار العادات الخرافية والشعوذة والتي كان يعرف انتشارها توسعا طرديا - من حيث فئـــات الناس والمناطق – مع توسع الجهل ،وقد كان للتحسن الذي عرف في هذا الميدان والـــذي كـــان يظهر بتقدم الزمن يعود أساسا للوعي الذي حصل في الأوساط الأوراسية بفعل انتشـــار التعلـــيم وتوسع أيضا الفكرة الإصلاحية خاصة لدى فئة الشباب الذين جلبتهم المؤسســـات الإصـــلاحية العصرية التي عوضت المؤسسات المرابطية، والتي كان بناءها يحافظ على بعض وظائفها والتي مـــن خلاله بقت على الكثير من الاعتقادات والأفكار المرابطية ذات الأبعاد والصفات الخرافية والبدعية.

أما من الناحية الاجتماعية ،فإن الحركة الإصلاحية ساهمت بادوار اجتماعية من خلالها فعلت المظاهر الاجتماعية الايجابية في المجتمع وأعطتها البعد الديني للإسلام ،كالتكافل الاجتماعي الـــذي أحيته من خلال العديد من الأنشطة فحقق مقصد توحيد صفوف المجتمع وراء أهداف الإصـــلاح ونشر أبعادها الخيرية كالتعليم وإحياء الدين والأخلاق الدينية الفاضلة كالإحسان والبر وإصـــلاح ذات البين ومساعدة الفقراء والمساكين .

وأيضا التفتت الحركة الإصلاحية بالأوراس إلى الدعوة إلى العمل باعتباره واجب ديني تخلت عنه الأمة فكان سبب الركود والتراجع الحضاري والفكري والاستعمار الذي هي عليه اليوم .

فوجهت دعوتها إلى الشباب باعتبارهم الفئة المعنية به لما تتوفر عليه من طاقة وقـــدرة علـــى العطاء لا تتوفر بالشكل نفسه لدى الفئات الأخرى ،وبذلك فهي تمثل عماد الأمة وســـواعدها في تحقيق النهضة .

والحق أن الحركة الإصلاحية في دعوتها هذه، قد لاقت نجاحـا معتـبرا في منطقـة الأوراس ،فحولت المنطقة من منطقة راكدة يخيم عليها الخمول والكسل والتواكل إلى منطقة تفور بالنشاط والحركة الفاعلة الساعية إلى تحقيق مسعى النهضة، والذي ظهر في وقوف الجماهير الأوراسية وراء الأعمال الإصلاحية مشاركة في مد وإيصال المؤسسات الإصلاحية وأنشطتها كالتعليم والـوعظ والإرشاد وأنشطة النوادي إلى كل الأوراسيين .

ومن خلال دراستنا وصلنا إلى مجموعة من النتائج بشأن الخصائص والمميزات التي اختص بها النشاط الإصلاحي في منطقة الأوراس وانفرد به عن باقي مناطق الوطن الأخرى :

- تميز ت الأفكار الإصلاحية بالانتشار الواسع والسريع في منطقة الأوراس ،والـذي يظهـر في انتشار مؤسساتها وسهر أبنائها على الاشتغال فيها وتفعيلها من خلال الرسالة الإصلاحية وتقبـل واحتضان جماهيرها إلى هذه المؤسسات وتبنيهم لأفكار الإصلاح ،إذ لم تظهر أي معارضة مـن قبل أي جهة معينة ، بل أن ما يجدر الإشارة إليه هو مساهمة المؤسسات التقليديـة كالزوايـا والقياد في عضد والوقوف إلى جانب الحركة الإصلاحية في نشاطاتها من خلال تبني مشـاريعها كالتعليم أو أفعال الخير المختلفة من جهة والوقوف معها ضد كل المكائد الـتي حاكتـها الإدارة ضدها لإجهاض المشروع الإصلاحي بالمنطقة من جهة أخرى .

-كما تميزت الحركة الإصلاحية بالأوراس بأنها أنتجت مصلحيها الذين تلاءمـوا مـع ظروفهـا وخصائصها الثقافية والاجتماعية ،فناشطي الإصلاح بالأوراس كان اغلبهم من أبناءهـا الـذين ينحدرون من عائلات مرابطية وطرقية ،هذا جعل منهم مزدوج الانتماء دون تناقض بين الانتماء المرابطي الذي وفرته تنشئتهم والاعتقاد الإصلاحي الذي كان بتأثير شيخهم ابن باديس ،فهـذه الميزة التي توفرت في ناشطي الإصلاح وحدة بين المرابطية والحركة الإصلاحية والنظر بـوعي إلى العمل في النقاط المشتركة والتي تخدم المصلحة العامة ،لذلك استطاع الإصلاح أن تنضج أهدافه في المنطقة حتى قبل المناطق التي كانت تتوفر بيئاتها على أليق الشروط الثقافية والاجتماعية في استقبال الفكرة الإصلاحية .

-كما تميزت الحركة الإصلاحية في الأوراس بإحداث انقلاب وتحولات ثقافية واجتماعية وحـتى سياسية ،فحولتها من منطقة معزولة عن العالم الخارجي ومنطوية على نفسها منفردة بها المرابطيـة ميؤوسة من كل تسربات جديدة تحقنها لبعث الحياة فيها ،إلى منطقة حية تفور بالنشاط الـوطني وتتجه به نحو قيادة مسيرة التحرير والاستقلال.

-كما استطاعت الحركة الإصلاحية من خلال نشاطاتها بنـــاء القاعـــدة الثقافيـــة والاجتماعيـــة والسياسية للثورة التي قادة بدايتها الأوراس .

شرح المفاهيم والمصطلحات :

تعد عملية شرح وتحديد المصطلحات والمفاهيم من أهم الخطوات الأساســية في البحــث العلمي ، كما لها دور كبير في تحديد مسار البحث ، وذلك بتناول المصطلحات ذات الصلة المباشر بموضوع الدراسة أو بعض جوانبه ولعل أهم هذه المصطلحات في هذ البحث هي:

- الزاوية :

يطلق هذا اللفظ في المغرب العربي على مجموعة الأبنية ذات الطابع الديني ويتكون البنـــاء عادة من:غرفة للصلاة وضريح لأحد المرابطين أو ولي من الأشراف تعلوه قبة وغرفة قصرت على تلاوة القران ومدرسة لتحفيظ القرآن وغرفة مخصصة لضيوف الزاوية والحجاج إليها و المسافرين وغرفة للطلبة ويلحق بالزاوية عادة مقبرة تشمل قبور أولائك الذين أوصوا في حياتهم أن يدفنوا بها .

-المدارس العربية الحرة :

هي تلك المدارس التي يجري فيها التعليم باللغة العربية وتكون تابعة لأفراد أو مؤسسات أو منظمات شعبية (أهلية)ويقوم بها الشعب تأسيسا وتمويلا ولا تخضع لإدارة الاحتلال الفرنسي إلا من ناحية النظام العام فقط ،وقد سميت بالحرة تمييزا لها عن المدارس الحكومية الرسمية التي يجري فيها التعليم بالفرنسية .

-الإصلاح:

لغة : ضد الإفساد ،(وأصلح الشئ ضد أفسده).

وعرفه ابن باديس في التفسير بقوله : (هو إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله إزاء ما طــرا عليه من فساد ، والإفساد هو إخراج الشيء عن حالت اعتداله بإحداث اختلال منه ن فإصـــلاح البدن بمعالجته بالحمية والدواء وإصلاح النفس بمعالجتها بالتوبة الصادقة ، وإفساد البدن بتناول مـــا

حدث به من ضرر وفساد النفس بمقاربة المعاصي والذنوب ،وهكذا تعبر النفوس بالأبدان في باب الإصلاح والإفساد ،وفي الكثير من الأحوال ، غير أن الاعتناء بالنفوس أهم وألزم ،لان خطرهـــا أكبر وأعظم

ولعل من اشمل التعريفات للإصلاح الحديث ما جاء بـــه الـــدكتور محمـــد البـــهي فيقـــول : تعني الإصلاح الديني في مجال الإسلام :محاولة رد الاعتبار للقيم الدينية ورفع ما أثير حولها من شبه وشكوك قصد التخفيف من وزنها في نفوس المسلمين ونعني به كذلك محاولـــة الســـير بالمبـــادئ الإسلامية من نقطة الركود التي وقفت عندها حياة المسلمين إلى حياة المسلم المعاصر حتى لا يقف مسلم اليوم موقف المتردد بين أمسه وحاضره عندما يصبح في غدة

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :

تعتبر جمعية العلماء جمعية دينية ومؤسسة فكرية وتربويـــة ذات طابع ثقافي وسياسي تعتمد الثقافة والعلم والفكر سبيلا لها في تحقيق أهدافيها وإجـــراء في نشـــر أفكارها وأرائها .

تأسست في الحادي والثلاثين من شهر مايو عام واحد وثلاثين وتسعمائة وألف بنادي الترقـــي بمدينة الجزائر وجعلت لها شعارا يعبر عن اتجاهها ومقاصدها وهو:" الإسلام ديننا والعربية لغتنـــا والجزائر وطننا"، وقد ضمت بين صفوفها مجموعة من الشيوخ والمصلحين الذين تـــأثروا بأفكـــار محمد عبده وجمال الدين الأفغاني وتقبلـــوا أفكـــار شـــكيب ارســـلان الإســـلامية والعربيـــة

التنشئة الاجتماعية :

تعد التنشئة الاجتماعية من أهم العمليات الاجتماعية من حيث الأهمية فهي التي تساهم في الحفاظ على تكامل المجتمع واستمراره واستقراره كما أنها تساهم أيضا في بناء شخصية الفرد وتهيئته للحياة الاجتماعية وتعرف التنشئة الاجتماعية على أنها عملية تعلم وتعليم وتربية تقوم على التفاعل الاجتماعي وتهدف إلى إكساب الفرد طفلا فمراهقا فراشدا فشيخا سلوكا ومعـــايير واتجاهات مناسبة لادوار اجتماعية معينة تمكنه من مسايرة جماعته والتوافـــق الاجتمـــاعي معهـــا وتكسبه الطابع الاجتماعي وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية

كما تعرف أيضا على أنها عملية اجتماعية تشمل حياة الإنسان كلها منذ بداية تخلقه ويتم من خلالها تنمية استعدادات الفرد الفطرية وتدريبه على تلبية حاجاته وتأهيله للحياة الاجتماعية في ظل ثقافة مجتمع ما.

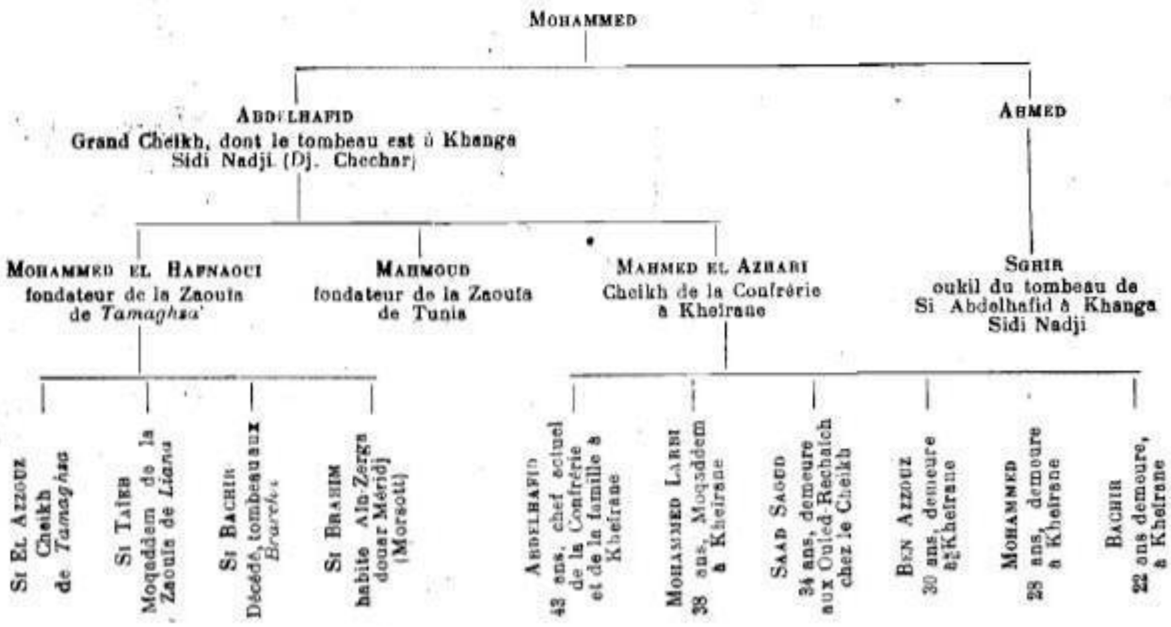
ومن هذه التعارف نستنتج أن التنشئة الاجتماعية هي عملية اكتساب المعـــارف القـــيم و طـــرق التفكير والسلوك من قبل الفرد كما أنها تنمي شخصية الفرد وتكيفها مع ثقافة المجتمع بحيث يصبح الفرد قادر على التكيف مع المجتمع وان يصبح جزءا من الكل ويحتل مكانه في المجتمـــع فالتنشـــئة الاجتماعية أذن هي عملية التفاعل الاجتماعي التي يتم من خلالها تكوين الوليد البشرى وتشـــكله وتزويده بالمعايير الاجتماعية والسلوكية وتساعد الفرد على تكوين شخصيته وتكيفه مـــع بيئتـــه الاجتماعية بحيث يتخذ مكانا معينا في نظام الأدوار الاجتماعية فيصبح عضوا معترفا به ومتعاونـــا مع الآخرين .

الملاحق

الملحق رقم 01:شجرة النسب لعائلة الخنقي

ARBRE GÉNÉALOGIQUE

DE LA FAMILLE DE SIDI ABDELHAFID, CHEF DE LA CONFRÉRIE DES RAHMANIA DE KHEÏRANE ET KHANGA SIDI NADJI



الملحق رقم 03:أهـــــــــم الـــــزوايا بالأوراس

الزاوية	طريقتها	مكان تواجدها
الشيخ الصادق بن بالحاج (سيدي المصمودي)	الرحمانية	تيرماسين،جبل احمر خدو،أولاد أيوب
الشيخ احمد بن صادق	الرحمانية	غسيرة-غوفي
الشيخ المكي	الرحمانية	تازولت في الدشرة الحمراء (اريس)
الشيخ محمد بن بلقاسم سي الحاج	الرحمانية	ثنية العابد
الشيخ خرشي خناش	الرحمانية	ثلاث (واد عبيدي)
الشيخ عبد السلام	الرحمانية	تكوت
الشيخ سيدي فتح الله	الرحمانية	كيمل
الشيخ بن عزة	الرحمانية	الحجاج دائرة أريس
آل عبد الصمد	الرحمانية	جبل بوعريف
سيدي الصديق بن قاسم بن شافع	الرحمانية	الرحبات
الشيخ محمد بن عبد الكريم	الرحمانية	دوار الرحبات
زاوية بن الحاج	الرحمانية	ملا ل
احمد بن ملطس	الرحمانية	حيد وسه
أولاد سي السعيد	الرحمانية	دوار أولاد عوف ، عين التوتة
سيدي احمد بن بوزيد	الرحمانية	قرقور ، سريانة

أولاد مرواني	الرحمانية	بتاشيورين جبل ارفاعة
زاوية حفيظي	الرحمانية	خنقة سيدي ناجي
زاوية سيدي محمد بالقاضي	الرحمانية	الأصنام
زاوية قرقور	الرحمانية	قرقور
زاوية سي علي بن عثمان (آل عثمان)	الرحمانية	طولقة
زاوية صالحي	الرحمانية	أريس
زاوية سي علي بن رمضان	الرحمانية	بيطام
زاوية عين أشفاعة	الرحمانية	دوار عين العصافر
زاوية سيدي المقراني	الرحمانية	امدوكال
زاوية سيدي محمد الحاج	الرحمانية	امدوكا ل
زاوية بن حمزة	الرحمانية	عين زعطوط
زاوية خيران	الرحمانية	جبل ششار قرب خنشلة
الزاوية الدردورية	الأحباب	حيدوس ومدرونة (ثنية العابد)
زاوية ناصري	الناصرية	خنقة سيدي ناجي وجبل ششار
زاوية بن عباس	القادرية	منعه

de Khenchela (1)

NOMBRE approximatif des khouans du moqaddem — dans le douar (5)	NOMBRE approximatif des khouans du moqaddem — en tout (5)	BRANCHE DE LA CONFRÉRIE à laquelle appartient le moqaddem (6)	DATE de l'Idjaza du moqaddem (7)	OBSERVATIONS (8)
»	400	Zaouia de Si Ali b. Othman (Tolga)		
50	»	Id.		
peu	»	Id.		
55 à 60	»	Zaouia de Sidi Abdelhafid (Kheirane)		
10 à 15	»	Zaouia de Bernouq ci-dessus (Enchir Draben)		
»	»	»		
15	»	Zaouia de Si Moh. Saïd au Reghis (Oum el Bouaghi)		
25 à 30	»	Zaouia de Si Ben Azzouz ben El Hafnaoui (Tamaghza)		
peu	»	Investi par Si Amar b. Moh. de Tifech		
10 à 15	»	Zaouia de Sidi Zouaoui (Chettaba)		Se rend une fois par an au Chettaba.
15 à 20	»	Zaouia de Si Moh. Saïd au Reghis (Oum el Bouaghi)		
peu	»	Zaouïa de Ali b. Othman de Tolga		Moqaddem pour l'honneur ne fait pas de prosélytisme.
peu	»	Zaouia de Si Moh. b. Abdesamed à Aïn Chela (Aïn el Ksar)		
20	»	Id.		
20	»	Zaouia de Temacin		
100	»	Zaouia de Sidi Bou Bekeur à Tamza		Très influent ; famille maraboutique des O. Zirara.
peu	»	Zaouia de Sidi Zouaoui (Chettaba)		
30	»	Zaouia de Sidi Abdelhafid à Kheirane		Famille maraboutique ; une fille mariée au cheikh de Kheirane.
50	»	Sous l'influence de la Zaouia de Mena'a		

(1) Voir note de la page 95. (*Rev. Afr.*, nos 306-307 (1er et 2e trim. 1921).

الملحق رقم 03 :جدول إحصائي يبين أتباع الزوايا بمنطقة خنشلة

CONFRÉRIE	BRANCHE de la Confrérie	TOTAL DE CHAQUE BRANCHE ET DANS CHAQUE COMMUNE																		TOTAL pour chaque branche		TOTAL par nationalité des branches
		Oum el Bouaghi		Aïn Beïda		Sedrata		Souk-Ahras ville et mixte		La Meskiana		Morsott		Tebessa (ville)		Tebessa (mixte)		Khenchela				
		moq.	khouan	moq.	khouan	moq.	khouan	moq.	khouan	moq.	khouan	moq.	khouan	moq.	khouan	moq.	khouan	moq.	khouan	moq.	khouan	
Tidjania	Temacin	»	300	1	100	7	600	4	282	4	1.300	»	»	1	250	»	2.506	3	90	22	6.828	
Id.	Guemar	»	»	»	»	»	»	»	»	2	1.500	»	»	»	»	»		»	»			
Total des Tidjania : 22 moq. 6.828 kh.																						
Chadhelia-Naceria	de Khanga Sidi Nadji	»	»	1	30	»	»	»	»	»	»	»	»	»	»	»	»	3	155	4	185	
Chadhelia	de Bône-Edough	»	»	»	»	2	50	4	300	»	»	»	»	»	»	»	»	»	»	6	350	
Id.	de Mena'a	»	»	»	»	1	12	»	»	»	»	»	»	»	»	»	»	1	300	2	312	
Total des Chadhelia : 12 moq., 847 kh.																						
Qadria	Oulad Sidi Bou Bekeur (Aurès)	»	»	»	»	»	»	»	»	»	»	»	»	»	»	»	»	3	700	3	700	Alg. 3 m. 700 kh.
Id.	Nefta (Si Brahim)	»	»	»	»	»	»	»	»	»	»	1	?	»	»	»	500	»	»	1	500	Tun. 17 m 1.997 kh.
Id.	Le Kef (Si Qeddour)	»	»	1	70	»	»	6	306	»	»	3	150	1	400	5	571	»	»	16	1.497	
Total des Qadria : 20 moq., 2.697 kh																						
Hansalia	(Chettaba ou Gastonville)	»	peu	»	»	»	»	1	40	1	30	»	»	»	»	»	»	3	80	5	150	
Ammaria	(Guelma)	»	»	»	»	»	»	1	20	»	»	»	»	1	130	»	»	»	»	2	150	
Aïssaoua	(de Constantine etc.)	»	»	1	50	»	»	»	»	»	»	»	»	1	75	»	»	»	»	2	125	
'Aïs-[illegible]	de Nefta	»	»	1	40	»	»	1	30	1	[illegible]0	»	»	1	200	»	»	1	200	5	500	de Tunis
-oulïamia	de Tripolitaine	»	peu	»	»	»	»	»	»	1	30	»	»	1	90	»	»	»	»	2	120	de Tripoli
Total des moqaddem et des khouan pour chaque commune..		18	1.000	5	340	32	2.067	49	1.878	18	4.505	13	2.610	7	1.345	5	7.937	33	2.360	Total général : 180 moq. et 24.042 kh		

Commune mixte de Khenchela (1)

1	2	3	4		5		6	7	8
DOUAR	CONFRÉRIE du moqaddem	NOM DU MOQADDEM	LE MOQADDEM a-t-il la propriété ou la gérance		NOMBRE approximatif des khouans du moqaddem		BRANCHE DE LA CONFRÉRIE à laquelle appartient le moqaddem	DATE de l'Idjaza du moqaddem	OBSERVATIONS
			d'une mzara avec zaouïa	d'une zaouïa sans mzara	dans le douar	en tout			
Mtoussa	Rahmania	Khiari (Si Mohammed ben el Hadj Lakhdar)	à El Himeur mzara et zaouïa importante	»	»	400	Zaouïa de Si Ali b. Othman (Tolga)		
Id.	Rahmania	Zouis (Moh. Lakhdar b. Ahmed)	non	»	50	»	Id.		
Id.	Rahmania	Sebeg (Ahmed b. Moh. Lakhdar)	non	»	peu	»	Id.		
Bsghai	Rahmania	Bernouq (Si Larbi bel Hadj Mbarek)	mzara et z. importante	»	55 à 60	»	Zaouïa de Sidi Abdelhafid (Kheirane)		
Id.	Rahmania	Bouzidi (Belhal ben 'Ali)	non	»	10 à 15	»	Zaouïa de Bernouq ci-dessus (Enchir Draben)		
Id.	Rahmania	Adami (Mohammed Lakhdar)	»	»	»	»	»		
O. Bou Dahrem	Rahmania	Bou Djelal (Mohammed Salah ben Amar)	non	»	15	»	Zaouïa de Si Moh. Saïd au Reghis (Oum el Bouaghi)		
Id.	Rahmania	Zaïr (b. Moh. b. Trad)	non	»	25 à 30	»	Zaouïa de Si Ben Azzouz ben El Hafnaoui (Tamaghza)		
Id.	Rahmania	Goudjil (Moh. ben Amar)	non	»	peu	»	Investi par Si Amar b. Moh. de Tifech		
Id.	Hansaliya	Tehib (Moh. ben Moh.)	non	»	10 à 15	»	Zaouïa de Sidi Zouaoui (Chettaba)		Se rend une fois par an au Chettaba.
Remila	Rahmania	Touami (Taïeb ben Hamana)	simple mzara	»	15 à 20	»	Zaouïa de Si Moh. Saïd au Reghis (Oum el Bouaghi)		
Id.	Rahmania	Zouari (Chebab ben Si Amar)	deux mzara	»	peu	»	Zaouïa de Ali b. Othman de Tolga		Moqaddem pour l'honneur ne fait pas de prosélytisme.
Id.	Rahmania	Benmerdja (b Goudjil)	»	zaouïa	peu	»	Zaouïa de Si Moh. b. Abdesamed à Aïn Chefa (Aïn el Ksar)		
Id.	Rahmania	Mansour (Si Latif ben Ali)	non	non	20	»	Id.		
Id.	Tidjania	Benmerdja (Mihoub ben Moh.)	non	»	20	»	Zaouïa de Temacin		
Id.	Qadria	Benounis (Cherif ben Seddik)	zaouïa importante	»	100	»	Zaouïa de Sidi Bou Bekeur à Tamza		Très influent ; famille maraboutique des O. Zirara.
Id.	Hansaliya	Derradji (Mohammed Cherif)	»	petite zaouïa	peu	»	Zaouïa de Sidi Zouaoui (Chettaba)		
Yabous	Rahmania	Basrour (Ahmed Amzian ben Taïeb)	mzara	»	30	»	Zaouïa de Sidi Abdelhafid à Kheirane		Famille maraboutique ; une fille mariée au cheikh de Kheirane.
Id.	Chadhelia	Néant	»	»	50	»	Sous l'influence de la Zaouïa de Mena'a		

(1) Voir note de la page 95. (*Rev. Afr.*, n°s 306-307 (1er et 2e trim. 1921).

REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

MINISTERE DE L'ORIENTATION NATIONALE

NOTICE DE RENSEIGNEMENTS

NOM : DERDOURI

PRENOM : BELCACEM dit AMOR

NOM DE JEUNE-FILLE (pour les femmes mariées) :

DATE ET LIEU DE NAISSANCE : 13/10/1913 à HAÏDOUS - ARRIS

ETAT CIVIL (marié - ~~veuf~~ - ~~célibataire~~ - ~~divorcé~~) :

PROFESSION ACTUELLE : Directeur de l'institut islamique complémentaire - B

ADRESSE PERSONNELLE : 40 Rue de la République - LAMBÈSE - BATN

CHARGES DE FAMILLE (indiquer prénoms, date et lieu de naissance de chaque enfants)

DERDOURI Mohamed El Rachid 30/11/1944 à Lambèse - Fatima 3/6/46 Lambèse - Abdeslam 1/1/1948 à Lambèse - Abdelaziz 7/3/194 à Lambèse - Dalila 7/3/1952 à Lambèse - Mohamed-Hossadik 29/5/1954 à ~~AbdelHak~~ Lambèse - AbdelHak 7/5/1960 au Cair

ETUDES PRIMAIRES POURSUIVIES :

Année	Médersa	Cours	Maître	Observations
1ère 1929	Zaouïa de Tolga	premier	El Hadj Abdallah El AKhdari	
2ème 1930	" "	deuxième	Mohamed El Daradji	
3ème 1931	" "	troisième	Abdallah El Mabrouk	
4ème 1932	" "	quatrième	Abbas Ben Hachmi	

ETUDES SECONDAIRES POURSUIVIES:

Année	Médersa	Cours	Maître	Observations
1933	Djamâa El AKhDAR Constantine	premier	Cheikh Abdelhamid	
1934	" "	deuxième	Ben Badis et son	
1935	" "	troisième	aide	
1936	" "	quatrième	"	
1937	" "	cinquième	"	
			"	

ETUDES SUPERIEURES :

DIPLOMES : (indiquer date et lieu d'obtention)

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة الإرشاد القومي

بطاقة الاستدلالات

اللقب: دردور

الاسم: بلقاسم المدعو عمر

الاسم الأصلي "للنساء المتزوجات"

تاريخ ومكان الولادة: 12/10/1913م حيدوس - أريس

الحالة المدنية (متزوج ~~أعزب مطلق~~)

المهنة الحالية: مدير المعهد الإسلامي التكميلي بباتنة

العنوان الشخصي: 6 نهج الجمهورية نزولت - باتنة

الحالة العائلية (اسم، تاريخ ومكان الولادة لكل ولد)

1) دردور محمد الرشيد 1948/1/11 آزولت دردور دليلة 1952/3/7 آزولت
2) ... فطيمة 1942/6/15 ... محمد صدق 1955/4/29 ...
3) ... عبد السلام 1946/1/1 ... عبد الحق 1960/5/7 القاهرة
4) ... عبد العزيز 1949/3/7 ...

تابع الدروس الابتدائية ب

السنة الدراسية	المدرسة والبلدة	القسم	المعلمون	ملاحظات
الأولى 1928	زاوية طالقم (مدرسة ...)	الأول	الشيخ عبد الحق (...)	
الثانية 192[illegible]	- - -	الثاني	محمد الدراجي	
الثالثة 19[illegible]	- - -	الثالث	عبد الله بن مبروك	
الرابعة 1931	- - -	الرابع	عباس بن الشيخ	

تابع الدروس الثانوية بالجامع الأخضر بقسنطينة على الأستاذ الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس

السنة الدراسية	المدرسة والبلدة	القسم	المعلمون	ملاحظات
1932	الجامع الأخضر قسنطينة	الأول	الشيخ عبد الحميد بن باديس	
1933	- - -	الثاني	ومساعدوه	
1934	- - -	الثالث	- - -	
1935	- - -	الرابع	- - -	
1936	- - -	الخامس	- - -	

الدروس العليا:

الشهادات التي الحصول عليها)

شهادة التخرج من الجامع الأخضر وقد ضاعت أثناء الحوادث ولدي شهادة في الوعظ والإرشاد تكون لدى ... التي تقدم للجنة الانتقاءات الإسلامية بالجزائر

الملاحظة

صح ... [illegible]

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

❀ ورقة اعتماد ❀

اعتمد مجلس الادارة الشيخ :

محمد دردور

للقيام بالوعظ والارشاد على مبادي الجمعية في هذه البلدان :

اريس ومنعة وبوحمار وجميع البلاد

التي أخلة تحت تعيين الرئيس

في مدة بدايتها ربيع الثاني ١٣٥٥ ٢ جوان ١٩٣٦

ونهايتها شعبان التالي للتعيين

امضاء الرئيس

ASSOCIATION

DES "OULAMA" D'ALGÉRIE

CARTE DE DÉLEGUÉ

Le Conseil d'Administration délègue

M. Omar Dardour [illegible]

pour assurer la mission de Prédicateur, selon les principes de l **ASSOCIATION**, dans les centres suivants :

[illegible]

....

et ce pour une durée commencant le juin 193[illegible]

et finissant le [illegible] 193[illegible]

Signature du Président

[illegible]

AS 69865

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

LOI

ALGÉRIE

(278 / A)

RÉCÉPISSÉ N°/ 173

Vu la loi du 1er Juillet 1901 relative aux contrats d'Association et le décrêt du 16 Août 1901 portant réglement d'Administration publique pour la loi précitée.

Le Sous-Préfet de l'Arrondissement de Batna certifie avoir reçu de M. DERDOUR Si Omar Président, une déclaration en date du 26 Mars 1937 faisant connaitre la constitution à Oued-Abdi d'une Association dénommée " ASSOCIATION CULTUELLE [illegible] D'OUED ABDI " dont le but est la sauvegarde de toutes les pratiques du culte musulman et de son exercice.

Le siège social est à la Mechta Hidouss au douar Oued-Abdi.

Deux exemplaires sur timbre des statuts de l'Association étaient annexés à la déclaration qui doit être rendue publique dans le délai d'un mois à partir de la date de la déclaration par les soins de ceux qui sont chargés de l'administration ou de la Direction de l'Association, au moyen de l'insertion au Journal Officiel d'un extrait contenant : 1°/ la date de la déclaration 2°/ le titre et l'objet de l'Association 3°/ l'indication du siège social. La date de l'insertion devra être portée à la connaissance de M. le Sous-Préfet de l'Arrondissement de Batna.

Batna, le 3 Avril 1937

P. le Sous-Préfet, e.p.e.

L'Administrateur détaché

PRÉFECTURE DE CONST[illegible]

أول اعتماد لإنشاء جمعية نوادي الإصلاح
بدوار واد عبدي حوز أريس مقرها (حيدوس)
من طرف رئيس دائرة باتنة (فيري) 1937

المدرسة	تاريخ افتتاحها	أهم إطاراتها ومعلميها
مدرسة التربية والتعليم (فرع باتنة)	10 أكتوبر 1937	محمد الغسيري ،محمد الحسن فضلاء ،عمر دردور ،محمد العيد آل خليفة ،الشبوكي
مدرسة التربية والتعليم (فرع خنشلة)	سنة 1938	بلقاسم شرفة
مدرسة التربية والتعليم (عين ياقوت)	أوائل 1938	ابو علي الشريف بن عامر
مدرسة التربية والتعليم (عين التوتة)	سنة1938	محمد عبد الصمد ، أحمد بن عثمان السلطاني،عبد القادر
مدرسة حيدوس	1938	عمر دردور
مدرسة أم الرخاء	في 1938	محمد الصالح الزموري
مدرسة منعه	في 1938	الشيخ القندوز ثم الشيخ العربي خطراوي
مدرسة بو زينة	في 1938	احمد بهلولي
مدرسة اريس	في 1938	الشيخ الأمير صالحي ورشيد صالحي و بومعراف
مدرسة المعذر	في 1938	الشيخ عبد المجيد بوزيدي
مدرسة النوادر	في1938	إسماعيل الشرفي ثم محمد بالمنصور
مدرسة الفتى تازولت	في 1938	شيخي محمد الصالح
المدرسة النشء الجديد	15 سبتمبر 1954	أحمد السعودي ، أحمد بن ذياب
المدرسة اليوسفية انقاوس		عيسى مرزوقي، محمد لمعامير،
مدرسة مروانة		التهامي بن الحاج عبد الله
مدرسة تكوت		أحمد السعدي ميمون ثم إبراهيم مازوزي

مدرسة بريكة	في 1938	موسى الزقاق
مدرسة دوار كيمل	في 1938	أحمد السرحاني
مدرسة مشونش	في 1938	عبد الواحد واحدي وأحمد سرحاني ثم عيسى الدراجي
مدرسة الولجة (خنشلة)	في 1938	أحمد السرحاني و بلقاسم شرفة
مدرسة غوفي - غسيرة		عمار بلجودي وأحمد ميموني
مدرسة بانيان		
مدرسة تكوت		
مدرسة أولاد منصور غسيرة		
مدرسة أولاد علي فاضل عين لقصر		
مدرسة أولاد علي فاضل قايس		
مدرسة شير بواد عبيدي		الشيخ الغزالي بن دعاس
مدرسة سريانة	في 1942	الشيخ عبد المجيد بوزيدي
مدرسة القنطرة		الشيخ الأمين سلطاني
مدرسة التربية والتعليم بسكرة	في 1950	أحمد السرحاني
مدرسة اينوغسين بدوار زالاطو	1939الى 1945	محمد الدراجي ميهوبي وعبد الحفيظ بالمكي
مدرسة المسجد الجديد(باتنة)		الشيخ الطاهر مسعودان الحركاتي
مدرسة الإصلاح (بريكة)		
مدرسة عين التوتة		محمد بن عبد الصمد ، احمد بن عثمان السلطاني ، عبد القادر فرجاني ، محمد درنوني

- أهم المساجد ومشائخها التي نشطت فيها التعليم والوعظ و الإرشاد

المسجد	معلموه وأئمته	المسجد	معلموه وأئمته
مسجد باتنة	الشيخ الطاهر مسعودان الحركاتي	مسجد غوفي	بلقاسم ميموني
مسجد حيدوس	عبد الرحمان زموري	مسجد تازولت	واحدى سعد السعود
مسجد لقصر بحدوس	عمر دردور	مسجد المعذر	عبد المجيد بوزيدي
مسجد بعلي	الطيب زموري	مسجد سيدي قاسم انقاوس	مرزوقي عيسى
مسجد الحجاج	مولود الزريبي ثم محمد الدراجي	مسجد بوحمامة	احمد زقادة-عمار مازوزي-إبراهيم مازوزي
مسجد ثنية العابد	بلقاسم الفرحي – محمود الواعي	مسجد سريانة	عبد المجيد بوزيدي
مسجد شير	محمد بن سي السعيدي- واحدي سعد السعود- بن دعاس الغزالي	مسجد مرابط الصديق الرحبات رأس العيون	إدريس بن إبراهيم بوترعة
مسجد منعة	رمضان بن شباح- نعيم النعيمي	مسجد قيقبة (رأس العيون)	عمر بلقاسم منصورية
مسجد أوغانيم	رمضان بن شباح	مسجد أولاد العربي بيضاء برج	حمو بن السعيد بوعكاز
مسجد ورقة	علي بن شكشوك مدور	مسجد حيدوسة	سوهالي محمد بن القاضي
مسجد مشونش	عمار بن عباس	مسجد زاوية تبرماسين	الجموري بن العايش والجموعي بلمازوزي
مسجد الدشرة الحمراء	لخضر الخنقى- رشيد صالحي- ملكمي الصادق	مسجد زاوية عبد الصمد	الطيب الزموري
مسجد لقصر بتكوت	شباح شريف	مسجد زاوية بن عباس منعة	علي بن شكشوك مدور ومحمد الصغير بن عباس – محمد بن محمد بن عباس- زين العابدين بن عباس
مسجد تكوت	الصادق رحماني- ملكمي الصادق	مسجد أريس	الأمير صالحي
مسجد بوحمارة	محمد لبكارة	مسجد عين التوتة	درنوني محمد
مسجد النوادر	أحمد الخالدي	مسجد عين ياقوت	أبو الشريف علي بن عامر- عبد الحفيظ الخنقي
مسجد مدرونة	بلقاسم دردور	مسجد خنشلة	محمد الزروق
مسجد أثلاث	حب الدين ساعد	مسجد تفلفال	الشيخ محمد الصالح مدور
مسجد أولاد عزوز	عباس عبابسة	مسجد شناورة	بلقاسم مختاري

الملحق رقم

النوادي والجمعيات الإصلاحية بالاوراس

النادي أو الجمعية	مكان تأسيسه ونشاطه	سنة التأسيس
1- البلدية المختلطة عين التوتة		
- جمعية الهدى	تابع للقنطرة	نوفمبر1932
مدرسة الهدى	تابع للقنطرة	نوفمبر1932
التعبدية شعائرية	عين توتة	نوفمبر 1932
نادي الثقافة	القنطرة	ألغيت سنة 1937
نادي الثبات	القنطرة	نوفمبر 1932
نادي التوفيق	دوار جمورة	نوفمبر1937
نادي الفكاهة	القنطرة	سبتمبر1937
نادي الإصلاح	دوار تيلاتو	جوان1937
نادي الحياة	عين زعطوط	فيفري 1936
نادي الإصلاح	قرون	1935
2ـ بلدية خنشلة		
نادي الإصلاح	خنشلة	أوت 1936
تجمع ديني	يابوس	1935
مدرسة الإصلاح	خنشلة	
3ـ بلدية المختلطة اريس		
جمعية محلية	برئاسة عمر دردور	1936
مدرسة حيدوس		1936
نادي الرشاد		1937
نادي حيدوس تأسس من طرف عمر دردور		
نادي الإصلاح النوادر	دوار شير	1937
نادي الإصلاح تاقوست	دوار بوزينة	1937
نادي الرشاد	اريس	1936
نادي تغلغل	تفلفل	1937
تجمع ديني عسيرة	دوار غوفي	1937
تجمع ديني وادي عبدي	حيدوس	1937
تجمع ديني أم الرخاء	بوزينة	1937
تجمع ديني زيلاطو	دوار اينوغسين	1937
نادي الإصلاح	دوار بوزينة	1935
نادي التقدم	منعة	1937
نادي الهدية	غسيرة	1937

4ـ البلدية المختلطة عين القصر

تجمع ديني في نادي التربية وتعليم	المعذر	1937
الجمعية الدينية الشمرة	لدوار الشمرة	1936ـ

5-البلديةالمختلطة بريكة

نادي الإصلاح	بريكة وكان مدرسة	1937

6 ـ بلدية كاملة الصلاحيات باتنة

اللجنة المحلية لجمعية العلماء	المسجد العتيق	1936
مدرسة المسجد العتيق	باتنة	1937
نادي الإصلاح	باتنة	1933

7ـ بلدية القنطرة كاملة الصلاحيات

اللجنة المحلية لجمعية العلماء برئاسة خير الدين		1937
جمعية يقين الفقراء	القنطرة (سعدان وخير الدين	1936
نادي الشهاب	قنطرة {سعدان}	1936
مدرسة الشهاب	قنطرة	1936

8- بلدية بلزمة

الجمعية المحلية لجمعية العلماء		1936

المصدر :

Amar helal: Le Mouvment Reformiste Algerien (les hommes et l'histoire)1831-1957 office des puplication universitaires Algeria 2009 p

بيان الصحافة الإصلاحية والوطنية

الرقم	الصحيفة	تاريخ الظهور	المكان	المؤسس	تاريخ التوقيف	لغتها
01	الإقدام	1919/03/07	الجزائر	الأمير خالد - دندان الحاج عمر	1923/04/06	ف +ع
02	النجاح	1919	قسنطينة	عبد الحفيظ بن الهاشمي	1955	ع
03	الجزائر	1920/08/16	الجزائر	عمر بن قدور	1922/08/07	
04	لسان الدين	1923/01/02	الجزائر	س.بن دمران		
05	المنتقد	1925/07/02	قسنطينة	ابن باديس	1925/10/29	ع
06	الجزائر	1925/07	الجزائر	محمد السعيد الزهري		
07	الشهاب	1925/11/12	قسنطينة	ابن باديس	أوت 1939	ع
08	صدى الجزائر	ديسمبر1925	بسكرة	أحمد بن العابد العقبي	1926/09/18	ع
09	الإصلاح	1927	بسكرة	الطيب العقبي		ع
10	البرى	1927	قسنطينة			
11	وادي ميزاب	1926/10/01	الجزائر	أبو اليقظان	1929/01/18	ع
12	ميزاب	1929	الجزائر	أبو اليقظان	1929	ع
13	المغرب	جوان 1930	الجزائر	ابو اليقظان	1931/03/09	ع
14	السنة المحمدية	1933	قسنطينة	ابن باديس		ع
15	الصراط السوي	1933/09/11	قسنطينة	ابن باديس	جانفي 1934	ع
16	البصائر		قسنطينة	ابن باديس		ع
17	الحق	1893/07/30	عنابة	سلمان نبقي - سمارقايد العيون	1894/03/25	ع +ف
18	الإسلام	1909	عنابة الجزائر	بن دندان		ع + ف
19	ذو الغفار	1913/10/05	الجزائر	عمر راسم	1914/06/28	
20	الجزائر	1913/10/27	الجزائر	عمر راسم	1914/06/	ع
21	الفاروق	1913/02/28	الجزائر	عمر بن قدور	1921/03/20	ع
23	كوكب إفريقيا	ماي 1907	الجزائر	محمد كحول	191914/07/31	ع
24	الفصيح	1899/10/11	الجزائر		1902/05/23	ع
25	الحق الوهراني	1901	وهران		1914	ع + ف
26	La defonse		الجزائر	الأمين العمودي		ف
27	الشريعة المطهرة	جويلية 1933	قسنطينة	ابن باديس	أوت 1933	ع
28	الصديق			عمر بن قدور - محمد بن بكير		

LA QUESTION RELIGIEUSE

Par Lamine LAMOUDI.

II

Comme nous l'avons dit dans notre dernier article (*Défense* du 14 mai), la Cultuelle musulmane, présidée par M. Bensiam, n'ayant jamais été dissoute et ne pouvant l'être que par jugement du Tribunal civil à la requête du Procureur de la République, existe toujours et est toujours le seul et unique organisme qualifié pour gérer les édifices religieux et désigner le personnel du culte.

Lorsque cette Cultuelle jouissait, comme le veulent la loi et la logique, de la plénitude de ses prérogatives, les fonctionnaires et agents de tout grade du culte musulman étaient nommés par son Conseil d'administration qui suivait à peu près les règles ci-après :

Le Conseil se réunissait sur convocation du président, examinait les différentes demandes et les dossiers y afférents et arrêtait son choix sur le candidat qui lui paraissait le plus digne et qui offrait le plus de garanties morales et professionnelles.

Mais comme tous les fonctionnaires religieux émargent au budget de la Colonie qui les paye sur les revenus des Habous, la candidature agréée par la Cultuelle était soumise à la ratification de l'administration.

C'était d'ailleurs là une simple formalité et l'administration ne pouvait qu'approuver la proposition des dirigeants de l'Association compétente et responsable.

Comment procède-t-on à l'heure actuelle après l'odieux coup de force ... un communiqué paru dans les quotidiens et dans lequel « Sidna » annonçait que tous les candidats qui avaient subi avec succès les épreuves possédaient des connaissances suffisantes en matière religieuse pour remplir, à la satisfaction des fidèles, les emplois qu'ils postulaient.

Nous avons énergiquement protesté contre tout ce qu'il y avait d'odieux et de ridicule dans ce communiqué et nous avons appelé l'attention des Pouvoirs publics sur cette nouvelle atteinte à la dignité des Musulmans.

Mais, comme toujours, nous n'avons reçu, en guise de réponse, que de vagues promesses.

Pendant longtemps, beaucoup de nos amis de la Métropole s'étaient refusés à croire que dans un pays soumis aux lois de la République, pareilles ignominies pussent se commettre. Mais tout le monde aujourd'hui est édifié sur l'état de choses que nous subissons depuis des années et tout le monde est d'accord pour proclamer que c'est intolérable.

Le Gouverneur général lui-même, reconnut, au cours d'une audience accordée à une délégation du Congrès Musulman, au mois de juillet dernier, qu'il y avait quelque chose d'anormal et qu'il était décidé à mettre fin aux errements de ses subordonnés.

Mais M. Le Beau n'a rien fait. Nous disons bien : il n'a rien fait, car le remplacement de M. Michel par M. Benzekri n'apporte aucune solution à la grave question religieuse qui est une des principales causes du malaise al-

tuelle, après l'odieux coup de force dont l'ancien préfet d'Alger se rendit coupable avec la complicité de son secrétaire général Michel ?

Oh ! c'est bien simple, mais c'est vraiment scandaleux.

Nous avons déjà dit que l'on avait créé une « Commission consultative du culte musulman ». A la tête de laquelle on avait placé ce même Michel qui avait tout manœuvré pour devenir le « Grand Pontife de l'Islam ». C'était en réalité lui qui dirigeait tout, les autres membres de la fameuse Commission n'étant là que pour la forme.

Nous avons toujours ignoré la composition ; de la Commission du culte, présidée par le citoyen Michel. Mais ce que nous savons, ce que nous pouvons affirmer sans crainte d'être démenti, c'est que ce citoyen, aussi honorable qu'intègre, nommait et révoquait nos imams, nos muphtis, nos hazzabs, nos moueddens, etc...

Il avait les pouvoirs les plus étendus et il savait en user.

Mais il s'est défendu, paraît-il, d'en avoir abusé...

Or, d'après les renseignements puisés aux sources les moins suspectes, le « Cheikh-El-Islam », Frédéric Michel, ne quitta pas sa « Commission », comme l'incorruptible Jean Mirante s'éloigna de ses « Affaires », *plus pauvre que le jour où il y était entré.*

Si on écoutait les mauvaises langues...

Tout cela n'est d'ailleurs que détails insignifiants.

L'essentiel pour nous, le fait patent, incontestable, c'est que pendant quatre années entières et consécutives, notre chef spirituel à nous, Musulmans, fut un chrétien, imposé par la violence et l'arbitraire de ses chefs.

On a beaucoup parlé d'un examen institué par « Sidna » Michel. Nous avons nous-même parlé de ce simulacre d'examen et nous avons même reproduit dans un de nos numéros de 1934 des principales causes du malaise algérien.

Dans notre prochain article, nous indiquerons la seule solution susceptible, à notre avis, de nous donner satisfaction.

(A suivre).

De l'aveu même de M. Le Beau l'administration algérienne est désespérément inerte

Dans le long discours qu'il a prononcé à l'ouverture des Délégations Financières et dans lequel il a plaidé la cause de son administration « injustement accusée d'inertie », M. Le Beau a cru devoir donner le bilan exact de l'activité de la Caisse des prêts agricoles et de la Caisse algérienne dans le domaine de la consolidation.

« Prêts de consolidation aux fellahs détenteurs de terres francisées, 83.633.000 frs, DONT 21.282.000 FRS DEJA MANDATES. »

Vingt et un millions *sur huit cents millions affectés voilà déjà deux ans à la consolidation de l'agriculture, voilà qui est bien mince comme résultat et qui justifie pleinement toutes les critiques que l'on adresse à l'administration de M. Le Beau.*

Nous parlions dernièrement d'une centaine de millions accordée aux agriculteurs menacés de vente et nous trouvions que c'était déjà trop insuffisant. Nous ne savions pas alors qu'il n'y eût que quatre-vingt-trois millions, sur lesquels vingt et un seulement ont été effectivement mandatés. Nous remercions M. le Gouverneur général de nous avoir donné ces importantes précisions qui mettent plus que jamais en relief la désespérante inertie de son administration. Celle-ci a mis deux ans pour accorder le 40e du crédit affecté sous forme « de secours urgent à l'agriculture en détresse » ; *à ce rythme il faudra exactement quatre-vingts ans pour distribuer les huit cents millions.*

En attendant, on meurt de faim dans les campagnes et on vend à tour de bras au Palais.

A.

En attendant

la Méditerranée n'oublient pas, que la France est la « fille aînée de l'Eglise ».

Notre confrère la *Presse Libre* publiait tout récemment, sous la signature du trop célèbre Claude-Maurice Robert, un article parfaitement édifiant à cet égard.

Plusieurs journaux réactionnaires de la Métropole préconisent, en termes non équivoques, l'évangélisation des masses indigènes, affirmant que c'est le seul moyen de les attacher réellement et définitivement à la France.

Le prétexte invoqué par le Préfet d'Alger pour justifier la main mise administrative sur les édifices religieux, à savoir que les « Ulémas » y faisaient une propagande politique antifrançaise, n'a convaincu personne.

Tout le monde sait, en effet, que les Musulmans font eux-mêmes et savent faire mieux que quiconque la police de leurs mosquées ; qu'ils ne tolèrent en aucun cas et sous aucun prétexte, que l'on s'y livre à un acte qui n'entre pas dans le cadre des cérémonies du culte et de l'enseignement exclusivement religieux.

D'autre part, l'accès des mosquées étant ouvert à tous les Musulmans, *sans exception*, il était très facile à l'Administration de se faire renseigner par ses innombrables espions officiels et officieux, *presque tous des Musulmans*, sur tout ce qui se passait à l'intérieur de ces édifices, ce qui lui rendait également faciles le contrôle de l'action du personnel du culte et des prédicateurs, et, si besoin était, la répression de tout acte pouvant nuire à l'ordre public ou à la sûreté de l'Etat.

Enfin, la présence seule du président Bensiam à la tête de la Cultuelle et son affirmation que tout se passait normalement au sein des mosquées n'étaient-elles pas une garantie suffisante et n'étaient-elles pas de nature à calmer les appréhensions de l'Administration ?

Nous ne croyons pas, quant à nous, que celle-ci ait pu douter un seul instant du loyalisme de M. Bensiam envers qui elle a été aussi injuste qu'ingrate.

Nous savons, depuis l'affaire de la Cultuelle, comment l'Administration

... que nous publierons les faits qui nous sont signalés. Nous ne demanderons pas qu'ils soient réprimés, car il n'est pas dans nos habitudes de demander l'impossible. Et nous sommes de ceux qui croient qu'il sera impossible d'empêcher le renouvellement de pareils faits tant que nos affaires religieuses seront gérées par un Comité catholico-administratif ayant à sa tête des fonctionnaires plus soucieux de plaire à leurs chefs que de respecter les croyances et les traditions de tout un peuple.

Nous donnerons, dans notre prochain et dernier article, en même temps que notre point de vue sur la solution du problème toutes précisions à cet égard.

Lamine LAMOUDI.

A suivre.

(Voir *Défense* des 14 et 28 mai.)

... damnés ... Gouvernem... de dégager ... où on les ... entraves d... antérieurs.

Nous av... tés les div... Parti du P... nos concep... qui n'est ... niers temp... nous sépar... met plus à... gie et indi... qui le frap... ses plus sc...

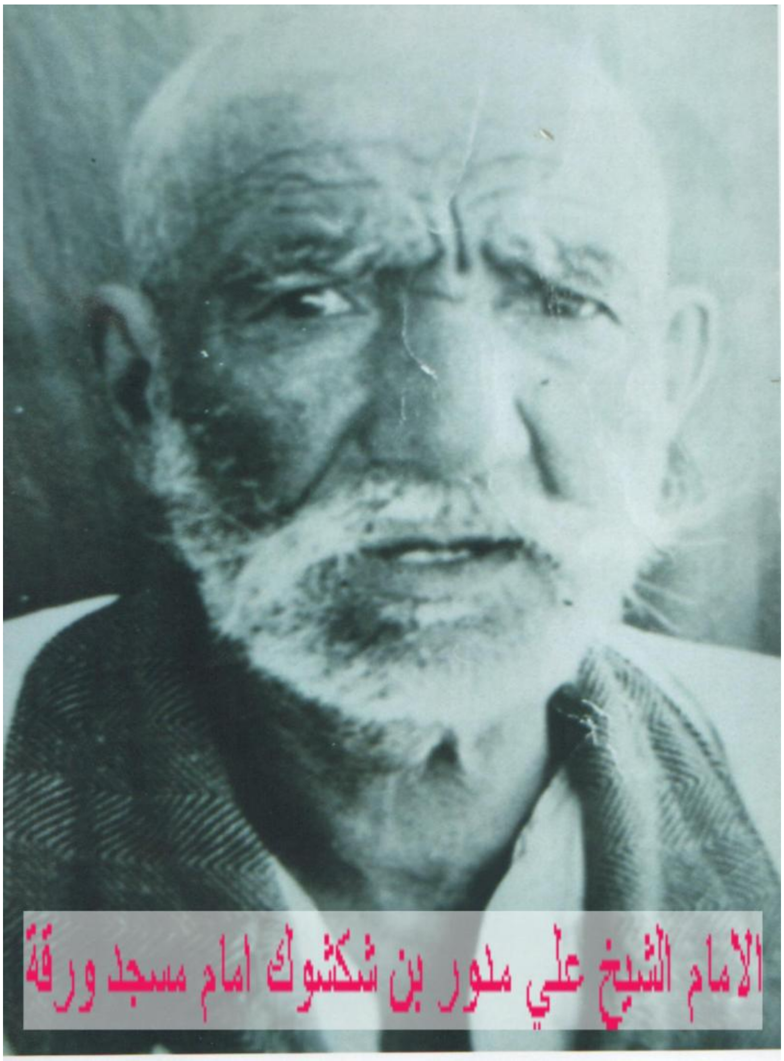
Zakaria ... pour un dé...

Et si vr... faire quelq... mence d'ab... portée de c... sion.

La Fête du



Une vue de la salle du Cercle Nadi El Ettahdi... le sympathique Cheikh Foudhil El Ourtilan...



الامام الشيخ علي مدور بن شكشوك امام مسجد ورقة

الشيخ الامام ابن باديس و الشيخ الطاهر الحركاتي و وفد جمعية العلماء








وزارة الاوقاف

بسم الله الرحمن الرحيم [illegible] و [illegible] صلى الله على محمد النبيء الكريم

الموقع أسفله محمد البشير الابراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، والرئيس الاعلى لكل مؤسساتها ، المكتب الدائم ، ولجنة التعليم [illegible] ولجنة الطباعة والنشر ، واللجنة المالية وغيرها ورئيس مجلس أساتذة معهد عبد الحميد بن باديس الثانوي بقسنطينة ، وعضو المجمع اللغوي بالقاهرة والمجمع العلمي بدمشق .

يصرح

بانه [illegible] مفتش التعليم العربي الحر التابع للجمعية بناء [illegible] الممتازة التي استحقها اثناء التفتيش ونظرا لما أبانه من كفاءة [illegible] [illegible] في أداء واجبه التعليمي الوطني ونظرا [illegible] الثانوية التي حصل عليها بنجاح [illegible] [illegible] ... مستوى : شهادة التحصيل [illegible] ... بثانوية ابن باديس ...
....
واستجابة لما [illegible] اللجنة المختصة التي شكلها المجلس الاداري في مؤتمر 54 لفحص ملفات المعلمين الأحرار وتقدير درجاتهم ،
واستجابة [illegible] لجنة التعليم العليا .

فان المجلس الاداري للجمعية وهو الهيئة العليا لها ـ كان قد صادق على تعيين الشيخ محمد [illegible] .... في اطار اساتذة المعهد [illegible] ... كأستاذ [illegible] ثم انتدبته للقيام [illegible] وقد باشر مهمته بكفاءة واخلاص حتى . [illegible] ١٩٥٥ حيث [illegible] الاستعمار واشتغل [illegible] التحرير

الجزائر ١٣/٨/١٩٦٤

الابراهيمي

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
لجنــة التعليم العلــيا

١٢ نهج بومبي – الجزائر –

شهــــــادة أقدمية التعليم

إن لجنــة التعليم العليا التابعة لجمعية العلماء ، والمشرفة على المدارس العربية الحرة في أنحاء القطر الجزائري ، وبعض المدن الفرنسية سابقا .

تشهـــد بأن الشيـــــخ : درذوري بلقاسم المدعو عمر

كان يعمل بمدارس الجمعية بصفتـــــه معلما ، مشرفا على التعليم والحركة العلمية بأوراس

ابتـــــــــداء من تاريخ أكتوبر ١٩٣٧ .. الى جوان ١٩٥٥ عدا سنة ٤٠-٤١ الدراسية

بمدرســـــة ....

١) مسجد سيدي قموش . قسنطينة . . ١٩٣٧ - ١٩٣٨ ....

٢) جيدوسن . ٣٨ - ٣٩ - ١٩٤٠ ....

٣) تازولت . ٤١ - ٤٢ - ١٩٤٣ ....

٤) كان مشرفا على المدارس بأوراس ومسؤولا عن الحركة العلمية ٤٣-٤٤-٤٥-٤٦-٤٧-٤٨

....

....

....

وقـــد سلمت له هذه الشهادة بطلب منه للانتفاع بها لدى الدوائـــــر المختصـــــة

عاصمة الجـــزائر في ١٩٦٥

عن اللجنـــة :
الامضـــاء

Que se passe-t-il dans l'Aurès ?

D'innombrables lettres nous avaient déjà signalé les abus innommables commis journellement par l'administrateur Muscatelli et les divers agents sous ses ordres, dans cette malheureuse région de l'Aurès dont les habitants ont commis le crime de voter pour le Dr Saâdane, conseiller général démissionnaire, et d'adhérer au mouvement des « Oulemas ».

Dans les graves circonstances actuelles, où la manière forte est préconisée par les plus hauts représentants de la République, nous avons l'impression que les agissements de ces minuscules détenteurs de l'autorité ne sont pas ignorés de leurs chefs, et que même ils sont, sinon encouragés, tout au moins couverts et approuvés par ces derniers.

Aussi, nous n'apprendrons rien à M. le Gouverneur Général et à M. le Préfet de Constantine en leur disant que plusieurs dizaines de mille musulmans subissent l'autorité tyranique, l'arbitraire, les exactions de quelques brutes galonnées qui accomplissent là-bas, sous l'œil impuissant des élus musulmans indépendants, une triste besogne et qui commettent des faits rappelant les plus sombres jours de l'Inquisition.

Ce n'est pas donc au chef de la Colonie et à son éminent subordonné que nous signalons ces faits douloureux, mais à l'opinion publique d'ici et de la Métropole, à M. Sarraut qui, nous dit-on, tout en étant décidé à maintenir le prestige de sa Patrie, est pleinement résolu à redresser la situation de notre pays, à réprimer les abus, à mettre fin aux agissements coupables des flibustiers qui terrorisent nos frères.

Nous avons déjà signalé le cas d'un jeune « alem », Si Omar Derdour qui, sous la simple déposition d'une demi-douzaine de faux témoins, dont quelques-uns se sont d'ailleurs rétractés devant le juge d'instruction de Batna, a été arrêté, maltraité, injurié, et incarcéré sous l'inculpation d'outrage aux représentants de l'autorité.

Bien que des centaines d'honorables musulmans ayant assisté à la conférence de Si Omar Derdour soient prêts à affirmer qu'à aucun moment le jeune conférencier n'a tenu le moindre propos de diffamation à l'adresse de l'autorité, « L'INCULPE » est toujours en prison. Nul ne sait à quelle date finira ce calvaire. (Suite page 2)

Au pro

La Justi
s'e

On était sûr, l
les dirigeants du P.P
le jugement rendu a
Les avocats pla
fendit au nom de la
la loi scélérate de l'
en scène : Messali é
entre les bureaux d
Beauvau. Personne n
sue de ce procès ; m
telle cruauté : même
mite, la limite humai
On attendait donc de
tence d'équité, qui r
justice ; mais la justi
cun lien de parenté a

Réflexion

Comment
l'Afric

Tout le monde est d'accord, aujourd'hui pour reconnaître la menace qui pèse sur l'Afrique du Nord. L'opinion généralement admise aujourd'hui et que les évènements récents viennent confirmer chaque jour, c'est qu'elle sera à la fois le théâtre et l'enjeu décisif de la prochaine guerre. Ni l'Allemagne ni l'Italie ne cachent d'ailleurs leurs visées sur les possessions françaises Nord-Africaines. La première convoite la Tunisie où elle a déjà plus de cent mille nationaux, jouissant d'un statut spécial et installés comme par hasard sur le littoral ; l'Allemagne, elle, en

liaire
le te
ment

Ce
politi
est n
Nord
répé
re to
puis
press
teme
plus
plus
torité

TEMOIGNAGES

La matière est toujours trop abondante, aux « Cahiers », pour pouvoi publier tous les textes que nous voudrions. Particulièrement les témoignages ami maux de ceux qui ont connu Han Ryner, ou de ceux que son œuvre a impression nés. Nous avons déjà extrait de nos dossiers, pour les mettre sous les yeux d tous les Amis plus d'une lettre émouvante. En cette année anniversaire, il es temps de donner leur place à plusieurs de ces déclarations amicales et reconnais santes, dont le simple énoncé enrichit le trésor humain du cœur.

Nous voulons dire aussi à certains que les « Amis de Han Ryner » ne fo aucune distinction dans l'amitié. Comme le dit dans une lettre récente l'un d eux :

« Nous honorons la mémoire d'un homme, d'un écrivain, d'un penseu qui fut un homme libre, bienveillant, fraternel envers ses semblables et che lequel je n'ai jamais senti le moindre relent de sectarisme, de fanatisme ou de racisme ».

Voici les passages d'une lettre de notre ami Mohamed Hamouda **BEN SAI :**

« Dans l'océan de racisme haineux et de l'esclavage moral où se déba une humanité innombrable, quelques petits ilôts de conscience et de libert émergent — pour l'honneur de notre espèce.

En France, je crois que le petit groupe des « Amis de Han Ryner » est l'un de ces ilôts où la pensée libre et la conscience sincère ont cherch refuge.

Mon frère, en venant vous voir pour vous demander de m'envoyer le « Cahiers des Amis de Han Ryner », le savait sans doute. C'est pourquoi votre groupe m'intéresse et que je fais de mon mieux pour lui témoigner mon estime.

J'ai connu Han Ryner durant mes années d'étude à Paris ; et, en relisant dans le n° 27 des « Cahiers » le compte rendu de la conférence de Han Ryner « *Ce que doit dire Noël* », il me semble l'entendre de nouveau.

Aujourd'hui, avec le recul du temps, je peux affirmer que, parmi les hommes que j'ai connus à Paris, revivent affectueusement, dans mon souvenir, Han Ryner et Paul Brulat — l'auteur du roman inoubliable « La Gangue » —, ainsi qu'un brave vieux peintre qui, un soir, me parlant de la religion en régime capitaliste, me disait : « Un chrétien peut-il être propriétaire ? »

En me remémorant les entretiens de ces trois bons Français, il me semble entendre la voix trop oubliée, hélas ! de ce grand ami des hommes : Tolstoï. »

Tel est l'écho qui nous parvient d'Algérie.

Voici, de la Loire, de notre vieux camarade Jacques PICHON :

Je ne sais si d'autres fois je n'étais pas dans la même disposition d'esprit, mais cela m'a fait réfléchir longuement sur l'œuvre de notre cher Han Ryner. Sa poésie m'a ouvert les portes de la vie. Il se donnait dans ses livres comme les donneurs de sang réveillent la vie dans les malades exangues. En nous ouvrant ainsi les fenêtres sur le monde, il nous a donné la conscience de l'univers aussi fonctionnellement que la feuille est le poumon de l'arbre, réflexion profonde que m'a suggérée un autre poète ar Poitevin, qui disait encore : « Donner le monde ainsi que l'on donne la vie, d'abord à soi-même dans l'émerveillement, puis à tous les autres.

Oui, comme Han Ryner les portes de l'inconnu s'ouvrent à celui ou à ceux qui, par une volonté tenace, cherchent à en découvrir la clef. Je ne sache pas que la vie ait d'autres portes que celles que nous tenons obstinément fermées sur elle, je veux parler de mes yeux, de mes mains, de ma bouche. Han Ryner m'a appris à boire aux sources et à la fontaine de la

Cahiers des Amis de Han Ryner N° 48 . Série 1°

La Semaine de l'émigration, 1984

La tradition du féminisme en Islam

Notre seigneur Mohammed et la femme

« Le Paradis est au pied des mères » enseigne un hadith célèbre, Parole d'or ! Parole sublime, où se pressent déjà la grande œuvre juridique de l'apôtre de Dieu en faveur de la femme. Cette parole est plus qu'un appel et mieux qu'une promesse : un programme en puissance.

Service de la mère, nous dit-elle, mais aussi, service de la femme ; car, en toute femme n'y a-t-il pas une mère, comme en toute fleur, préformée et latente, une graine de fruit ? Aussi, m'autorisant de ces quelques prémices, je tiens à déclarer que les préjugés, les ignorances et les calomnies qui ne cessent de défigurer outrageusement la face authentique de l'Islam, n'ont guère permis à l'homme moyen d'Occident de se faire une idée vraiment saine touchant le statut véritable de la femme musulmane. Et c'est pourquoi, encore, distinguant la doctrine de la réalité, le statut théorique de la condition pratique, je veux vous prémunir contre l'erreur et le mensonge de tant de gens qui, à l'abri de tout contrôle critique et sous le couvert de la science se permettent, sans scrupules ni remords, d'ameuter contre l'Islam, les préventions injustes des foules abusées.

Pour que renaisse dignement la femme musulmane, pour qu'elle reprenne justement tout son dû, en l'état actuel du monde qui nous est fait, rien ne vaut comme un retour sincère à la tradition même du Prophète. Je dis bien : retour à la tradition du Prophète, à la « Souana-el-Mohammadia » intelligemment adaptée à notre siècle et dont l'esprit mérite de revivre, et j'en appelle, ici, à l'histoire désintéressée et scrupuleuse, car, nonobstant la perfidie jalouse et le machiavélisme de nos conservateurs d'Orient, Mohammed, plus que jamais demeure un grand exemple à suivre.

Durant sa vie apostolique et tant par sa propre conduite que par les réformes générales introduites dans le monde oriental il fut le maître par excellence dont l'enseignement sûr et durable assurera toujours le bien réel de la femme.

En cette étude-ci, laissant de côté les réformes juridiques dont l'examen attentif nous mènerait fort loin, je veux simplement, en me livrant à la tradition personnelle du Prophète, vous montrer l'immense progrès d'ordre moral réalisé par lui au profit du beau sexe.

Le progrès dans les mœurs, autant si ce n'est plus, que le progrès dans les institutions, en pareille occurrence, doit se passer en nos vues, car en ce qui concerne la femme, frêle créature de chair à la merci des passions, la transformation intérieure des âmes présuppose toujours et conditionne largement les modifications extérieures et la structure sociale.

UN RAPPEL RETROSPECTIF

Maintenant, abordons l'examen de ce progrès moral, de ce progrès dans les mœurs ; et, pour qu'il ressorte mieux, par contraste, faisons brièvement un rappel rétrospectif de la condition de la femme dans l'Arabie païenne.

Avant l'Islam, la société arabe, nomade ou citadine, était partagée en trois groupes sociaux nettement distincts : un groupe païen majoritaire et deux groupements judéo-chrétiens minoritaires, autour desquels étaient clairsemés de minuscules groupements de vieux sabéens ou d'obscures sectes aberrantes. Il va sans dire que, dans ces divers groupements, la condition de la femme n'était pas parfaitement identique ; mais, vue dans un ensemble synoptique, cette condition appelait réellement de sérieuses réformes. Certes, dans l'Arabie d'avant l'Islam, il y avait une tradition chaleureuse très vivante, dont les poèmes et les récits de l'époque, nous ont conservé une précieuse image. La femme, objet d'amour et ferment de poésie, et dont la faiblesse sait astucieusement jouer de la compétition des mâles, y fut souvent à l'honneur, et souven[…] tes fois aussi, parmi les hom[…] mes elle sut affirmer une re[…] marquable personnalité. Qu[…] de beaux traits à son actif nou[…] cite l'histoire. Qu'il nous suf[…] fise de rappeler ces fières paro[…] les que rapporte Caussin de Perceval : « Les braves qui font face à l'adversaire, nou[…] les pressons dans nos bras ; le[…] lâches qui fuient, nous le[…] délaissons et leur refusons no[…] tre amour ».

LE MIRAGE DES APPARENCES

Néanmoins, en dépit de[…] altières vertus qui furent so[…] apanage, la femme arabe de[…] meure la victime d'un mond[…] incoerciblement charnel et o[…] l'ignorance et l'anarchie fo[…] loi. Par-delà le mirage ch[…] toyant des vaines apparence[…] où se complait encore la se[…] sualité orientale, par-delà to[…] cet encens vaporeux de poé[…] amoureuse dont toujours, […] beauté féminine sut s'entoure[…] que de choses affligeantes p[…] pétuant de vieux instincts […] bares. Ici, il est de coutu[…] ancestrale d'enterrer les fill[…] nouvellement nées, soit p[…] crainte de la disette — endém[…] que en ces lieux — ou p[…] jalouse appréhension du dé[…] honneur, là il est d'usage de […] marier pour un temps et […] renvoyer la femme sur u[…] simple parole, sans autre form[…] de procès, ailleurs, le fils hér[…] des épouses du père comme […] hériterait d'un quelconque m[…] bilier. Et combien d'autr[…] choses encore, choquantes […] révoltantes, telles que l'inte[…] diction de toute successio[…] pour la femme, une polygam[…] illimitée, un concubinage sa[…] frein, des unions incestueus[…] une débauche éhontée et […] abaissement général des mœu[…] dont, plus que l'homme, sou[…] fre la femme.

Voilà, en quelques mots — dans son aspect général — […] condition faite à la femm[…] condition que l'Islam, pour […] parole et sa législation, […] progressivement transform[…] Et pour mieux nous […] convaincre écoutons simp[…] ment le témoignage d'[…] homme tel que Omar : « […] temps du paganisme, décla[…] t-il, nous ne comptions p[…] rien les femmes. Cela cess[…] jour où Dieu fit des révélatio[…] à leur sujet et indiqua ce […] devait leur revenir ».

Mohammed Hamo[…]
BENS[…]

Imprimerie ETC — 76 Yvetot — Directeur de Publication : Abdelkrim SOUICI
n° de la comm[…] paritaire : 64 700

Commémoration

Youm El Ilm

L'Algérie célèbre, en cette troisième semaine d'avril, la désormais traditionnelle « journée de la science », « Youm El Ilm ».

A Alger, le 16 avril dernier, à la Maison du peuple, une importante exposition polyvalente a été inaugurée, en présence de M. Abdelhak Brerhi, membre du Comité central, ministre de l'enseignement supérieur, Mme Leïla Ettayeb, membre suppléant du Comité central, vice-ministre chargée de l'enseignement secondaire et technique et de M. Tayeb Belakhdar, membre du Comité central, secrétaire général de l'UGTA.

D'autres cérémonies ou manifestations culturelles se sont déroulées un peu partout à travers le territoire national.

Au nom de Dieu le Bon, le Miséricordieux
Honorons la mémoire du Cheikh Abdel-Hamid Ben-Badis
Pour la commémoration d'un maître

« De la vie des hommes illustres qui ont marqué leur passage d'un trait de lumière durable, recueillons pieusement, pour l'enseignement de la postérité, jusqu'aux moindres paroles, aux moindres actes propres à faire connaître le aiguillons de leur grande âme. »

Louis Pasteur



Il y a 12 ans, Abdelhamid Benbadis...

Pour la commémoration d'un maître

A l'occasion de ce douzième anniversaire de la mort du vénéré Cheikh Benbadis, et en commémoration de l'œuvre de ce réformateur religieux et social dont la pensée profonde, indéniablement progressiste, n'a pas toujours été suffisamment mise en lumière, il nous a paru opportun et utile d'exhumer de l'oubli, en le retraduisant, un écrit mémorable du regretté Cheikh. Cet écrit est la « déclaration officielle de l'Association des Oulamas musulmans d'Algérie » rédigée et publiée en 1937, à Constantine.

Cette Déclaration que les continuateurs du Cheikh devaient reproduite sept ans plus tard, en 1944, peut obtenir encore un regain d'intérêt. Si aux yeux de certains esprits désabusés pour qui la religion est toujours la « vieille chanson qui berce la misère humaine », elle n'a qu'une valeur rétrospective de document historique, pour d'autres au contraire (et ils sont nombreux, Dieu merci !) elle peut avoir — abstraction faite de son aspect particulier de catéchisme doctrinal — par la fermeté généreuse de son dessein général la valeur d'une véritable charte morale.

Dans son style simple et concis, elle expose et résume, avec exactitude et vigueur, en même temps que les grandes vérités éternelles de l'Islam, les principes de la Réforme religieuse entreprise par l'Association des Oulamas en Algérie.

Inspiré de la plus stricte orthodoxie traditionnelle et reflétant parfois, un certain rigorisme hérité des écoles du « Fiqh » (et que la « Zitouna » pour sa part a toujours maintenu) le texte élaboré par le cheikh porte, néanmoins, la marque d'un esprit libéral, ouvert aux souffles du siècle. Et sa physionomie d'ensemble l'apparente et le relie moralement au « Réformisme salafi » du Proche-Orient arabe. Mais, toutefois — devons-nous ajouter — ce texte est, plus et mieux qu'une protestation du piétisme orthodoxe devant la décrépitude de « l'Islam algérien ». Dans l'un de ses articles les plus remarquables — passé inaperçu hélas ! — affirmant la solidarité de l'Islam envers les déhérités de ce monde, il appelle implicitement de ses vœux l'avènement d'un socialisme vrai, conforme à l'enseignement authentique du Saint Livre.

Il convient de remarquer, enfin, que certains passages de ce texte — en particulier ceux où il est question du maraboutisme, de ses croyances superstitieuses ou anthropolâtriques et de ses pratiques hétérodoxes qui, dans les années d'avant-guerre, avaient provoqué un zèle iconoclaste chez les puritains du Maghreb — paraîtront singulièrement vieillots, anachroniques, au regard des graves problèmes de l'heure présente. En ce siècle d'airain où la machine impose partout le travail « à la chaîne », les controverses théologiques n'éveillent plus d'échos au sein des masses que le dur besoin pousse sans cesse, en exodes émouvants, vers les cités industrielles de France. Dans un monde en évolution permanente, et que se disputent sans répit deux systèmes gigantesques, à l'époque de la découverte atomique de l'existentialisme bourgeois et du militantisme athée, les valeurs spirituelles de la mystique et de la Foi ne comptent presque plus. Devant la matière envahissante et la nécessité brutale, l'homme de foi et de prière s'efface. Pourtant, dans le texte du regretté cheikh Benbadis, il y a de louables hardiesses. A une société « close » pratiquant une morale « statique », il ose rappeler que l'Algérie ne doit pas s'exclure de toute communion avec le monde. L'Islam, déclare-t-il, nous rappelle aussi « le devoir de fraternité humaine à l'égard de tout genre humain. » Toute la première partie de la « Déclaration » est de la plus belle tenue, et certains articles, où le théologien s'élève à la hauteur du philosophe, par leur accent profondément humain, anticipent en quelque sorte sur la « Déclaration internationale des droits de l'homme » adoptée à Paris, le 10 décembre 1948, par l'Assemblée générale des Nations-Unies.

En notre époque tourmentée, de confusion et de doute, où les idéologues et les propagandes, mettant à profit le désarroi général, nous sollicitent insidieusement de toutes parts, beaucoup d'esprits désorientés parmi les Musulmans de bonne foi, ne savent quelle voix écouter, ni quelle direction suivre. Pourtant, il leur faudra bien choisir car, comme le rappelle justement le poète Tagore, « les hommes ont sans cesse lutté en quête d'une direction ». C'est pourquoi très fraternellement, pour le bien de tous, leur rappelant les leçons et les exhortations du cheikh dont l'apostolat fut, avant tout, souci de vérité, exigence de justice et amour des humbles, nous faisons le vœu que la lecture de cette « déclaration » puisse inciter nos coreligionnaires, à faire effort sur eux-mêmes pour mieux comprendre leur religion et pratiquer leur devoir.

M.H. Bensaï

L'ISLAM, RELIGION DE JUSTICE

Pour ma modeste part, à titre de contribution personnelle, je veux simplement présenter à ceux qui voudront me lire, quelques pages de foi et de bonne foi écrites, il y a tantôt seize ans, dans une lettre adressée à un savant arabisant de France.

Dans cette lettre, constatant la précarité des moyens de l'homme juste devant la perfidie cauteleuse des puissants de ce monde. Je me demandais pourquoi ces valeurs : mystique, philosophie, science, qui forment l'armature spirituelle du monde occidental, se révèlent, à l'épreuve des faits, désespérément inefficaces, dérisoires et mensongères. Et, me posant la même interrogation que se posent tous ceux qui veulent se dépasser, pour reprendre encore le fier langage de Louis Martin-Chauffier, je me répondais à moi-même :

« ...Cependant, il y a encore un espoir, et le « sel de la terre » comme dit l'Evangile, ce sel qui la préserve, malgré tout, d'une corruption irrémédiable, existe toujours, mais, où est-il donc ce remède souverain de toute âme malade ? Ah ! je ne sais pourquoi soudainement remonte à ma mémoire le cri déchirant et sublime que le vieux Tolstoï, presque désespéré, fait dire à son « Sutaïef ». Et je l'écoute ce cri, et je le reprends pour mon compte : « Ah ! si quelqu'un m'enseignait en quoi je me trompe, en quoi je m'éloigne de la Vérité, je servirais cet homme jusqu'à la mort... Vrai, je ne sais pas ce que je ne lui donnerais pas... ». Où est-il donc ce « Hak » dont nous avons tant besoin ? Cette « Vérité » qui sauve et sans laquelle nous ne saurions devenir meilleurs ? Je cherche, j'interroge, je sonde anxieusement les lointains horizons... et voici qu'à mes yeux — déjà dépris de tant d'anciennes misères et d'illusions fanées qui traînent dans la poussière — de nouveau resplendit l'aurore éternelle de l'Islam.

Je vois un homme d'aspect très simple — il s'appelle « El-Amine » — ; il parle à un pauvre inconnu et lui dit : « C'est toi qui a écrasé mon pied, hier, sous ta grosse semelle et que j'ai cinglé d'un coup de fouet ? Eh bien ! voici quatre-vingts brebis, je te les donne, emmène-les avec toi ». Je le revois encore — il est devenu, maintenant, le « mostefa » (l'élu) de tout un peuple — ; il parle, et sa voix où vibre une émotion contenue, dit à la foule innombrable qui l'écoute : « Ô ! Croyants ! s'il est parmi vous quelqu'un dont j'ai fait bâtonner le dos, voici mon dos pour qu'il se fasse justice ! S'il est quelqu'un dont j'ai blessé l'honneur, voici mon honneur pour qu'il se venge ! S'il est quelqu'un dont j'ai pris le bien, voici mes biens, pour qu'il se paie. Et que nul n'hésite dans la crainte de mon ressentiment, car le ressentiment n'est point dans mon caractère.

...La honte est plus facile à supporter en ce monde que dans l'autre ».

Cet homme est chargé d'un message ; une Parole Sainte emplit sa poitrine ; et cette Parole lui dit : « Sois droit, conformément à l'ordre qui t'a été donné ».

Cet homme est un « juste ».

J'en vois encore un autre ; son maintien est modeste ; il s'appelle « El-Seddik » ; il vient d'être élu « Chef de la Communauté » et « Successeur de l'Envoyé de Dieu » ; son air est grave et son silence m'émeut. A quoi pense-t-il avec un tel recueillement ? Est-ce à ce verset :

« Ton Seigneur dit aux anges : « Je mettrai sur terre un successeur » ?

Ou à cet autre : « mon alliance, les méchants ne l'auront pas » ?

Visiblement, l'homme est ému par le « dépôt sacré » qui lui vient d'être confié ; on dirait qu'il l'accable comme une charge trop lourde. L'homme est « Véridique » et je devine ce qui le préoccupe. Il sait que la mission de l'homme est d'être « le successeur de Dieu » sur la terre, comme si Dieu s'était absenté de ce monde ; il sait que cette mission, que ce « Vicariat » inouï font que l'Homme, devenant responsable de toutes les iniquités de la terre, se doit de faire en sorte que le « règne de l'Homme soit le règne de Dieu ». Il le sait, et c'est pourquoi il tremble en pensant aux possibles défaillances de son humanité corruptible. Mais, voilà qu'il se lève ; il a repris confiance et courage ; il s'adresse à la foule qui l'entoure ; et j'entends ces paroles : « Ô ! gens !... Si je fais bien, aidez-moi ; si je dévie de la Vérité redressez-moi ; la droiture est un gage ; le mensonge est une trahison ; le faible parmi vous est fort jusqu'à ce que je lui ai restitué son dû ; le fort parmi vous est faible à mes yeux jusqu'à ce que je lui ai repris ce qu'il détient indûment ». Et je me dis, ému par tant de rectitude : vraiment, cet homme est « véridique » et son exemple est un honneur pour l'homme.

Et, maintenant, j'en vois un troisième ; il s'appelle « El-Farouk ». Il pleure, en pensant à la lourde charge qu'il porte sur ses épaules, et il gémit de douleur : « Ah ! ce dépôt sacré, comme elles avaient raison les montagnes de le refuser ! Et que dirai-je au Seigneur, pour ma défense, le jour où toute âme rendra compte, si une brebis venait à se noyer dans l'Euphrate ? »

Cet homme est à Médine son empire est immense et il tremble pour une simple brebis... Et je le revois encore le brave homme, attisant de son souffle le feu d'une marmite autour de laquelle une femme et quelques petits enfants sont assis. Et leur sert la nourriture, et il la refroidit de son souffle pour ne pas qu'ils se brûlent ; puis, je le vois qui se lève ; son visage est heureux ; et je l'entends dire, à son vizir, ces simples mots qui m'émeuvent jusqu'aux larmes : « Maintenant que j'ai vu ce feu, sa lumière m'a éclairé ».

Cet homme est une conscience ; et cette conscience est fille du Livre qui dit :

« Celui qui accomplira le poids d'un atome de bien le verra ; et celui qui accomplira le poids d'un atome de mal le verra ».

Dans le ciel de notre histoire, ces trois noms au prestige fulgurant : Mohammed, « El-Amine », Abou-Bekr, « Es-Seddik » et Omar « El-Farouk » demeurent inaltérablement les fidèles symboles des plus hautes vertus humaines : conscience, droiture, justice. Puisse le salutaire exemple de ces vertus faire réfléchir ceux qui, nonobstant l'inexorable passion raciste ou l'aveuglement d'un colonialisme haineux, ne veulent pas désespérer de l'avenir des hommes ! Et puisse encore cet exemple les persuader, comme nous, que, seul, l'Islam, — l'Islam incorruptible du Coran et du Prophète — renaissant de nouveau et recouvrant, ainsi, sa miraculeuse jouvence, peut surmonter les lourdes hérédités de vengeance et de haine, et créer la cité fraternelle qu'appellent de leurs vœux toutes les élites du monde.

Batna ce dimanche, 17 juillet 1949.

Mohammed Hamouda Ben Sa

Des égards pour ma Foi

Je vous envoie ci-joint une photocopie d'un écrit publié par le journal « La République Algérienne » du 16 juin 1950, (c'est un extrait d'une étude que j'avais faite sous forme de conférence). En 1937, donnant des leçons à l'institut Gay-Lussac, l'épouse du directeur avait eu la gentillesse d'en dactylographier cinq exemplaires. J'ai envoyé une copie au « Mercure de France » (revue que dirigeait M. Duhamel qui affectait d'avoir de la sympathie pour l'Islam). On me répondit que mon étude ne pouvait être publiée, mais on ne me renvoya pas mon manuscrit. Sachant que le professeur Massignon faisait partie avec Georges Duhamel d'un comité pour la paix en Espagne (que déchirait la guerre civile), j'allai le voir. Je lui offris un exemplaire de mon étude qu'il accepta. Et il me dit ces paroles que je n'ai pas oubliées : « M. Duhamel est un Académicien. Envoyez votre étude à la revue « L'Egyptienne au Caire ». Je compris qu'il me serait très difficile de toucher un public français rétif et plein de préjugés à l'égard de l'Islam. Au début de l'été — le hasard du Quartier latin aidant — je fis la connaissance d'une dame américaine très cultivée. Je lui offris un exemplaire de mon étude. Elle en fut très touchée. Longtemps plus tard à Batna, j'en offris le quatrième exemplaire à un bachagha qui, à deux reprises m'avait parlé de Doria Chafiq, célèbre féministe égyptienne. Doria Chafiq avait passé un doctorat à Paris. C'était une femme séduisante, mais elle était loin. Au cours du Ramadhan de 1950 que je passai à Alger (où m'avait appelé le vénéré Cheikh Bachir Brahimi), je fis publier mon écrit. Les scouts — une belle jeunesse — le reproduisirent dans leur estimé journal « El-Hayat ».

C'est ce texte que je présente à vos lecteurs. J'espère que mon étude sera lue avec profit.

Mohamed HAMOUDA BEN SAI,
Batna

P.S. : J'ai connu le Ramadhan en hiver à Paris. Maître d'internat au cours Sorbon, je devais tenir la classe jusqu'à 7 h du soir. La rupture du jeûne étant à 5 h, je dus jeûner deux heures de plus. Au 14e jour le directeur ayant appris que je jeûnais, m'appela et me dit : « Un de vos collègues accepte de vous remplacer bénévolement. Vous êtes libre à partir de 5 heures ». J'étais ému et je ne sus comment le remercier. Je n'ai pas oublié ce beau geste de deux Français de bonne race qui eurent des égards pour ma Foi.

tribune

Ayant relu dans un numéro de juin 1983 de votre estimé journal, sous le titre « croisade », une réplique cinglante au livre de J.P. Peroncel-Hugoz, « Le radeau de Mohamet », livre que je n'ai pu avoir, je me suis rappelé qu'en juillet 1949, (il y a plus de trente ans déjà, j'avais publié, dans le journal « La République Algérienne », un long article portant le titre « l'Islam Religion de Justice ». Cet article, qui m'avait été inspiré par le « Procès des députés Malgaches », mon camarade M. Ahmed Boumendjel avait tenu à le présenter aux lecteurs du journal en termes élogieux pour ma personne.

Il avait eu du retentissement. A Bône, en le lisant, un ami (président de la culturelle musulmane), avait pleuré. A Batna, le regretté Si Mostefa Ben Boulaid était venu me voir. A Alger, les jeunes scouts en avaient reproduit l'essentiel dans leur journal « El-Hayat ».

J'ai jugé opportun et utile de vous envoyer une photocopie de cet article, il apporte un appui certain à celui de votre honorable collaborateur (en exposant la saine et vraie doctrine de l'Islam) comme le Christianisme des catacombes — un christianisme pur qui a créé des saints et des martyrs et a survécu aux persécutions de l'empire Romain — l'Islam du Coran et de la Sounnah a résisté aux croisades et au colonialisme de l'occident. Il n'a pas perdu son âme. Et aujourd'hui encore, malgré les attaques haineuses et les complots perfides, malgré ses faiblesses et les divisions qui le déchirent, le monde de l'Islam résiste et tient bon : Non ! le radeau de Mahomet ne fera pas naufrage et ne sombrera pas dans les flots.

P.S. - Je vous remercie d'avoir réservé une page magnifique à mon article, à ma lettre et à la photogravure d'Isabelle Eberhardt. En relevant le passage où j'évoque le passé de ma ville natale j'ai eu des larmes aux yeux.

Veuillez accepter avec l'assurance de mes bons sentiments, mes salutations les meilleures.

Mohamed Hamouda Bensaï

– جريدة النجاح ،العدد رقم 740 ،الاثنين 20 ماي192 .

سراب السياسة والدعوة إلى هداية القرءان.

ــ أخي المسلم.

رأيت أن السياسة قد أخذت مكانا كبير في النفوس وتسلطت على كثير من العقول وبدأت تستغل الأعمال على اختلاف ضروبها ورأيت لها نتائج ليست بمفرحة من إضرام الأهواء وإثارة الضغائن وفصم الروابط وإفساد الأموال –إذن فكيف أصبو لها وأترنم بذكرها وأنا لي ضمير ينشد الحق و لا يحب الغرور ــوكيف لا أخاف من تيارها الجارف وأنا أود لمواطني وإخواني في الدين.

(التعاون على البر والتقوى)واحلم بالتحقيق الواقعي لقول الجليل "إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون" إني لا أنكر أن السياسة تستهويني فان السياسة ساحرة خلابة و أنا لست بمعصوم فاني بشر ضعيف أحس بما تحس به الناس وانجذب بما تنجذب إليه الناس ولكني لا أحب الكذب ولا النفاق ولا الخيانة ولا الإصرار على المنكر ولذلك فاني عزمت على الجهر بمساويها –إزالة للغرور–وتذكير مواطني المسلمين بان صلاحنا الحقيقي ليس في السياسة ــإثباتا للحق إذا نظرنا إلى المظاهر السياسية الفاخرة والى بهرجة الاحتفالات والى الخطابات الرنانة الساحرة والى تسهيل وتوفير السياسة لمرافق الحياة الاجتماعية وإذا تذكرنا أخبار ديموستين وبريكليس (Pericles et Demosthene) مثلا وكساهما خيالنا عزا وجمالا وإذا تذكرنا في مواقفهما العامة اهتزت نفوسنا طربا وصحنا من غير تردد إن السياسة هي الحياة

إن السياسة هي الفخار إن السياسة هي الكمال ولكن إذا اختبرنا الواقع بكل صدق واستشهدنا التاريخ بكل تحقيق واستجلينا خافيات نفوسنا وجدنا أن السياسة سراب كاذب فما هي طبعا وعادة إلا مظهرا عمليا للطبائع والعادات فالسياسة البشرية صادرة عن البشرية إذن فما هي إلا أغراض ومصالح وأهواء تستخدم العلوم وتعبث بالعقول وتلعب بالكلام ألعابا إذن فالثقة بها غرور والاعتقاد بما تزعمه من الإصلاح للحيلة الدنيا والإسعاد للناس فيها وهم وضلال ــأخي المسلم المتنور ــلعلك تستغرب مني هذا التصريح ولعلك تقول في نفسك إني لا اعرف قدر السياسة فاني أجيبك أن السياسة لها تعريفان ــتعريف أهل الفكر وتعريف أهل الواقع فأهل الفكر يرون أنها خدمة المصالح الوطنية العامة ــوأهل الواقع يشهدون أنها ــخدمة الحياة الدنيا ــ وأن الحياة الدنيا كما يقول المثل العربي وصائل لا فضائل وإن لم يقنعك هذا الجواب فإني أزيدك بيانا

فأقول ــإن كبار أساتذة الغرب قد أنكروا السياسة وحكموا عليها حكما باتا لا هوادة فيه فإن (Auguste Comte)أوغيست كونت وشارل رونوفيى(Charles Renouvier) وهيبوليت طان (Hippolyte Taine) وهيجل(Hegel) الألماني قد شهدوا عليها بما هو مبسوط في كتبهم وأما سياسة الانتخابات فان المؤرخ الكبير فستال دي كولانج (Fustel de Coulanges) قد كتب عنها كلاما لا مزيد عليه في تبيان خبائثها ونتائجها الوخيمة وان الكاتب الفرنسي جورج اودارGeorges Oudard)قد شخص لنا روايته القصصية انتخاب ما يستشبعه حتى مشغوفو السياسية إن كان له ضمير وعقل و لا أخالك إلا موافقا لي في هذا كله. ولكن قد يذهب بك ميلك للسياسة ــوهو فيها أرى من تأثيرات العصر ــإلى أنني كراهية لمساوئ السياسة أريد أن اهجرها وامتنع عنها أو بعبارة أوضح إني ادعوك إلى الامتناع عن السياسة أو "الابسبتسيونيسم "(L'abstentionnisme)كما يقول الفرنسيون .

إني لا أكتمك أني في كثير من الأحيان أي كلما شاهدت من سياستنا الأهلية ما يزهدني جدا فيها أميل إلى هذا مذهب الامتناع عن السياسة واستحسن العاملين به وكيف لا أميل إلى هذا المذهب إذا رأيت ما هو معلوم للخاص والعام من أن تعاطي السياسة أكثر ضرر واقل نفعا من تركها ــ ورب قائل من ممارسي الحياة الخبيرين حسيا بأحوالها يقول لي ــإن هذا الميل إذا قوي واشتد أمره زهدنا في القيام بالمصالح العامة والدفاع عن الحقوق الاجتماعية وصرنا عضوا عاطلا أشلا في مجتمع سياسي لابد فيه من إعداد القوة للمحافظة أو التوازن أو التوسع والاستيلاء ولابد فيه من المعارك الحيوية فاني أجيبه إنني لا أنكر أن الحياة تنازع للبقاء واختيار للأقوى والأصلح طبيعيا وان التنازع وهذا الاختيار يستلزمون نوعا ما من السياسة هي ضروريات الحياة الاجتماعية ــ ورب قائل آخر من محبي السياسة يقول لي إن الامتناع عن السياسة وتركها بتاتا من علامات القنوط أو مهانة النفس أو الركون إلى الخمول والاستسلام الكلي لتيارات الحوادث وان حب السلامة يثني عزم صاحبه وان علو الهمة يحتم حب المعالم والسعي لارتقائها وان وان ــهذا كلام تبرر بل تمجد به أصحاب الطموحات الأنانية ولكن حقيقته تنكشف إذا سبرته (البسكولوجيا) النقادة التجريبية فنرى حينئذ أن حب المعالي كما يشهد الواقع والتاريخ لاكما تشهد الشعراء وغنم الغرور —ما هو إلا حب الجاه وإرادة التسلط ــكما يقول نيتشه ورغبة التوسع واستخدام الغير (الأخ كما تقول الآداب الكاذبة)ــإذن فأين الإخلاص ــأين روح النصح والتضحية ــوأين حب الإنسانية الصادق ــإذا أردت أن تعرفه يا أخي المسلم المتنور فاخرج من سوق السياسة وتوجه إلى حيث

تجد الحيلة القومية فانظر إلى(Pasteur) باستور في معماه يبحث عن أسرار الأمراض وانظر إلى القديس (فانسان دي بول(Saint Vincent de Paul) في حرصه على جمع اللقطاء والاعتناء بهم كأنهم أبناء ملوك كما قال الكاتب الفرنسي الشهير موريس باريس(Maurice Paris) وانظر إلى ابراهم لينكولن(Abraham Lincoln)الحطاب المسكين الذي توصل بإرادته العالية إلى رئاسة الجمهورية لا لإشباع شهواته وتاليه نفسه بضروب المفاخرات بل لمقاومة الاسترقاق في أمريكا وانظر إلى روبال واوان(Robert Owen) بانكلترا يكون شركات اسعافية للعملة ونقابات تدافع عنهم وانظر إلى ((ليون تولستوي) (Leon Tolstoï) يهب أملاكه الترابية للفقراء وينقطع للبحث عن الحق وخدمة الشعب وإصلاح شؤونه بما أمكن وانظر إلى الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده يستوحي من الذكر الحكيم روحا جديدا حكيما لينعش ويصلح به الشرق الإسلامي وانظر إلى قارون أمريكا الصالح المثري الكبير كارنيجي (Carnegie)يحسب للمشاريع الإنسانية الكثيرة أموالا عظيمة وانظر إلى نابغة الشرق سيرجقاديس شندربوز(Sir Jagadish Chanda Bose) في معهده العلمي يحي للهند مجدها الفكري القديم _هاته الأعمال النبيلة تعرفنا يقينا إن حب المعالي الحقيقي هو أن يتعالى المرء عن إنسانيته الحيوانية جاعلا نفسه في صالح الأعمال ليزداد زيادة ثانية كما يقول الإنجيل _ليبلغ (ما فوق الإنساني)كما يقول نيتشه Nitetshe_هاته الأمثال النورانية تعرفنا أن الأحوال البشرية ما تحسنت حقيقة إلا من العمل الصالح أخلاقيا كان أو فكريا أو اجتماعيا وان هذا العمل الصالح في غنى عن السياسة فهل يحتاج أولئك الصالحون المذكورون أنفا للسياسة للقيام بما استشعرته نفوسهم من واجبات نحو بني الإنسان _بل كافتهم كما يقول المحترم (فرديند بويسون)(Ferdinand Buisson) وكالة ضميرهم وإذا كان العمل الصالح في أحواله العامة يحتاج لسياسة تضمه وتقويه وتوسع دائرته فما هي إلا سياسة التعاون للمبرات والتعاضد لإذلال مصاعب الحياة كما يقول (قوستاف لوبون (Gustave Lebon)التشاور لجمع التجارب والآراء والمعلومات واختيار الأكفاء المخلصين بضروب الامتحانات _هاته السياسة يمكننا إن نستنبطها استنباطا من القرءان الحكيم فالله تعالى يقول _وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان))وسياسة الأحزاب أليست في كثير من الحيان كذبا وبهتانا وتدليس وإيهاما بل إثما وعدوانا _ ويقول (وأمرهم شورى بينهم)) والشورى ليست الانتخاب المعروف عندنا لأنها لا تنتج تسلط الأكثرية على الأقلية ذلك التسلط الذي يلجم الضعيف المحق

ويثير العداوات ولأنها لا تقضي الاستهواء والإفساد والتفريق _ ويقول ((والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين)) والجهد والاجتهاد والإحسان لا تستلزم نيابات رسمية ولا مكافأة بل تصدر بكل حرية عن كرم الطبع وقوة الإرادة وحياة القلب _ ويقول ((فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه _ وأتباع أحسن الأقوال يستلزم طبعا ترجيع الأصلح علما وأدبا لإدارة المصالح العامة _ ويقول "وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر " و التواصي بالحق والتواصي بالصبر لهمل مقتضيات منها _أدبيا _ضبط الأهواء والزهد في الحظوظ الفانيات _ وعلميا _الاستنارة بأصح ماتنتجه العقول أو تثبته العلوم _ ويقول "ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين "_ وفي هذين التعليميين مبادئ سامية لسياسة سليمة _ترضي الناس _وقانونية _ترتاح له الحكومات _ واحسانية _تشفع للإسلام وتمجد ذكره _تلك سياسة رشيدة لا تحتم تكوين الأحزاب ولا الدخول في معمعة الانتخابات ولا استعطاف المتمولين والحكومات وإنما تطلب منا قلوبا مهذبة _للنصيحة _ ولا عقولا مثقفة _للتدبير _وعزائم ثابتة _للعمل _تلك سياسة قرآنية مباديها أخلاقية وغايتها إنسانية وأساليبها علمية تلك سياسة تنافي (السياسة)لأنها تخاطب منا اشرف الميول والعواطف لا اخسها وتستلزم منا التواضع والتضحيات لا الطمع وحب الرئاسات وتدعونا إلى جعل فخارنا في خدمة العدل والسلام والمؤاخاة لا في نيل المناصب والألقاب والوسامات _ إذن فمن النزاهة أن نتمنع عن كل سياسة لا تتفق وروح القران ومن إصابة الرأي أن نقول بإفلاسها ومن الواجب علينا أن نستبدلها بالهداية الإسلامية التي تتضمن سياسة هي أوفق من غيراها لحالتنا الأدبية والاجتماعية وأصلح لبقائنا القومي وانفع عاجلا وأجلا للأفراد والجماعات وتلك السياسة ترمي وتدعو إلى طلب العلم الصحيح _لتثقيف العقول _وإحياء الدين القويم _لتربية القلوب _ الإقدام إلى الحياة الجدية من أعمال اجتماعية وتنظيمات مالية ورياضات بدنية واختبارات واقعية _لتثبيت العزائم _فبأنوار العلم ومبرات الضمير وقوة الإرادة وصحة الأبدان لا بالأكاذيب والتلونات و والمخاتلات والحيل تجمع وتحفظ الأموال وتصنع الآلات وتبني المدن وتعمر الحقول وتنظم المبادلات وتساس الناس سياسة رشيدة نزيهة صالحة يبقي لها التاريخ ذكرا مجيدا.

آخي المسلم المتنور:

_ إني قد بينت لك بما استطعت أفكاري في السياسة وقدمتها لك لتتأمل فيها بجد وتزنها بميزاني العقل والعلم لعلك ترى إنني أفرطت في تنقيص شان السياسة وإنني اعتقد أن السياسة غير لازمة

وان العمل بها ما هو إلا اشتغال المرء بما لا يعنيه وربما ذكرتني بكلمة شيخ الفلاسفة أرسطو (Aristote)الإنسان حيوان سياسي وقلت لي بابتسامة تهكمية إنني أهيم مع الأحلام الفلسفية العالية وذكريات بل أساطير الأيام الماضية غير ما تفت إلى الطبيعة الآدمية الحالية فأقول لك وان كنت قد تأثرت بأحلام جمهورية ((أفلاطون وبخيالات (Platon)(توماس مورس (Thomas Moris) والأسقف (فينيلون (Fenelon)وروسو(Rousseau) و(كوندورسي (Condorcet)فاني _ولله الحمد _لم تذهب بي نزعاتهم العاطفية القوية إلى الثقة العمياء بالطبيعة البشرية فإنني لازلت اعتقد التعليم الأساسي للقرآن الحكيم _ إن النفس لأمارة بالسوء ومادام هذا الاعتقاد حيا راسخا فاني أرجو أن لا يزيغ نظري في الحكم على الأحوال السياسية و الآن قبل أن أودعك بسلام فاني أقول لك بكل صراحة إذا أرادت حقا الإصلاح الصحيح الغير الوهمي فلا تعطي للسياسة المترلية وتدبر جيدا قوله تعالى _"إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" واعمل بمقتضاه صابر محتسبا وما صلاحنا إلا في العمل الصالح والصالحات هن الباقيات "يا أيها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطيع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما " .

فهرس الأسماء والأعلام

- أحمد الرحاني:103-172
- بالقاسم الفرحي : 83-88-94-96-1131-132-
- بروكوب :17.
- ابن جلول : 58-
- الجموري : 73-83-90-91-131-
- حمدان لونيسي : 88-100-101-12-103-
- حمو بن أحمد شرفي : 87-
- حمودة بن الساعي : 94-127-128-129-130-139-
- ابن خلدون : 34-
- دولارتيغ : 28-29-31-69-
- سيدي بالخير : 28-147-
- سيدي عيسى : 28-
- صالح بن الساعي : 130-
- الطاهر الجزائري 91-103-
- الطيب العقبي :87-133- 137-138-139-143-144-145-153-
- عبد الحميد ابن باديس :87-92-93-95-96-98-102-103-106-108-111-113-114-128-132-135-138-140-142-150-151-152-
- عبد الحميد زوزو : 68-
- عبد القادر المدوكالي : 73-83-86-
- علي مدور : 90-128
- علي مراد : 133
- عمر دردور : 69-97-106-108-109-120-
- عيسى المرزوقي : 95-89-130-145
- الكاهنة : 31-
- لوترنو: 17
- ماسكراي : 17-38.
- مالك بن نبي : 13-
- مبارك الميلي : 119-138-145-
- محمد الغسيري : 95-106-108-109-114-121-124-
- محمد بن عزوز : 84-
- محمد عابد الجابري : 34-
- مسعودان الحركاتي: 85-128-129-144
- مصطفى ابن باديس :99-100-
- الهاشمي دردور : 68-72-83-115-
- يوغرطة : 31-

فهرس أسماء الأماكن والبلدان

- الأوراس : 17-18-19-20-22-

24-23 -25-26-27-28-33-37-40-41-
42-44-45-46-48-49-76-84-85-86-
87-88-93-100-102-103-104-106-
107-108-109-110-111-115-116-
126-127-130-134

- أريس : 20-25-90-105-118

- الأزهر:76-80-84-85-187

- الاسكندرية: 78

- أشمول: 21-

- الألزاس : 21-

- اللورين :21-

- أنقاوس:20-21-

- انوغوسين: 20-

- باتنة : 19 -20-21-24-26-32-47-
106-115-120-122-123-124-189

- البرانس: 30-

- بربار :19

- برنيل: 25-40

- بريكة: 20-26-47-

- بسكرة : 19-20-25-26-27-87-91-92

- بلزمة : 19 -20-21 -25-26-32-

- بني سويك: 30-

- بوحمامة: 119-130

- بوعريف : 20-

- بولفرايس:27-

- تازغرين: 28-

- تاقوست: 33-

- تكوت : 25-29-

- تونس: 77-80-96

- تيبرماسين: 27-

- تيمقاد:20 –

- جبال تقرت: 20-د

- جبال متليلي:20-22-23-

- جبل أحمر خدو: 20-23-26-29-30-31-

- الجبل الأزرق : 20-27-

- جبل المحمل: 21-22-

- جبل زواق: 29

- جبل لازاك:25

- جبل لوح: 21-

- الجزائر:81-97-98-114-115-125-
127

- جمورة: 27-30-

- الحضنة: 32-

- خنشلة : 19-21-27-42-47-119-130

- خنقة سيدي ناجي :19-20-23-27-

- زلاطو:28-29-

- الزيتونة: 76-85-87-96-127-130

- سريانة: 21-

- سوريا:81

- سيدي مصمودي:27

- شمال إفريقيا : 17

- شيليا: 20-25-27-28-31-

- عين التوتة:21-30-42-47- 119

- عين زعطوط: 32-

- عين ياقوت: 21-32

- غزال:26-47-

- غسيرة: 26-27-

- قديلة: 30-

- قسنطينة: 80-82-83-88-89-90-92-94-100-101-102-103-115-117-122-125-129-132

- القنطرة : 22-23-25-26-27-31-32-

- كاف محمل: 20-

- كمن متاع الشرفة: 30-

- مصر: 78-84-85-98-99

- مكة:81

- منعة: 21-25-26-28-105

- نارة :26-

-النوادر: 26-

- الواد الأبيض: 23

- واد شناورة :28-

- واد عبدي23-30

- ورقة:90-127

قائمة المصادر والمراجع

أولا: الوثائق الأرشيفية:

- أرشيف سجل تلاميذ مدرسة النشء الجديد
- محضر تأسيس الشعبة الأوراسية لجمعية العلماء بحيدوس ،أرشيف ولاية قسنطينة
- مراسلة الشيخ ابن باديس إلى سي محمد بن سيدي مولى القرقور المؤرخة في 15 ذي العقدة الحرام 1350هـــ،أرشيف زاوية مولى القرقور سريانة.
- تقرير الغسيري حول سير الإصلاح بالاوراس 1938 ،أرشيف ولاية قسنطينة.
- الغسيري ، محمد : العقل السليم في الجسم السليم ،من وثائق الغسيري ،أرشيف ولاية قسنطينة
- الغسيري ، محمد المنصور :صورة من حياة ونضال الزعيم الإسلامي المصلح الديني الكبير الشيخ ابن باديس ،مخطوط ،أرشيف ولاية قسنطينة .
- دردور، عمر:تسجيل إذاعي(حصة نور ومنار تقديم موسى يحياوي)، إذاعة الأوراس باتنة ، سنة 1996 .
- وثائق أرشيفية متنوعة للشيخ عمر دردور ،أرشيف العائلة تازولت .

-ARCHIVES DE COSTONTINE, département de laures, AN67, 1959.
- A,w, c,6/32 .
- A, w, c, 4/34.
- A,w, c,15/35.
- A,w, c,13/35.
- A,w, c,9/35.
- A,w, c

ثانيا: المصادر باللغة العربية:

أ– الكتب:

– القرآن الكريم

– (الإبراهيمي)،محمد البشير : سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،دار الكتاب ،الجزائر .

- (الإبراهيمي) ،محمد البشير :عيون البصائر ،المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع ،ط1،القاهرة مصر ،2007.

– ابن أبي زيد القيرواني: الثمر الداني في شرح رسالة أبي زيد القيرواني، تحقيق صالح عبد السميع الآبي الأزهري، مطبعة المنار، بلات ط ،

– ابن باديس ،عبد الحميد:أثار الإمام ابن باديس ،ج4 ، دار الطباعة للنشر والتوزيع قسنطينة ،الجزائر ،1991

– ابن باديس ،عبد الحميد: أثار الإمام ابن باديس ،ج5، دار الطباعة للنشر والتوزيع قسنطينة ،الجزائر ،1991

– ابن باديس، عبد الحميد: العقائد الإسلامية ، دار البعث للطباعة والنشر والتوزيع ،قسنطينة.

– ابن باديس، عبد الحميد: مجالس التذكير من كلام البشير النذير،، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ،ط1،الجزائر ،1983.

– ابن باديس، عبد الحميد: مجالس التذكير من كلام الحكيم النذير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ،ط1،الجزائر ،1983.

- بيل : دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الأول، دار الشرق، القاهرة ، 1933

– التبسي ،العربي :مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر ، القسم الثاني ،جمع وتعليق أحمد شرفي الرفاعي ،ط1، دار الشهاب للطباعة والنشر ،باتنة

– الحفناوي ،أبو القاسم : تعريف الخلف برجال السلف ،ج2 ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر، 1991.

– الحموي، ياقوت: معجم البلدان، دار الفكر، ج 1، بلا ت

– ابن خلدون ،عبد الرحــــــــمان،: المقدمة , دار الجيل , بيروت , لبنان , بلا ت.

- خير الدين ،محمد:مذكرات ،ج1،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،بلات.

- خير الدين ،محمد:مذكرات ،ج2،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،بلات.

– دونوفو، دوارد : الإخوان (دراسة انثروبولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر)، ترجمة وتحقيق كمال فيلالي،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ،عين مليلة ،الجزائر ،2003.

- علي حرازم بن العربي برادة : جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني ، ج2 ، مطبوعات سالم الحبيب الجزائري ، دار التجاني للطباعة والنشر والتوزيع ،تغزوت ،الوادي ،الجزائر.
- ابن القيم، الجوزية: الطب النبوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1957.
- ابن منظـــــــــــور: لسان العرب، مادة (و.ر.س) ، ج6، ط1، دار صادر، بيروت
- بن نبي ،مالك:العفن ،ترجمة نور الدين خندودي ،دار الأمة ،ط1، الجزائر، 2007.
- بن نبي ،مالك : مذكرات شاهد للقرن , دار الفكر المعاصر , لبنان , بلات

ب: الدراسات والدوريـــــــــات

البصائر ، السنة الأولى ،العدد 18 ، يوم 08 ماي 1936

البصائر ، العدد 286 ، سبتمبر 1954 ،سنة 02

البصائر ،العدد 125، 21ماي 1951.

البصائر ،العدد 125، 21ماي 1951.

البصائر ،العدد 16،السنة الأولى ،24أفريل 1936.

البصائر ،العدد124 ، 29جويلية 1938.

البصائر ،العدد78،السنة ،2،الاثنين 2ماي 1942.

البصائر 4-5 جوان –جويلية 1938

البصائر الأعداد 5-6-9-10-11-12-13-15-16-20-22-25 من السنة الأولى 1935.

البصائر، العدد 134، السنة الثالثة ،الجمعة 07اكتوبر 1938.

البصائر، العدد 4 ، 24\01\ 1936.

الشهاب :ج9،سنة 1929 .

الشهاب ، العدد 6،السنة الأولى ،18 ديسمبر 1925.

الشهاب ، ج11 ، م 6 ، ديسمبر 1930 .

الشهاب ، ج2 ،المجلد 7،مارس 1931

الشهاب ،العدد 49،سنة الثانية ،23 أوت 1926.

الشهاب ،ج1،المجلد 14،مارس سنة 1936 .

الشهاب ،ج4 و5،المجلد 14،جوان – جويلية 19.

الشهاب، سبتمبر 1936

الشهاب، من 02\1930الى11\1931 .

03\1936الى 01\1937الى 4 0\1938.

النجاح :الثلاثاء 1925/10/27
النجاح العدد رقم 740 الاثنين 20 ماي 1929

ثالثا: المراجع باللغة العربية

أ- الكتب:

- تيران، إيفون: المجابهات الثقافية في الجزائر المستعمرة(المدارس و الممارسات الطبية و الدين 1830-1880)، ترجمة: محمد عبد الكريم أوزغلة، دار القصبة للنشر، الجزائر2007.
- اجريتو، مارسيل،:الجزائر الوطن ،ترجمة عبدالله نوار ، سلسلة كتب سياسية ،القاهرة.
- برنيان ،أندري وآخرون : الجزائر بين الماضي والحاضر , ترجمة رابح اسطمبولي , ديوان المطبوعات الجامعية .
- بهلول محمد بلقاسم حسن،: القطاع التقليدي في الزراعة بالجزائر , المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر , 1985.
- البهي، محمد :الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر (مشكلات الأسرة والتكافل)،دار الفكر، ط3، بيروت ، 1973.
- البهي ،محمد :الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي ،دار الفكر ،بيروت ،ط6، 1973.
- بوصفصاف ،عبد الكريم :الفكر العربي الحديث والمعاصر (محمد عبدو وعبد الحميد بن باديس) نموذجان ،ج1،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ،عين مليلة ،الجزائر ،2005 .
- بوعزيز ،يحي: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب , ج1, دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع , عين مليلة ' الجزائر 2004 .
- بوعزيز، يحي: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية, ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر، 1999.
- بوعزيز، يحيى،: سياسة التسلط الاستعماري و الحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1954 ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، 2007 .
- تركي ،رابح :التعليم القومي والشخصية الجزائرية 1931-1956م(دراسة تربوية للشخصية الجزائرية) ،ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر1981 .
- تركي، رابح:عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم (1900 م-1940 م) ، ط1 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر.
- الجابري، محمد الصالح : النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900-1962)، الدار العربية للكتاب ،ليبيا 1983.

- الجابري، محمد عابد : العصبية والدولة , معالم نظرية ابن خلدون في التاريخ الإسلامي , ط1, دار الثقافة الدار البيضاء , المغرب.
- حامد المرعشلي ،توفيق : صفحات في تاريخ مصر ، شركة ماهية مصرية ، مطبعة مصر 1929،
- حليمي ،عبد القادر :جغرافية الجزائر الطبيعية والبشرية والاقتصادية ، ط2 ، مطبعة الإنشاء ، دمشق ، 1968.
- الخطيب، أحمد :جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر.
-خوجة، حمدان بن عثمان: المرءاة، ترجمة محمد العربي الزبيري، ط 1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر.
- ،رزاقي ،عبد الرحمن: تجارة الجزائر الخارجية (صادرات الجزائر فيما بين الحربين)، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع.
- روبرت شارل ، اجيرو: تاريخ الجزائر المعاصرة ،ترجمة عيسى عصفور ،ط1،منشورات عويدات،بيروت،1982.
- الزبيري، محمد العربي: التجارة الخارجية للشرق الجزائري من 1792الى 1830, ط2, المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر.
- زوزو ،عبد الحميد،: الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي (التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية) 1837-1939، ترجمة مسعود حاج مسعود، ج1، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر، 2005.
- زوزو ،عبد الحميد،:نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1900)،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،2007
- زوزو، عبد الحميد : الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي (التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية) 1837-1939، ترجمة مسعود حاج مسعود،ج2 ، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر، 2005.
- زوزو، عبد الحميد: ثورة الأوراس 1979، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
- سعد الله ،أبو القاسم ،: تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري(16م_20 م) ،ج2، الجزائر ،1981
- سعد الله ،أبو القاسم ،: الحركة الوطنية الجزائرية ،ج1،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر.
-سعد الله ،أبو القاسم: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر ، ج2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر.

- سعد الله، أبو القاسم : الحركة الوطنية الجزائرية ،ج2 ،ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1983.
- سعد الله، أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ج7 ، ط1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
- سعد الله، أبو القاسم:الحركة الوطنية (1930-1945)، ج3،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ،معهد البحوث والدراسات العربية،ط1،القاهرة مصر، 1975،ص ص21،20.
- سعد الله، أبوالقاسم: تاريخ الجزائر الحديث , بداية الاحتلال , معهد البحوث والدراسات العربية،، القاهرة.
- الشافعي ،عبدالله ، : ثورة الأوراس 1916 ، جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الأوراس باتنة ، الجزائر ، 1996.
- شريف، محمد الهادي ،: تاريخ تونس ، تعريب محمد الشاوش ومحمد عجيبة ، ط3 ، دار سراس للنشر تونس ، 1993 ،
- بن شعيب ،محمد المهدي:تاريخ قسنطينة أم الحواضر في الماضي والحاضر، مطبعة البعث للطباعة والنشر ، قسنطينة،1980 .
- شنيتي، محمد البشير: التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر صادر بيروت.
-صاري ،أحمد : شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصرة ، المطبعة العربية ، غرداية ،الجزائر ،2004.
- طيار، نذير :شاهد القرن من سقوط أم الحواضر إلى علم سقوط الحضارات ،كتاب قيد الطبع .
- عبد اللطيف، بن أشنهو: تكوين التخلف في الجزائر (محاولة لدراسة جذور التنمية الرأسمالية في الجزائر 1830-1962) , ترجمة نخبة من الأساتذة ' الشركة الوطنية للنشر والتوزيع , الجزائر , 1979 .
- العقاد، صلاح:المغرب العربي بين التضامن الإسلامي و الاستعمار الفرنسي، ج2 ، المكتبة الأنغلو مصرية ، دار الطباعة الحديثة، بلا ت.
- عميراوي، حميدة :جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري (بداية الاحتلال)،دار البعث والنشر، قسنطينة ،ط1 ،1984
- فركوس ،صالح : تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال (المراحل الكبرى) ، دار العلوم للنشر والتوزيع ،الجزائر ، 2005 .

-فضلاء ،محمد حسن:المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر في الجزائر (القطاع القسنطيني) ، ج1،شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر ،ط1، 1999 .

-فليب وجون كلود فاتان : جزائر الانثروبولوجيين (نقد السوسيولوجيا الكولونيالية)، ترجمة محمد يحياتن وآخرون ، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال ، الجزائر2002.

- فهمي، سعد:حركة عبد الحميد بن باديس ودورها في نهضة الجزائر ، دار الرحاب للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ، لبنان ، ط1 ،1983.

- فيلالي ،مختار :نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني ،ط1،دار الفن القرافيكي للطباعة والنشر باتنة ،الجزائر.

- قداش،محفوظ، و الجيلالي، صاري: المقاومة السياسية (1900-1954) الطريق الإصلاحي و الطريق الثوري، ترجمة عبد القادر، بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر

- قنان ،جمال: قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ،منشورات المتحف الوطني للمجاهد ،الجزائر ،1994 ،

- قنان ، جمال: قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ،منشورات المتحف الوطني للمجاهد ،الجزائر ،1994.

- كولونا ،فاني : مثقفون في الأطراف , من كتاب الأنتلجانسيا في المغرب العربي ،ط1 , دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت لبنان ،1984.

- لاكوست،إيف وآخرون: الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي، دار المعارف، بيروت، لبنان.

- المدني ،أحمد توفيق:ابن باديس الرجل العظيم ،مجلة الأصالة ،العدد 44،السنة 6،أفريل 1977 وزارة الشؤون الدينية ،مطبعة البعث قسنطينة ،الجزائر1977.

- مراد ،علي ،:الحركة الإصلاحية الجزائرية من 1925 -1940 ،ترجمة محمد يحياتن ،د ار الحكمة الجزائر ،2007 ،

- نويهض، عادل :معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى منتصف القرن 20 م، ط1 ،منشورات المكتب التجاري،بيروت 1971.

- الهواري ،عدي : الاستعمار الفرنسي في الجزائر (سياسة التفكك الاقتصادي والاجتماعي 1830-1960) , ترجمة جوزيف عبد الله , ط1, دار الحداثة , لبنان , 1983.

- الواعي، محمود: حياة الشيخ الهاشمي بن علي دردور ، من كتاب تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي من(1837 -1954) ، دار الشهاب،باتنة.

- **الدوريات والدراسات**

- أبو القاسم ،سعد الله :خطبة ابن الوهوب عند توليه الفتوى بقسنطينة سنة 1908، مجلة الثقافة، العدد 84، نوفمبر-ديسمبر، 1984.

- أحمد ،بن ذياب : فرحات بن الدراجي الأديب العالم ، مجلة الثقافة ،العدد 35،أكتوبر ،نوفمبر 1976.

- أحمد توفيق ،المدني :ابن باديس الرجل العظيم ،مجلة الأصالة ،العدد 44،السنة 6،أفريل 1977 وزارة الشؤون الدينية ،مطبعة البعث قسنطينة ،الجزائر،1977.

- الإمام الشيخ عيسى مرزوقي رائد الحركة الإصلاحية والعلمية بنقاوس، جريدة الأوراس، عدد 173، من 19 أفريل 1993 إلى 25 أفريل 1993.

- مولود قاسم ، نايت بلقاسم :مفهوم العدالة الاجتماعية في الإسلام ،مجلة الأصالة ،العدد32،السنة الخامسة ،افريل 1976وزارة الشؤون الدينية الجزائر.

- بوصفصاف، عبد الكريم :عبد الحميد ابن باديس ومغاربية الفكر والثقافة والهوية ،مجلة الحوار الفكري ،مجلة فكرية دورية تصدر عن مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية ،العدد 02، ديسمبر

- بوصفصاف، عبد الكريم : بصمات الرجال من سجل التاريخ ، مجلة سيرتا ،السنة الأولى ،العدد 02، نوفمبر 1979، معهد العلوم الاجتماعية قسنطينة.

- جريدة رسالة الأطلس ،العدد 189، 18الى 24 ماي 2008.

- الجمعي، خمري :نماذج من الجمعيات والنوادي الثقافية لحركة الجزائر الفتاة في مطلع القرن العشرين ،ملتقى المراكز الثقافية والعلمية في العالم العربي عبر العصور ،منشورات اتحاد المؤرخين العرب ،مصر 2001

- رابح، تركي :في الذكرى الثالثة لفقيد العروبة والإسلام الشيخ محمد البشير الابراهيمي ،مجلة منبر الإسلام ،العدد 3السنة 62،ربيع الأول 1388،القاهرة ،مصر .

- رمضان ، محمد الصالح:الشيخ الغسيري في سطور ، مجلة الثقافة ،العدد 45،السنة الثامنة، (يونيو – يوليو1978م) وزارة الشؤون الدينية ،الجزائر.

- صادق ،سلام: في ذكرى رحيل مناصر القضية الجزائرية د.صالح بن الساعي ،ترجمة محمد البشير مغلي ،جريدة النور، العدد24 ،1991.

- عبد الحميد، غنام : الشيخ سالم الغنامي السلامي الأوراسي ومعاصروه في المنطقة ، مراجعة وتقديم فيلالي مختار ، مجلة التراث ، تصدر عن جمعية التاريخ والتراث الأثري لمنطقة الأوراس ، العدد 09 ، نوفمبر 1997 .

- العربي، دحو : الخدامات الثقافية في منطقة الأوراس خلال الثورة التحريرية ،مجلة الثقافة ، العدد 94 ،يوليو –أغسطس ،1986.
- نصر الدين ، سعيدوني : الإنسان الأوراسي و بيئته الخاصة "دراسة في التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي لمدينة الأوراس قبل و أثناء العهد العثماني ، الأصالة ، العدد 63 وزارة الشؤون الدينية.
- هلال، عمار: الهجرة الجزائرية نحو الولايات العثمانية في المشرق العربي (1898-1918)، القسم الثاني، مجلة الثقافة، العدد 84، نوفمبر-ديسمبر، 1984.

ب – الرسائل الجامعية

- زغب، عثمان : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة وادي سوف (1918 -1947) وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم التاريخ وعلم الاثار جامعة الحاج لخضر باتنة، السنة الجامعية 2006 -2007
- مريوش، أحمد :الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية ،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ،معهد التاريخ بوزريعة جامعة الجزائر ،1991 – 1992
- بن موسى ،موسى:الحركة الإصلاحية في وادي سوف ،نشأتها وتطورها (1900 -1939)،مذكرة لنيل شهادة الماجستير ،كلية الآداب والعلوم الاجتماعية ،جامعة منتوري ،قسنطينة ،السنة الجامعية 2005 -2006

المقابـــــــــــــــــــــــــــلات

- مقابلة شخصية مع السيد صالح تمقلين باتنة يوم 25 /2009/08
- مقابلة شخصية مع السيد عمار ملاح باتنة 2008/05/17
- مقابلة السابقة مع السيد علي أوجيت باتنة 2009/07/26
-مقابلة شخصية مع السيد دروف محمد الهاشمي، بسكرة 2009/8/20
- مقابلة شخصية مع السيد شرفي الرفاعي ، قسنطينة الدقسي 30 /2009/08
- مقابلة شخصية مع السيدان صالح مدور وعلي مدور، ورقلة 2009/10/18 .
- مقابلة شخصية مع عبد الباسط دردور تازولت يوم 27 - 08-2009
-مقابلة شخصية مع السيد عبد الرحمان شيبان، حسين داي ،الجزائر العاصمة يوم 2008/6/12
--مقابلة شخصية مع السيد عبد المالك بورزام، انقاوس يوم 2009/08/28
- مقابلة شخصية مع السيد علي بن بلقاسم، باتنة 2008/50/3
- مقابلة شخصية مع السيد لخضر مدور ورقة 2008/05/25
- مقابلة شخصية مع السيد محمد مدور ورقلة 2009/06/26

- مقابلة شخصية مع السيد محمد نذير السبع :باتنة يوم 2009/08/24
- مقابلة شخصية مع السيد نور الدين مسعودان باتنة 2008/05/21

المراجع الأجنبية

-Amar, helal: Le Mouvment Reformiste Algerien (les hommes et l'histoire)1831-1957, office des puplication universitaires ,Algeria, 2009.
-Carette : la commerce de l'Algérie avec l'Afrique centrale etles etats barbarisques, paris, 1944.
-Colonel ,De Lartigue : Monographie de L'Aures, Costontine, 1904.
-coppolani depont , coppolani xavier les confreries religieuses musulmanes , jordan ,alger 1897, resume par j .m.abounouhen ,1937.
- Cour A Recherche Sur l'état des confrérie religieuse musulmanes, dans les communes de oum-el-Bouaghi,Ain-Beida,Sadrata, Souk-Ahras, Morsott,Tebess, Meskiana Khenchela, en Novembre 1914 Rrvue Africaine, N^{0}62 Année 1921.
- Duve , yrier: bultin de socite geographique, anne, 1976.
- Fanny Colonna: les débuts de L'islahe dans L'Aures 1936-1938 revue Algérienne des science juridiques économiques et politique V X I V N° 2 Juin 1977 office poplication universitaires Algérie.
- Philippe, thirizi : enflanant dans les aures, numidia ain mlila , 1986.
-Hanri ,busson :les valles de l'aures ,annales de geographique ,t,IX,anne1900.
-Jean, Boisson : les nomades des départements sahariens, TXVII, 1er et 2eme semestre, 1958.
- Jean, DESPOIS: -IES GRANDES REGIONS GEOGRAPHIQUES DE LEMPIR 1-FRQNCAIS ALGERIE ET SAHARA T1,E,E,E,PARIS,1948.
-Lionel, galond : etatlun gustique de l'Aures Antique, Revue Aouras, Societe d'etude et de recharches sur l'Auras Antique, N 02, Decembre, Paris, 2004.

-Louis Rinn : marabouts et khouans, Adolphe jourdan, libraire-éditeur, Alger, 1884.
-Marc, cote: l'aures, une montagne aty pique, revue aouras Societe d'etude et de recharches sur l'Auras Antique, N 02, Decembre, Paris, 2004. 1
- Mathea, Gaudry: la famme chaouia de l'aurés, chihab-awal, algerie 1998.
- Mérad, Ali: Le réformisme musulman en Algerie (de 1925-1940), Mouton, Paris 1967.
-MOSTFA, HADAD: L'emergence de L'algerie moderne, le costontine léste algerien , entre les deux guerres 1919-1939, Tome I, 1ere édition , i guerfi patna, 2001.
- Robert montagne: la fermentation des partis Politique en Algérie, politique étrangère, Bulletin ("Puis Revue") puplier … par centre d'études de politique étrangère imprimé en France 1993/04 typographie firmir didantetcie paris 1937.

فهــرس المحتويــات:

المحتـــــــوى	الصفحة

الآية:..
الإهـداء:..
شكر وعرفـــان:...
المقدمة:.. أ - ل

ـ مدخل : الإطار الجغرافي والبشري للأوراس:...14.

المبحت الأول ـ الإطار الجغرافي للأوراس:..15.
1 ـ المعاني الدلالية للفظ الأوراس:...15
2 ـ التحديد الجغرافي للأوراس:...17
3 ـ المظاهر التضاريسية:..17
أـ المرتفعات:...17
ب ـ السهــول:..18
ج ـ المنخفضات:...20.
4 ـ المنــاخ:...22
5- الأوديــة:...24

المبحث الثاني: الإطار البشري للأوراس :
1- القبائل الأوراسية:..25
2- التنظيم القبلي:..31
3 - نظام الجماعة:..32
4 ـ العادات والتقاليد:..33

الفصل الأول: الحالة العامة عشية ظهور الحركة الإصلاحية:

المبحث الأول: الأوضاع الاقتصادية:..37
أ ـ الزراعة:...37
ب ـ الرعي :...39
جـ ـ الصناعة:..41
د - التجارة:...43

المحتـــــوى	الصفحة

المبحث الثاني: الوضع الاجتماعي:.
أ ـ الوضعية الديموغرافية:...47
ب ـ الفئات الاجتماعية :..48
جـ ـ التغذيــــة:..51
د ـ الطب:...52
هـ ـ السكـن:...54

المبحث الثالث: الوضع الثقافي والديني:...58
أ ـ الطرق الصوفية:..58
ب ـ التعليم العربي الإسلامي:..68
جـ ـ التعليم الفرنســـي:..72.

الفصل الثاني: بداية انتشار الفكر الإصلاحي بالأوراس:

المبحث الأول: أول معرفة للأوراسيين بالفكر الإصلاحي:.........................76
ـ سي الهاشمي بن علي دردور:..77
ـ الشيخ عبدالقادر المدوكالي:...80
- الشيخ حمو بن أحمد شرفي 81
ـ الشيخ بلقاسم الفرحـي..82
- سي الجموري بن سي العايش:...84

المبحث الثاني: الطلائع الأولى للطلبة الأوراسيين عند ابن باديس:...............85
أ- نماذج من الطلائع الأول للطلبة الأوراسيين 88
1- الأستاذ حمودة بن الساعي..89.
2- الشيخ عيسى المرزوقي..89
2- الشيخ مدور بن علي لمبارك..90
4- الشيخ محمد الغسيري 91
5 - الشيخ عمر دردور 91
ب- أثر الشيخ ابن باديس في التوجيه الإصلاحي للطلبة الأوراسيين 94

المحتـــــــوى	الصفحة

المبحث الثالث: - دور الطلبة في نشر الفكر الإصلاحي للعلماء:................................102
أ- تأسيس الشعبة الإصلاحية بالأوراس :..103
ب- دور المؤسسات الإصلاحية الأخرى في نشر الفكر الإصلاحي................ 105

الفصل الرابع: الدور الثقافي للحركة الإصلاحية في الأوراس:.................................113

المبحث الأول: ـ دورها في التعليم...113
أ) ـ التعليم الإصلاحي:...113
ب) ـ التعليم المدرسي:...115
جـ) ـ تعليم حمودة بن الساعي:..122
د) ـ التعليم المسجدي:...126
المبحث الثاني: - دورها في محاربة البدع والخرافات:...131
- تصحيح العقائد 131
- الدعوة إلى التوحيد ....136.
- محاربة الشرك ....140.
-محاربة الطرق والزوايا الفاسدة 145

الفصل الثالث: ـ الدور الاجتماعي للحركة الإصلاحية:......................................
المبحث الأول: ـ الفكر الاجتماعي للحركة الإصلاحية:..155
المبحث الثاني: ـ دورها في التكامل الاجتماعي:...158
المبحث الثالث: ـ دورها إلى العمل:..165
- دعوتها للعمل كواجب ديني 165
- دعوة الشباب للعمل 167
- الدعوة للعمل كأساس للنهضة 169
الخاتمة:...177
شرح المصطلحات والمفاهيم:..188
الملاحق:...192
الفهارس ....
فهرس الأعلام 229
فهرس الأماكن والبلدان 230
فهرس بأسماء القبائل 232
فهرس الخرائط والجداول 233
قائمة المصادر والمراجع 234
فهرس المحتويات 245